الجامعة الأردنيـــــة
كلية الدراسات العليا

التاريـــخ: / /

نموذج رقم (١٨)
اقرار والتزام بالمعايير الأخلاقية والأمانة العلمية وقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير

أنا الطالب: إيمان أحمد يوسف العبداللات الرقم الجامعي: (٨٠٨٠٤٧١)

تخصص: التاريخ الكليـــــة: الآداب

عنوان الرسالة: إشبيلية منذ الفتح حتى عهد الإمارة (٩٢ - ٣٠٠هـ / ٧١١ - ٩١٩م)

اعلن بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير عندما قمت شخصيا" باعداد رسالتي وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية وكافة المعايير الأخلاقية المتعارف عليها في كتابة الرسائل العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيسا" على ما تقدم فانني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: .... التاريخ: ١٣ / ٨ / ٢٠١٢

نموذج التفويض

أنا ...إيمان... أحمد يوسف العبداللات...، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي /أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: ١٣/٨/٢٠١٢

أشبيلية منذ الفتح الإسلامي حتى عهد الإمارة (٩٢-٣٠٠هـ/٧١١-٩١٩م)

إعداد
إيمان أحمد يوسف العبد اللات

المشرف
الدكتور يوسف أحمد بني ياسين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

تموز، ٢٠١٢

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (أشبيلية منذ الفتح الإسلامي حتى عهد الإمارة (٩٢-٣٠٠هـ/٧١١-٩١٩م) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور يوسف احمد بني ياسين، مشرفاً أستاذ مشارك ــ التاريخ إسلامي	....
الدكتور صالح موسى درادكة، عضواً أستاذ ــ التاريخ الإسلامي	....
الدكتور عصام مصطفى عبد الهادي عقلة عضواً أستاذ مشارك ــ التاريخ الإسلامي	....
الدكتور محمد نايف العمايرة، عضواً أستاذ ــ التاريخ الإسلامي (جامعة مؤتة)	....

الإهـــــــــــداء

? ... عاجزة هي الألسن إن ... نطقت ...

? ... عاجزة هي الأقلام إن ... كتبت ...

? ... عاجزة هي السماء إن ... أمطرت ...

وقليل كلّ القلة إن بادرت بإهداء بحثي هذا إلى ...

? ... مصدر الدفء والطمأنينة ... أبي

? ... ينبوع الحنان ... أمي

? ... نور العيون ... زوجي هاني

? ... شموع الحياة ... إخواني وأخواتي

? ... بسمة العُمُر... ابنتي حلا

حُبًّا وتقديرًا

إيمان

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.وبعدُ،،

فإنني – بداية - أشكر الله سبحانه على عظيم فضله، وأحمده على عونه وتيسيره، ثمّ إنه لا يسعني، وقد أنهيت بحثي هذا، إلا أنْ أَسْـنِدَ إلى أهل الفضل فضلهم، فأتقدَّمُ بـوافر الشـكر وعظيم الامتنان إلى أستاذيَ الدكتور يوسف بني ياسين، المشرف على هذه رسالة، أشكره مـرّةً حين قَبِلني باحثًا أنهل من فيض علمه وغزير معرفته، وأشكره أخرى حين أتاح لي وقته وجهده، ومنحني نصحه ورعايته، فكان بحقٍّ نِعْمَ المرشد ونِعْمَ الموجّه؛ إذْ دفعني إلى الجدّ والمثابرة لكي أحظى دائمًا بثقته، ولكي يحوز هذا العمل تقديره ورضاه، فأذكر دائمًا له الفضـل فـي التبنّـي العلمي الذي شملني به في إعداد هذا البحث، حتى غدوت أنا والبحث خلقًا آخر.

ولا يفوتني أن أتوجه والشكر والتقدير إلى الأساتذة الأجلاء الذين كان قبولهم الاشتراك في لجنة المناقشة تكريماً لي، وأرجو أن أكون وبما بذلته من جهد في دراستي هذه محط رضاهم وستزيدها وملاحظاتهم وتوجيهاتهم غنى وثراء. اتقدم بالشكر إلى العاملين في مكتبـة الجامعـة الأردنية لحسن تعاونهم.

كما أتقدم بخالص التبجيل والاحترام إلى والديّ الكريمين، اللذين كانا يتضرعان إلـى الله بأن يوفقني في بحثي هذا، وأقدم جزيل شكري إلى أفراد أسرتي لِما قدموا لي من دعم وإسناد.

ختامًا، أشكر الله عز وجلّ على ما وفقني في إنهاء هذه الرسالة ويسّر لي سبيل إتمامها، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

أشبيلية منذ الفتح الإسلامي حتى عهد الإمارة (٩٢-٣٠٠هـ/٧١١-٩١٩م)

إعـــــــداد
إيمان أحمد يوسف العبد اللات

المشرف

الدكتور يوسف أحمد بني ياسين

ملخـــــــص

تتناول الدراسة تاريخ مدينة اشبيلية منذ الفتح الإسلامي حتـــى نهاية عصر الإمـــارة (٩٢-٣٠٠هـ/٧١٣-٩٢١م) والذي استطاعت خلاله تأدية دور سياسي واقتصادي واجتماعي وحضاري مثلت به عصرا كاملا وليس مدينة قائمة بذاتها. ولبيان هذه الأدوار اقتضى الأمر تناول تسمية المدينة وموقعها الجغرافي وتفاصيل تتعلق بأهمية المدينة قبل الفتح وكونها مركز تجاري مطل على البحر المتوسط ناهيك عن أهميتها ودورها في المنطقة عقب الفتح الإسلامي وصولا إلى عصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٦م) وأهم الأحداث التي جرت فيها كعاصمة للفاتحين العرب ثم بنقل العاصمة منها إلى قرطبة.

أما عن دور المدينة في عصر الإمارة متمثلا بدخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وتأسيسه الإمارة الأموية فقد قامت بعدة ثورات ذات خلفية عصبية (مضرية ويمنية وأموية) ثم تلتها في وقت لاحق غارات المجوس (النورمانديون) على مدينة اشبيلية فهاجموا سواحلها وعاثوا فيها قبل أن تتمكن الدولة من صد هجماتهم. أما في عصر الطوائف الأولى فقد ثار أهل اشبيلية على الأمير عبدالله بن محمد ممثلة ببني حجاج الذين طالبوا باستقلالهم عن العاصمة قرطبة، ولم يستطع الأمير عبدالله على الثورات فقامت قي اشبيلية دولة بني الحجاج بزعامة إبراهيم بن حجاج وخلفائه في الفترة الممتدة ما بين (٢٨٦-٣٠٥هـ/٨٩٩-٩١٧م). وفيما يتعلق بالناحية الاقتصادية وأهم نشاطات هذا المجال فقد تمثلت في ذكر الدراسة لأهم المحاصيل الزراعية التي تعتبر قاعدة الاقتصاد في اشبيلية من زيتون وعنب وقصب السكر وغيرها من المحاصيل. إضافة إلى تربية الحيوانات من ماشية كالأغنام والماعز والخيول. أما النشاط

الصناعي فقد تطور وازدهر خلال عصر الولاة فاهتم الأندلسيون في توفير المواد الأولية اللازمة للصناعات المختلفة كصناعة المنسوجات (قطن و كتان و صوف) واستغلال الثروات الطبيعية كالغابات التي وفرت الأخشاب المستخدمة في مجالات عديدة من صناعة الأواني والآلات الموسيقية والأثاث والسفن. ومن الناحية التجارية فقد وقعت اشبيلية على الطريق التجاري وعرفت نوعين من التجارة منها داخلي وآخر خارجي.

وبالنسبة للتركيب الاجتماعي لمدينة اشبيلية فقد شمل ست فئات (عرب، بربر، موالي، صقالبة، يهود، نصارى) تناولتها الدراسة من حيث أماكن استقرارهم وتوزيعهم في المدينة إضافة إلى التأثير المتبادل في العادات والتقاليد من طعام وشراب ولباس.

وفيما يتعلق بالنواحي العمرانية والعلمية في مدينة اشبيلية في الفترة المعنية فقد ظهر نشاط مهم على هذين الصعيدين وهو أمر يعزى إلى تشجيع الأمراء للحركة العمرانية والعلمية، فضلا عن رحيل العلماء من الأندلس إلى المشرق الأمر الذي أدى إلى نقل الثقافة المزدهرة من المشرق إلى الأندلس عامة وإشبيلية خاصة.

وختمت الدراسة ببيان أهم النتائج التي وتوصلت إليها.

المقدمة:

نال الأندلس عناية عدد كبير من الباحثين؛ نظرًا إلى أهميته ودوره الفاعل في أحداث التاريخ العربيّ الإسلامي، فضلاً عن دوره السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ، ولقد حوى الأندلس عددًا من المدن، من أهمّها إشبيلية؛ حيث كانت من المدن العربيّة الإسلاميّة المشهورة التي أدّت دورًا مهمًّا في تاريخ العرب والمسلمين؛ إذ قدّر لها أن تكون العاصمة الأولى للفاتحين العرب، واستطاعت أن تؤدي دورها السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والحضاريّ على أكمل وجه.

تُعدّ مدينة إشبيلية مدينة عظيمة من مدن الأندلس، ويتمثل ذلك في موقعها وبنائها، ممّا يؤكد أهميتها؛ حيث إنها مثلت عصرًا بكامله وليس مجرّد مدينة قائمه بذاتها. وتبرز أهميّة هذه الدراسة في عدم وجود دراسة مستقله ومتكاملة عن هذه المدينة على غرار الدراسات الأخرى التي قدّمت عن العديد من مدن الأندلس، من مثل الدراسات التي قدّمت عن مدينتي: قرطبة ولشبونة؛ لذا فإنّ الذي دفعني إلى اختيار مدينة إشبيلية منذ الفتح الإسلاميّ (٩٢-٣٠٠هـ/٧١٣-٩١٩م) حتى نهاية عصر الإمارة، كان ملء الفراغ في مكتبتنا التاريخيّة، وقلة الدراسات التي بحثت في هذا الموضوع، كما أنّ المصادر لم تعْنَ بدراسة هذه المدينة إلا من جانب واحد وهو السياسيّ، وكذا لبيان دور المدينة على مسرح الأحداث في الفترة الممتدة من (٩٢-٣٠٠هـ/٧١٣-٩١٩م)؛ حيث برز دور هذه المنطقة عقب الفتح الإسلاميّ، فمثلت هذه الفترة زوال الحكم الرومانيّ وبداية الحكم الإسلاميّ.

ومن الجدير بالذكر أنّ لكل بحث جملة من الصعوبات والعقبات التي تواجهه في أثناء إعداده، ومن جملتها أنّ المعلومات التي قدّمت في المصادر عن جميع مناحي الحياة في مدينة إشبيلية كانت قليلة جدًّا ومتناثرة في بطونها، فضلاً عن أنّ مشكلة أخرى واجهت الباحثة تتمثل في قلة المعلومات عن الجانبين: الاقتصاديّ والحضاريّ، ممّا أدى إلى اهتمام المؤرّخين بتدوين معلوماتهم عن الجانب السياسيّ، ولا سيّما في عصر الإمارة، في حين أهملت الجوانبُ الأخرى.

اشتملت الدراسة على ثلاثة فصول ومقدّمة وخاتمة، جاء الفصل الأول في تسمية المدينة، وموقعها الجغرافيّ الذي كان محط أنظار لوقوعها على نهر الوادي الكبير، معَ إعطاء تفاصيل عن أهميّة مدينة إشبيلية قبل الفتح الإسلاميّ كونها تمثل أهمّ قواعد الأندلس في تلك الفترة، والمركز التجاريّ الأول للتجارة البحريّة في البحر المتوسط. كما تناول هذا الفصل فتح

مدينة إشبيلية ودورها في المنطقة عقب الفتح الإسلاميّ؛ إذ تعدّ عمليّة الفتح نهاية الحكم الرومانيّ وبداية الحكم الإسلاميّ.

واهتمّ هذا الفصل أيضًا بعصر الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٦م)، وأهمّ الأحداث التي جرت فيه بتولي عبد العزيز بن موسى بن نصير الحكم في الأندلس، متخذًا من مدينة إشبيلية عاصمة للفاتحين العرب، وأهمّ أعماله على الصعيد السياسيّ والاجتماعيّ والحضاريّ، ثم بقدوم الوالي عبد الرّحمن الثقفيّ، الذي نقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة.

أمّا عن دور المدينة في عصر الإمارة، متمثلاً في دخول عبد الرّحمن الداخل (صقر قريش) إلى الأندلس، ودعوته واتصالاته التي شملت موالي بني أميّة والقبائل القيسيّة واليمنيّة، ومبياعته وتأسيسه الإمارة الأمويّة، فقد تمّ استعراض الثورات التي واجهت الأمير عبد الرّحمن الداخل من مختلف العصبيّات (المضريّة واليمنيّة والأمويّة)، التي شغلته طيلة عهده، وسيتضح من خلال دراستها كيف واجهها بحزم وصرامة أسفرت عن فشلها جميعها، ويعدّ عصره في الأندلس عصر التأسيس (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م)، وأمّا عن خلفاء عبد الرّحمن الداخل، فمنهم عبد الرّحمن الثاني (الأوسط) الذي يُعدّ عصره عصر الاستقرار والازدهار (٢٠٦-٢٧٣هـ/٨٢٢-٨٨٦م)، وفيه تعرّضت مدينة إشبيلية لغارات المجوس (النورماندين)، الذين هاجموا سواحلها وعاثوا في مدنها أكثر من مرّة قبل أن تتمكن الدولة من صدّ هجماتهم.

وأمّا عن نهاية هذا العصر، الذي يبدأ من سنة (٢٧٣-٣٠٠هـ/٨٨٦-٩١٢م)، فإنه يُعرف بعصر الطوائف الأولى (الحروب الأهليّة)، وهو عصر الأمير المنذر بن محمّد والأمير عبد الله بن محمّد الذي ثار عليه العرب في مدينة إشبيلية، وأخصّ بالذكر بني حجاج المطالبين باستقلالهم عن العاصمة قرطبة، علمًا بأنّ الأميرَ عبدَ الله لم يستطيعْ أن يقضي على الثورات، فقامت دولة بني حجاج في إشبيلية بزعامة إبراهيم بن حجاج وخلفائه (٢٨٦-٣٠٥هـ/٨٩٩-٩١٧م).

وأمّا التاريخ الاقتصاديّ، فقد أفردت له الباحثة الفصل الثاني، وتعدّ المعلومات المتوافرة عن الحياة الاقتصاديّة في مدينة إشبيلية بعد الفتح الإسلاميّ غيرَ كافية لتكوين صورة واضحة عنها؛ وذلك لأنّ المصادر الإسلاميّة التي تتناول هذه الفترة لم تفرد للأحوال والنشاطات الاقتصاديّة إلا حيّزًا ضيّقًا ومحدودًا. وقد تمثلت أهمّ النشاطات الاقتصاديّة الأساسيّة في الأندلس في المحاصيل الزراعيّة؛ حيث تعدّ قاعدة الاقتصاد الأساسيّة التي كانت تزرع في إشبيلية من

زيتون وعنب وقصب سكر وغيرها من المحاصيل. وأمّا عن تربية الحيوانات، فقد كانت تربي الماشية كالأغنام والماعز والخيول.

ولا تكاد تظفر في المصادر التي أرّخت لتلك الحقبة بمعلومات ذات بال عن النشاط الصناعيّ في إشبيلية، لا سيّما في هذه الفترة المبكرة من تاريخنا (عصر الولاة)، أمّا عن عصر الإمارة الذي شهد تطوّرًا وازدهارًا في المجال الصناعيّ، فاهتمّ فيه الأندلسيون بتوفير الموادّ الأوليّة اللازمة للصناعات المختلفة، فكانت هناك صناعة المنسوجات (القطن والكتان والصوف) في مدينة إشبيلية، وأفاد الأندلسيون من جلود الحيوانات وأصوافها ولحومها لصناعات عديدة ومتنوّعة، واستغل أهل الأندلس الثروات الطبيعيّة في البلاد كالغابات التي وفرت المادّة الخام للأخشاب التي تستخدم في مجالات عديدة من صناعة الأواني والآلات الموسيقيّة والأثاث وصناعة السفن، وتعدّ الثروة المائيّة في مدينة إشبيلية غنية؛ إذ يُستخرج السمك من سواحلها وأنهارها.

وأمّا في ما يتعلق بالنشاط التجاريّ في إشبيلية، فقد كانت من المدن التجاريّة، وعَرفت هناك نوعين من التجارة: الداخليّة التي كانت تتمّ داخل المدن، والخارجيّة التي كانت تتمّ بين مدينة إشبيلية والدول المجاورة لها، وكان المسلمون في بداية الفتح يتعاملون بما يُحمل إليهم من دراهم أهل المشرق، وفي عهد الإمارة لم تضرب الدنانير، بل اكتفوا بضرب الدراهم والفلوس من الفضة.

وأمّا الفصل الثالث، فقد بحث في التركيب الاجتماعيّ لمدينة إشبيلية بفئاته السكانيّة المكوّنة من ستّ فئات (العرب، والبربر، والموالي، والصقالبة، واليهود، والنصارى)، وأماكن استقرارهم، وتوزيعهم في المدينة ، والتأثير المتبادل في العادات والتقاليد من طعام وشراب ولباس.

وتناولت الباحثة في المبحث الثالث أيضًا الحياة العمرانيّة والعلميّة؛ حيث أغفلت المصادر الحديث عن الحياة العمرانيّة في فترة عصر الولاة ، وربما يعود ذلك إلى كونها فترة تأسيس وفتوحات، وقد مورست بعض النشاطات على نطاق شخصيّ، وأخصّ بالذكر مسجد رفينة الذي شيّده الوالي عبد العزيز بن موسى في إشبيلية.

وبعد الاستقرار في عصر الإمارة بدأ يظهر النشاط على الصعيدين: العمرانيّ والعلميّ، ويعود هذا إلى تشجيع الأمراء للحركتين: العمرانيّة والعلميّة، فضلاً عن رحيل العلماء من الأندلس إلى المشرق، الأمر الذي أدّى إلى نقل الثقافة المزدهرة في المشرق إلى هناك. أمّا عن

عصر عبد الرّحمن الثاني، الذي شيّد المسجد الجامع في إشبيلية، وأحاطه بسور حجريّ خوفًا من غارات النورمانديين، فقد تمّ فيه ذكر علماء مدينة إشبيلية من قضاة وفقهاء ومحدّثين وشعراء.

وأخيرًا، فقد استعرضت الباحثة بإيجاز في الخاتمة أهمّ النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، ومن ثَمَّ وضعت قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، بالإضافة إلى عدد من الملاحق الجديرة بالذكر.

الفصـــــــــــل الأول

الأوضــــــــــاع السياسيّـــــــــة

في اشبيلية منذ ٩٢-٣٠٠هـ/٧١١-٩١٩م

تسمية إشبيلية:

مدينة يلفظ اسمها بالكسر ثمّ السكون، وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة[١]. أقدم تسمية لها Tartessus (تارتسيوس)، وهم الأقوام الذين سكنوا هذه المنطقة ومنحوها أسمهم، ويرجع تاريخهم إلى نهاية العصر البرونزي[٢]، وقد أطلق عليها الرومان اسم (Hispalis)[٣]، ويذكر بأنّ اسمها مشتقّ من "إشبالي" التي تعني (المدينة المنبسطة)[٤] ، ويلحظ أنّ هناك تشابهًا بين اللفظين في التسمية العربيّة والرومانيّة لمدينة إشبيلية. ويرى بعضهم أنّ المدينة نسبت إلى أحد ملوك الأشبانيين، وهو إشبان بن طيطش، من نسل طوبال بن يافث بن نوح، عليه السلام، وقد امتدّت هذه التسمية لتشمل الأندلس[٥]، ويورد البكري اسمًا آخرَ لهذه المدينة، وهو "رومية توليش" أو "يوليش"، وهو اسم روماني يرتبط باسم الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر[٦] بعد أن دخلها سنة (٢٠٥) قبل الميلاد[٧]، وقد استقرّ الاسم هكذا إبان الفتح الإسلامي وبعده، ثمّ اتخذ اسمًا آخرَ نتيجة لتشابه المِنطقتين جغرافيًّا، ولا سيّما بعد أن أنزل أبو الخطار، حسام بن ضرار الكلبي[٨] جندَ حمص الشام، واستقرارهم بها؛ وبذا فقد سُمّيت بحمص الأندلس[٩].

---

[١] بني ياسين، يوسف، بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحمويّ، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص١٩٧، سيشار إليه في ما بعد: بني ياسين، بلدان الأندلس.

[٢] W.M. Gallichan, The story, of Seville, London, p.١٥, ١٩٠٣. ظهرت الدولة الترتيسية في إسبانيا في أواخر القرن الثامن ق.م، وقامت على الاستيطان في إسبانيا، وإقامة علاقات خارجية مع الفينيقيين، ممّا ساعد في تطوّرهم، وأسهم في قيام مستوطنات جديدة. انظر تسيركين، يولي، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة يوسف ومثال أبي فاضل، ط١، بيروت لبنان، ١٩٨٧م، ص١٠، وسيشار إليه في ما بعد: يولي، الحضارة الفينيقية.

[٣] سالم، عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة الشباب، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص١٠٩، وسيشار إليه في ما بعد: سالم، في تاريخ.

[٤] الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ - ١٣٢٦م)، الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ج٢، ص٩٥، وسيشار إليه في ما بعد: الحميري، الروض المعطار .

[٥] القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، علق عليه نبيل خالد الخطيب، ج٥، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٧م، وسيشار إليه في ما بعد: القلقشندي، الأعشى ص٢١٧ . انظر حتاملة، محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، عمان – الأردن ١٩٩٩ م، وسيشار إليه في ما بعد: حتاملة، موسوعة الديار.

[٦] البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧ هـ/ ١٠٩٣م)، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي حجي، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨م، ص١٠٧، وسيشار إليه في ما بعد: البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا. انظر المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ-١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج١، ص١٣٤، وسيشار إليه في ما بعد: المقري، نفح الطيب.

[٧] سالم، في تاريخ، ص١١٠.

[٨] أبو الخطار من عرب إفريقية، تولى أمر الأندلس سنة ١٢٥هـ وبقي في منصبه حتى سنة ١٢٨هـ، وهو الوالي الرابع عشر من الولاة الذين تولوا أمر الأندلس وأنزل الطالعة الثانية من الشاميين فيها. انظر ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ /١٢٥٩م)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٦١-٦٢، وسيشار إليه في ما بعد: ابن الأبار، الحلة السيراء.

[٩] المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٥٢، بني ياسين، بلدان الأندلس، ص١٩٧-١٩٨.

الموقع الجغرافيّ:

قُسّمت الأندلس إداريًّا، وَفقًا لتقسيم قسطنطين[١]، ستّ ولايات: قسم نربونه ويضمّ سبعًا من المدن، وقسم براقرة ويشمل ثلاثَ عشرة مدينة، وقسم طركونة[٢] الذي يضمّ أربعَ عشرة مدينة، وقسم طليطلة[٣] ويحتوي على عشرين مدينة، وقسم ماردة[٤] الذي يضمّ اثنتي عشرة مدينة. أمّا بالنسبة لمدينة إشبيلية، فكانت تتبعها اثنتي عشرة مدينة، منها: مرشانة[٥]، ومورور[٦]، وقرمونة[٧]، وقرطبة، ولبلة[٨]، وجيان[٩]، ورية[١٠]، وإستجة[١١]، وكانت تقوم في كلّ قسم منها كنيسة تتبعها أسقفيات قائمة في المدن الداخلة في حوزتها[١٢].

وهي بحَسَبِ التقسيم الجغرافي لجزيرة الأندلس، الذي ذكره البكري، تشكل قاعدة الجزء السادس[١٣]، والبكري في تقسيمه يتبيّن أنه لا يعطي الأقسام أسماء واضحة، ولا يضع لها حدودًا؛ إذ يجمع إلى كلّ مدينة مِنطقتها التي تتبع إليها بحَسَبِ التقسيم الرومانيّ، فضلاً عن أنه لم يذكر قواعد بعض الأقسام الإدارية خلافًا لبعضها الآخر، كما يلحظ أنّ بعض الأقسام نُسبت إلى القاعدة، وبعضها الآخر إلى المدينة الرئيسة التي تقع فيه[١٤]، وتقع مدينة إشبيلية غرب مدينة

---

(١) قسطنطين: هو فلافيوس فاليروس ولد في نايوس في داكيا ٢٧٤م، تسلم الحكم سنة ٣٠٦م، وهوالأبن الأكبر للأمبراطور هرقل، انظر عطا، زبيدة، الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى انستايوس، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص١١٥-١١٦، وسيشار إليه فيما بعد عطا، الدولة البيزنطية.

(٢) طركونة: مدينة أندلسية تقع إلى الشمال من طرطوشه وتبعد عنها خمسون ميلاً، وهي على ساحل البحر المتوسط، بها أبنيه ومعاقل حصينة انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٨٦.

(٣) طليطله: تقع مدينة طليطله في وسط شبه الجزيرة الأيسيرية، تقع إلى الشمال منها جبال الشلات، ويحيط بها نهر تاجه من جهات ثلاث هي الشرق والغرب والجنوب أما من الشمال يحيط بها سور عظيم لحمايتها، انظر المرجع نفسه، ص٣٩١.

(٤) ماردة: مدينة رمانية اسست سنة ٢٥م، وقد فتحها العرب سنة (٩٥هــ-٧١٣م)، وهي مدينة وكورة كبيرة واسعة، وتقع إلى الغرب من قرطبة، وإحدى القواعد التي تخيرها ملوك العجم للاستقرار بها، وتقع المدينة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير الذي يسير منها إلى بطليوس ثم إلى المحيط الأطلسي انظر المرجع نفسه، ص٤٦٦.

(٥) مرشانة: مدينة من أعمال قرمونه بالأندلس، انظر المرجع نفسه ص٤٨٢.

(٦) مورور: كوره اندلسية من ضمن الكور الغربية، وهي متصلة بأحواز قرمونه وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة شذونة، وهي من كور مدينة اشبيلية، انظر المرجع نفسه، ص٤٩٧.

(٧) قرمونه: مدينة اندلسية تقع إلى الشرق من اشبيلية وإلى الغرب من قرطبة على سفح جبل وبها مسجد جامع وسوق مشهورة وحمامات ودار صناعة للأسلحة، وتعرف بمحاقلها وحصونها المنيحة، وتعد إحدى حصون اشبيلة المنيعة، وتبعد عن اشبيلية ثمانية عشر ميلاً انظر المرجع نفسه، ص٤٢٨.

(٨) لبلة: مدينة اندلسية قديمة، كانت في عهد القوط مركزا اسقفية، وهي إحدى الكور التي تقع في غربي الأندلس وتتبع اشبيلية وتبعد عنها مسافة ٤٠ ميلاً، وتبعد عن ساحل البحر المحيط بمسافة أميال، وتقع ضمن منطقة الشرف انظر المرجع نفسه، ص٤٥٦،

(٩) جيان: مدينة وكورة تقع إلى الشرق من قرطبة وتبعد عنها ١٠٠كم وإلى الشمال من كورة البيرة، وهي من أعظم مدن الأندلس في المنعة والحصانة، مشهورة بالخصب والرخص وعرفت بجيان الحرير، وتعد من الكور المجندة فقد نزلها جنذ فنسرين، انظر المرجع نفسه، ص٢٩٩.

(١٠) ريه: هي من الكور الواقعة جنوبي قرطبة وشمالي الجزيرة الخضراء، وتقع على شاطئ البحر من جهة الجنوب الغربي، ويحدها من الشرق كورة البيرة ومن الغرب كورة قبرة، وقد نزلها جند الأردن وهي كثيرة الخيرات غزيرة البركان وبها أنهار عديدة، انظر المرجع نفسه، ص٣٢٣.

(١١) إستجة: مدينة كبيرة وقديمة، تقع على نهر شنيل (نهر غرناطة)، وهي مدنية بها أسواق عامرة ومتاجر قائمة، وتقع إلى الجنوب من مدينة قرطبة وتبعد عنها ٥٦كم، انظر المرجع نفسه، ص١٩٤.

(١٢) مؤنس، حسين، فجرالأندلس، الشركة العربية للنشر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٥٣٦-٥٣٧، وسيشار إليه في ما بعد: مؤنس، فجرالأندلس.

(١٣) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٦٤.

(١٤) مؤنس، فجرالأندلس، ص٥٤٣- ٥٤٤.

قرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس[١]، وتشرف على نهر الوادي الكبير الذي يقع في جنوبيها الشرقي، وبهذا الموقع اكتسبت أهميّة تجاريّة[٢]؛ فمن الشرق تحدّها لبلة، ومن الشمال بطليوس، ومن الجنوب المحيط الأطلسي[٣]، أما بالنسبة للمسافات بين مدينة إشبيلية والمدن المجاورة لها، فيذكر المؤرخون أنّ طول المدينة من الغرب خمس مراحل؛ أي حوالي مائة ميل[٤]، وعرضها من الجزيرة الخضراء في أقصى الجنوب حوالي خمسة أيام؛ أي حوالي مائة ميل[٥].

وأمّا الإصطخري، فيحدّد المسافة بينها وبين العاصمة قرطبة بحوالي ثلاث مراحل؛ أي ستون ميلا[٦].

أطلق الأندلسيون اسم الكور على المدن الكبيرة تمييزًا لها عن المدن الصغيرة، ولمّا كانت إشبيلية من المدن الكبرى في بلاد الأندلس فقد صنفها الجغرافيون على أنها كورة، وهي تشتمل على المدن والقرى الكبيرة والصغيرة[٧]، وتمتاز هذه المدينة بكثرة المدن التي تتبع لها وبقراها المتصله بها وكورها المحيطة بها وحصونها العظيمة وأقاليمها المتعددة[٨]، ومن أقاليمها[٩]:

---

(١) M.Th.Houl, sme, A.J. Wensin. Encyclopedia of Islam, London, S-z, ١٩٣٤m, Volume IV, p٣٣١-٢٣٢ انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص١٩٨.

(٢) العذري، أحمد بن عمر بن أنس الدلائيّ (ت٤٧٨هـ - ١٨٠٥م)، نصوص عن الأندلس "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلاميّة، مدريد، ١٩٦٥م، ص٩٥، وسيشار إليه في ما بعد: العذري، نصوص عن الأندلس.

(٣) حتاملة، موسوعة الديار، ج١، ص.٧٠، انظر الياسري، عبد الكريم الخيطان، الحركة العلمية في إشبيلية (ت٩٢-٦٤٦هـ/٧١١-١٢٤٨م)، بغداد،٢٠٠١م، ص١١، وسيشار إليه في ما بعد: الياسري، الحركة العلميّة.

(٤) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسيني (ت٥٦٠هـ -١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة،ج٥، ص٥٤٠، وسيشار إليه في ما بعد: الأدريسي، نزهة المشتاق. مراحل مفردها مرحلة، من ٢٨- ٣٣ كيلو، ومتوسطها ٣٠ كيلو، وهي تساوي (٥-٦ فراسخ)، والفرسخ يساوي(٣) أميال؛ أي ٥٥٤٤ مترًا، ويساوي ١٢٠٠٠ ذراعًا، انظر فالتر هنتس،المكاييل والأوزان الإسلاميّة وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمان (١٣٩٠هـ--١٩٧٠م)، ص٩٤، وسيشار إليه في ما بعد: فالتر هنتس، المكاييل.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٠، أيام مفردها يوم، وهو يساوي(٢) بريد، والبريد يساوي (٤) فراسخ ٢٢.١٧٦ كيلو متر، وهذا يعني أنّ اليوم يساوي ٨ فراسخ، ولمّا كان الفرسخ يساوي ٣ أميال فاليوم يساوي ١٨ ميلاً. اليوم = ٤٤.٣٥٢ كم، انظر كمال، أحمد عادل، الطريق إلى المدائن، دار النفائس، بيروت، ١٩٦٨م، ص ١٤٤، وسيشار إليه في ما بعد: أحمد، الطريق إلى المدائن.

(٦) الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت) ،ص٤٦، وسيشار إليه في ما بعد: الأصطخري، المسالك والممالك.

(٧) الكورة: مصطلح إداري، هومقابل المحافظة أو المديرية في مصطلح اليوم، ولكل كورة عاصمة تتبعها مدن أخرى صغيرة تقابل المراكز في التقسيم الحالي، وقد اخذها العرب من النظام الروماني الذي وجدوه ثم عدلوه بعض الشيء بحسب ما اقتبسوه من نظم الشرق، وأول ما ظهر في سنة (١٢٥هـ -٧٥٢م)، في خبر تفريق أبي خطار للشامية على ست كور مذكورة بأسمائها (البيرة، ريّة، شذونة، إستجة، باجة، إشبيلية)، انظر مؤنس، حسين، معالم في تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٢٨٣، وسيشار إليه في ما بعد: مؤنس، معالم؛ بني ياسين، بلدان الأندلس، ص١٣٠-١٣٢.

(٨) الإقليم: هو بلد تتبعها أرض، أساس هذا النظام من المدينة، وقد أخذه الغرب من النظام الروماني. انظر البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص١١٥؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٧٩.

(٩) بني ياسين، بلدان الأندلس، ص١٩٨.

١) حاضرة طريانة: تقع على الضفة اليسرى (الغربية) لنهر الوادي الكبير مقابل إشبيلية، وكانت بمثابة متنزّه ممتدة على شاطئ النهر ويحيط بها سور من الجهة الغربية[١].

٢) إقليم البصل: هو أحد الأقاليم المرتبطة بإشبيلية، ويقع على الجهة الغربية من مدينة قرطبة وإلى الشرق من إشبيلية، ويتصل به عدد من القرى التي تتبع له، ومن قرى الإقليم (طليانة)[٢].

٣) إقليم الشعير: هو أحد أقاليم حمص الأندلس[٣].

٤) إقليم الشرق: هو أحد أقاليم إشبيلية من الأندلس[٤].

٥) إقليم أيلة: أحد أقاليم إشبيلية[٥].

٦) إقليم الفحص: هو أحد أقاليم إشبيلية، والفحص هو كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أنه يزرع فيه[٦].

٧) ناحية الشرف: سمّي بهذا لأنه مطلّ مشرف على مدينة إشبيلية، ويمتدّ من شمالها إلى جنوبها بحوالي أربعين ميلاً، ومساحته من الشرق إلى الغرب نحو اثني عشر ميلا، ويشتمل على مائتين وعشرين قرية، وهو تلّ ترأبيّ أحمر اللون، محاط بأشجار الزيتون والتين وبعض أشجار الفاكهة، ويصفه المؤرخون "شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، فرسخ في فرسخ طولاً وعرضًا، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه"[٧].

٨) ناحية طالقة: هي مدينة قديمة، وهي دار مملكة إلافارقة في الأندلس، وفيها آثار عظيمة، وهي من أعمال إشبيلية في الأندلس[٨].

٩) قرية قنبة: هي قرية بحمص الأندلس[٩].

١٠) قرية برشانة: هي أحدى قرى إشبيلية، تلفظ بالفتح وبعد الألف نون[١٠].

١١) قرية قورة: هي قرية من قرى إشبيلية، تقع إلى الجنوب منها على نهر الوادي الكبير آخر الشرف[١١].

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ج٢،ص ٣٩٢، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس٣٧٨.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٩؛ انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٨٢؛ بني ياسين، بلدان الأندلس ص٢٥٤.
(٣) بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٥٤.
(٤) بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٥٢.
(٥) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠٩.
(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٩، انظر ابن غالب، محمد بن غالب الغرناطي، من علماء القرن السادس الهجري، فرحة الأنفس، تحقيق: لطفي عبد البديع، ج٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، ص ٢٩٣، وسيشار إليه في ما بعد: ابن غالب، فرحة الأنفس؛ بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٤٠١.
(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٥٤٥، انظر الحميري، الروض المعطار، ص٥٩، المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٥٩، بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٥١.
(٨) الحميري، الروض المعطار، ج٢، ص٣٨١، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٥٨؛ بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٨٧-٣٨٨.
(٩) بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٤٤٣.
(١٠) المرجع نفسه،، ص٢٤٨.
(١١) العذري، نصوص عن الأندلس، ٩٩.

١٢) بلدة شلطيش: بلدة بالأندلس صغيرة في غربي إشبيلية على البحر[١].
١٣) بلدة طيسانة: هي بلدة في الأندلس من أعمال إشبيلية[٢].
١٤) بلدة قطرسانية: تقع غرب إشبيلية[٣].
١٥) حصن مركيش: إقليم من أعمال إشبيلية[٤].

إشبيلية قبل الفتح الإسلاميّ:

تعدّ مدينة إشبيلية من أقدم مدن الأندلس؛ وذلك لاستقرار الحضارات فيها، ومنها الدولة الترتيسية، التي استمرّت من القرن الثامن وحتى مطلع القرن الخامس ق.م، ومنحت هذه الدولة أسمها لمدينة إشبيلية كما ذكر سابقًا، وفي القرن الخامس جاء الفينيقيين الذين كان لهم أثر كبير في السكان المحليين، من خلال العلاقات المتبادلة بينهم، وبالذات العلاقات التجارية والبحرية[٥]، وقد عثر في إشبيلية في أواخر القرن السابع مطلع القرن السادس قبل الميلاد على مصنوعات برونزية تعود إلى الفنّ الفينيقي[٦]، وتم اكتشاف أقدم نقش فينيقي في أوائل القرن السادس ق.م، وهو نقش مهدى لعشتروات (آلهة الخصب والحبّ والقوى المبدعة في الطبيعة)، وهو محفور على أسفل قاعدة تمثال صغير لآلهة عارية، موجود على تلّ الكارومبولو مقابل مدينة إشبيلية[٧]، وظلّ سكان مدينة إشبيلية حتى القرن الثامن عشر الميلادي يحتفلون بالعيد الفينيقي (أدونيس)، من خلال الاحتفال بعيد القديستين خوستا وروفينا[٨]، ما يدلّ على أنّ أثار النشاط الفينيقي في إسبانيا لم يقضِ عليها نهائيًا حتى بعد هيمنة الرومان. وكان من سكان مدينة إشبيلية الإبيريون، وقد استوطنوا فيها منذ القرن الخامس حتى القرن الثالث ق.م[٩]، وكان أول ملوكها إشبان بن طيطش، الذي قيل إنه جلب حجرًا من لبنة القدس، وهو من الغرائب التي وجدت عند فتح الأندلس، ونقل رخامها إلى إشبيلية، ويذكر أنه قد أسر كثيرًا من اليهود، وجلبهم إلى إسبانيا[١٠].

ولا يعني قبولنا بما جاءت به المصادر الإسلامية بخصوص إشبان، أو ترجيحنا للرواية المتعلقة باليهود ونقلهم إلى إسبانيا، أننا نقبل بكل ما ورد حول هذا الموضوع من تفصيلات؛ إذ

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٧، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٦٠.
(٢) الروض المعطار، ج٢، ص٥٥، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٩٦.
(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ٢٩٣، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٤٣٦.
(٤) بني ياسين، بلدان للأندلس، ص٤٨٣.
(٥) يولي، الحضارة الفينيقية، ص١٠.
(٦) المرجع نفسه، ص١٦٠-١٦١.
(٧) يولي، الحضارةالفينيقية، ص١١٩-١٢٠.
(٨) المرجع نفسه، ص١٧.
(٩) المرجع نفسه، ص١٦.
(١٠) الحميري، الروض المعطار، ج٢، ص٥٩، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٧-٢١٨.

إنها تحتوي على أساطير ومبالغات لا يمكن قبولها، وذلك مثل قصة اللقاء بين إشبان وهوحرات فقير معَ الخضر الذي بشره بالملك، ومثل تقدير عدد الأسرى اليهود الذين تم نقلهم إلى إسبانيا بمائة ألف؛ إذ لو كان هذا العدد صحيحًا لأصبح عدد اليهود في إسبانيا منذ الفتح الإسلاميّ للآن بضعة ملايين؛ حيث يكون قد مضى على وجودهم في هذه البلاد نحو أربعة عشر قرنًا. وفي القرن الثالث ق.م وقع جزء كبير من إسبانيا تحت سيطرة القرطاجيين، ومنهم عائلة البركيدينو همهملقار، وصهره همر وبعل[١]. وأصبحت إشبيلية في العهد القرطاجي المركز التجاري الأول في الأندلس[٢].

وفي القرن الثاني حتى الأول ق.م وجد هؤلاء الأقوام أنفسهم تحت نير روما، مما أدّى إلى ذوبان كلتا الحضارتين (الفينيقية الإسبانية والإيبرية) في الحضارة الرومانية. وكانت مدينة إشبيلية صغيرة المساحة وبسيطة البناء، وقد أعاد يوليوس قيصر أحد ملوكها بناء أسوارها من حجر الصلد، وبنى في وسطها قصبتين تعرفان بالأخوين، وجعلها أم قواعد الأندلس، واتخذها دار ملكه، وسمّاها رومية يوليوس[٣].

ولمّا غزا القوط الغربيون[٤] إشبيلية سنة ٤١٠م استقرّوا فيها وجعلوها حاضرة لهم حتى سنة ٥٦٧م؛ إذ نقل الملك ليوفخلدوا ملكهم إلى طليطلة، وقد ازدهرت المدينة في عهد هرمنخلدو الذي اعتنق فيها المسيحية، وأسس سان إيزيدرو مدرسته المشهورة في إشبيلية[٥].

الفتح الإسلاميّ للأندلس:

بدأت الفتوحات الإسلاميّة للأندلس في عهد الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) (٧٠٥-٧١٤م)، وموسى بن نصير[٦] آنذاك والٍ على إفريقية (٧٨هـ-٦٩٧م)، وقد كان يتطلع إلى فتح الأندلس[٧]، فكتب يستأذن الخليفة بالفتح، فجاء ردّه بأن يخوضها بالسرايا

---

(١) يولي، الحضارة الفينيقية، ص١١.
(٢) سالم، في تاريخ، ص١٠٩.
(٣) الحميري، الروض المعطار، ج١، ص٥٨، انظر سالم، في تاريخ، ص١١٠.
(٤) القوط الغربيون: قبائل جرمانية قدمت من إسكندنافيا إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية، وهي قبائل غير متعلمة يغلب عليها طابع الوحشية، شكلت مع القوط الشرقيين قبائل القوط الرئيسة، انظر مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، ص٣-٤؛ طرخان، إبراهيم علي، دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٣٢-٣٣، وسيشار إليه في ما بعد: طرخان، دولة القوط.
(٥) سالم، في تاريخ، ص١١٠.
(٦) موسى بن نصير بن عبد الرحمن اللخمي، يكنّى أبا عبد الرحمن، كان مولى لبني أمية، أسره خالد بن الوليد في عين تمر شرق العراق، ولد سنة (١٩هـ-٦٤٠م)، توفي بوادي القرى بالحجاز سنة (٩٧هـ-٧١٥م)، انظر الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان (٦٣٧هـ-٧٤٨م)، سير الأعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد وشعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ج٤، ص٤٩٦، وسيشار إليه في ما بعد: الذهبي، سير أعلام.
(٧) ابن عذاري، أبو العباس بن محمد (كان حياً٧١٢هـ-١٣١٣م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س كولان وإ.ليفي بروفسال، دار الثقافة، بيروت، دار الثقافة اللبنانية، ١٩٨٣م، ج٢، ص٨، وسيشار إليه في ما بعد: ابن عذاري، البيان المغرب.

حتى يختبرها، وألا يقحم المسلمين في بحر شديد الأهوال[١]، وقد كان الهدف من عمليّة الفتح استكمالَ فتح شمال المغرب لحماية ما فتحه المسلمون في إفريقية ولنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله[٢]، وهناك أسباب غير مباشرة مهّدت الطريق أمام العرب للسيطرة على إسبانيا، منها: الوضع السياسيّ في إسبانيا؛ إذ كان القوط يحكمونها، وكان ذلك في ٥٠٧م أوائل القرن ٦م، وكان نظام الحكم القوطيّ نظامًا ملكيًّا انتخابيًّا[٣].

فضلاً عمّا سلف، فقد كانت إسبانيا حينذاك بيئة خصبة للخلافات والنزاعات بين الطامعين في الوصول إلى العرش في حالة ضعف السلطة الحاكمة في البلاد[٤]، وهم قبائل بربرية جرمانية اقتسمت أملاك روما الغربية واستولت على إيطاليا وفرنسا، وكانت إسبانيا من نصيب القوط الغربيين التي هبطت من شمال أوروبا، غير أنّ أمرهم بدأ يضعف، وقسّمت إسبانيا إلى دوقيات، كل دوقية يحكمها حاكم. أمّا الوضع الإجتماعيّ، فقد عانى سكان إسبانيا من شدّة سوء معاملة القوطيين لهم، وحل بأهلها الوباء أعوام (٨٨-٩٠هـ / ٧٠٧-٧٠٩م) حتى مات أكثر من نصف سكانها، وفرضت الضرائب على الفقراء بينما أعفي الأغنياء منها، والمجتمع الإسباني آنذاك كان غير متماسك، ينعدم التجانس بين طبقاته، إضافة إلى أنه كان يعاني من الفوضى والفساد الاجتماعيّ[٥]. وأمّا في ما يتعلق بالوضع الديني، فقد سيطر عليه أساقفة الكنيسة، التي بسطت نفوذها على شؤون الدولة، فكان أن هيّأت هذه الظروف مجتمعة لنجاح عملية الفتح الإسلامي لإسبانيا[٦].

عودًا على ما سلف، فقد استجاب موسى لأمر الخليفة الوليد؛ فأرسل أبا زرعة[٧] على رأس سرية صغيرة مؤلفة من أربعمائة راجل ومئة فارس في مهمّة استطلاعية، نزلت في جزيرة صغيرة تسمّى (لاس بالو ماس) على الشاطئ الإسباني، دُعيت في ما بعد باسم جزيرة طريف[٨]، ثمّ إنه نفّذ مع أصحابه سلسلة من الغارات على الساحل، وكان ذلك في عام (٩١هـ-

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٢.

(٢) خطاب، محمود خطاب، الأندلس وما جاورها، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج٤، مجلد ٣٨، بغداد ١٤٨٠هـ-١٩٨٧م، ص٨٤-٨٥، وسيشار إليه في ما بعد: محمود خطاب، الأندلس.

(٣) لوبون، جوستاف، حضارة العرب، دار اجياد الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م، ص٢٨٥، وسيشار إليه في ما بعد: لوبون، حضارة العرب

(٤) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، العهد الأول، القسم الأول مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٨-٢٩، وسيشار إليه فيما بعد عنان، دولةالإسلام.

(٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٥.

(٦) عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٤٠.

(٧) أبو زرعة هو طريف بن مالك المعافري، وهو بربريّ من موالي موسى بن نصير، اختاره موسى لجولته الاستطلاعيّة إبّان فتح الأندلس؛ لبراعته في فنون القتال، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٣،٢٣٠؛عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٤٠ ؛ العمايرة، محمد نايف، طريف بن مالك المعافريّ المُكنّى بأبي زرعة والتمهيد لفتح الجزيرة الإيبيريّة (الأندلس)، بحث منشور في كتاب بحوث ودراسات مهداة إلى الدكتور محمد حتاملة، منشورات عمادة البحث العلمي، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص٣٨٠-٣٨٣، سيشار إلليه في ما بعد: العمايرة، طريف.

(٨) جزيرة طريف: جزيرة أندلسية تقع على ساحل البحر المتوسط، وهي مدينة صغيرة عليها سور من تراب، بها أسواق وحمّامات، سمّيت بذلك بسبب نزول طريف عليها، انظر الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٢.

٧٠٩م) فغنموا وجمعوا المعلومات عن البلاد، وقد شجّعت هذه الغارة الاستطلاعية الاستكشافية موسى على إطلاق حملة عسكريّة أكثر عددًا وقوّةً وتنظيمًا؛ لفتح الأندلس، بقيادة طارق بن زياد[١]، وكان ذلك في رجب سنة (٩٢هـ - ٧١١م) [٢].

ركب طارق السفن في سبعة آلاف رجل جُلّهم من البربر وأقلهم من العرب، وأرست السفن مراكبها قبالة الجزيرة الخضراء بمساعدة يوليان؛ ليدله على عورات البلاد عند جبل سُمّي في ما بعدُ بجبل طارق[٣]، وعرف أيضًا بجبل الفتح، وكان نزول المسلمين في الوقت المناسب؛ إذ كان لذريق ملك الأندلس الذي اغتصب عرش إسبانيا سنة (٧٧هـ -٦٩٦م) مشغولاً في إخماد ثورات في شمال البلاد، ولم يمضِ وقت حتى اشتبك طارق معَ فرقة إسبانية بالقرب من الجزيرة الخضراء واحتلها[٤]، وهي أول مدينة تمّ افتتاحها[٥]، وعندما علم لذريق بذلك ترك ثورة سكان بنبلونة[٦] واستعدّ لمواجهة طارق، فجهّز جيشًا ضخمًا يقدّر بين أربعين ألف ومائة ألف، وعاد به إلى الجنوب، فالتقى الجيشان فى يوم الأحد ٢٨ من رمضان سنة (٩٢هـ - ٧١١م) على نهروادي لكة (في أحواز كورة شذونة)[٧]، واقتتل المسلمون والقوط في هذه المعركة اقتتالاً شديدًا، وكانت نتيجته هزيمة القوط وانتصار المسلمين، الذين احتلوا المعسكر وغنموه[٨].

وتعدّ معركة وادي لكة من المعارك المهمّة في التاريخ الإسلامي؛ إذ أدت إلى القضاء على دولة القوط الغربيين التي استمرّ حكمها نحو ثلاثمائة عام.

---

[١] طارق بن زياد بربري من قبيلة نفزة، وكان جنديًا شجاعًا، ظهر في غزوات المغرب، وهو مولى لموسى بن نصير، وقيل إنه فارسي من همذان، توفي سنة (١٠٢هـ-٧٢٠م)، انظر ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢، ص٦، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٤ .

[٢] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٣، انظر محمود خطاب، الأندلس، ص٨٧.

[٣] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٥-٢٥٩.

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩، انظر الحجي، عبد الرحمن، التاريخ السياسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط١، دار العلم، دمشق، ١٩٩٤م، ص٤٦، وسيشار إليه في ما بعد: الحجي، التاريخ السياسي.

[٥] الجزيرة الخضراء: أول مدينة تم افتتاحها في الأندلس وهي قاعدة هذه الكور وبها بساتين وجنان، تقع شرقي شذونة وشمال قرطبة، هي من أشرف المدن وأطيبها أرضًا، متصلة البنيان، مطلة على نهر شلطيش، طولها نحو ميل، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٢٩١.

[٦] بنبلونة: مدينة أندلسية بينها وبين سرقسطة مائة وخمس وعشرون ميلاً، تقع بين جبال شامخة، وهي قليلة الخيرات، انظر الحميري، الروض المعطار، ج١، ص١٠٤.

[٧] شذونة: إحدى كور الأندلس الغربيه، تقع في الجنوب الغربي من الأندلس، وتحدها من الجهة الشرقية الجزيرة الخضراء، وتصل أحوازها شمالاً حتى تلتقي بكورة مورور، وهي من الكور المجندة، نزلها فلسطين من العرب، تربتها خصبة، لجأ إليها أهل الأندلس في سنوات القحط التي أصابت بلادهم، انظر الحميري، الروض المعطار، ج٣، ص٣٣٩؛ بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٤٩.

[٨] المقري، نفح الطيب، ص ٢٥٧-٢٥٨، انظر سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص٧٩، وسيشار إليه في ما بعد: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، انظر محمود خطاب، الأندلس، ص٨٧ .

تلا ذلك أن اتجه طارق لفتح مدن الأندلس؛ لأنّ أبواب الأندلس قد فتحت أمامه، ففتح "إستجة" عنوة، وانتهى إلى "طليطلة"، وأخذ يوزّع السرايا لفتح[١] "غرناطة"[٢] "ومرسية"[٣] "ومالقه"[٤]، وقام مغيث الرومي[٥] بفتح" قرطبة".

وفي سنة (٩٣هـ -٧١٢م) وصل إلى طارق كتاب واليه موسى بن نصير يطلب منه أن يتوقف عن الفتح وينتظره في المكان الذي يصله فيه هذا الكتاب. ولعلّ هذا الطلب إمّا أن يكون بسبب حسد موسى وغيرته من الغنائم التي حصل عليها طارق، وهو أمر مستبعد؛ لأنه لو كان ذلك صحيحًا لما بعث طارقًا على رأس الجيش الإسلامي لفتح الأندلس، وإمّا لخوفه على المسلمين من التوغل بعيدًا داخل إسبانيا، وهذا ممّا يمكن قبوله[٦]. عبر الوالي موسى إلى الأندلس بجيش عدده ثمانية عشر ألفًا، ونزل موضع الجزيرة الخضراء، فلقيه يوليان وأتباعه وعرضوا عليه أن يرشدوه في دخوله إلى الأندلس، فسلك طريقًا مختلفًا عن طريق طارق، وأخذ يفتح مدينة تلو أخرى[٧]، ففتح مدينتي: "شذونة" و "قرمونة"، وعندها وصل إلى ماردة حاصرها، ثمّ فتحت له أبوابها بعد عناء طويل، فصالح أهلها على الجزية[٨].

فتح إشبيلية:

أمّا عن مدينة إشبيلية، فقد اختلفت الروايات التاريخية في مسألة فتحها، هل كان صلحًا أم عنوة؟ ويكمن الاختلاف في هذه الروايات حول تحديد شخصية القائد الفاتح، هل هو موسى بن نصير أم طارق بن زياد؟ فابن الشباط، وقد وافقه في رأيه المقري، يذكر أنّ القائد طارق بعد فتحه مدينة قرمونة التي تقع شرق إشبيلية، توجه نحو مدينة إشبيلية وصالح أهلها على الجزية[٩]، في حين أنّ ابن القوطية وابن أبي فياض وابن الكردبوس يشيرون إلى أنّ فتح إشبيلية

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق١، العهد١، ص٤٩.

(٢) غرناطة: هي أقدم من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، يشقها نهر حدارة، افتتحها طارق بن زياد بعد انتصاره في معركة لكة، ولم تبلغ أهمية كبيرة حتى عهد الخلافة، ولكنها أخذت أهميتها في عهد زاوي بن زيري سنة ٤٠٧هـ، وتقع إلى الشمال من جبل شلير على هضات مرتفعة، وتعرف المدينة، بمدينة اليهود، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٩٨.

(٣) مرسية: مدينة بالأندلس اشتهرت في عهد المسلمين، تقع جنوب مدينة أوريولة في بسط فسيح، من أعمال تدمير، وهي ذات أشجار وحدائق، ومن مرسية إلى بلنسية شمالاً خمس مراحل وبينها وبين المرية إلى الجنوب الغربي خمسة مراحل إلى قرطبة عشرة مراحل، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٩٨.

(٤) مالقة: مدينة أندلسية تقع جنوب مدنية ريه على ساحل البحر المتوسط في مكان فسيح منبسط محصوره بين جبل أره من الشرق ونهرها المعروف بوادي المدينة من الغرب من أعمال رية، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمدينة، وهي مدينة حسنة آهلة كثيرة العمران، فيها يصنع الفخار. انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٤٦٩.

(٥) مغيث الرومي: كان روميًّا، وهو أحد موالي الوليد بن عبد الملك، دخل الأندلس مع طارق بن زياد سنة (٩٢هـ-٧١٠م)، واتجه لفتح مدينة قرطبة ففتحها وأسر حاكمها، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٥.

(٦) مؤنس، معالم، ص٢٣٧.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٤-١٦.

(٨) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧١

(٩) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص١٤، انظر ابن الشباط، محمد بن علي بن محمد بن الشباط التورزي (ت٦٨١هـ-١٢٨٢م)، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلاميّة، مدريد، ١٩٧٩م، ص١٣٨، وسيشار إليه في ما بعد: ابن الشباط، صلة السمط؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٦،٢٦٩؛ العمايرة، محمد نايف، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان، ط١، الأردن، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٣٥ وسيشار إليه في ما بعد: العمايرة، مراحل سقوط.

قد تمّ على يد القائد موسى ابن نصير، الذي فتح المدينة بعد فتحه مدينة قرمونة سنة ٩٣هـ، وأنّ عملية الفتح جاءت بعد حصار دام أشهرًا عدة لم يتمكّن معه سكان المدينة من الصمود طويلا، الأمر الذي مكّن القائد موسى من دخولها عنوة وفتحها[١].

يتّضح من تلك الروايات أنّ فتح إشبيلية قد تمّ بعد فتح مدينة قرمونة، لكن الاختلاف هنا لا يتعلق بأسبقية مدينة دون أخرى، إنما بعملية الفتح واسم القائد، فالروايتان لا تتفقان في ذلك بالرّغم من اتفاقهما على أنّ فتح إشبيلية قد تمّ بعد فتح قرمونة؛ فالرأي الأول يشير إلى أنّ فتح إشبيلية قد تمّ صلحًا بعد دفع أهلها الجزية، وأن القائد الذي تولى عقد الصلح هو طارق، أمّا الرأي الآخر، وهو الراجح؛ لأنه يشير إلى أنّ فتح إشبيلية قد تم عنوةً بعد حصار دام أشهرًا عدة اضطر أهلها إلى الاستسلام وفتح الأبواب[٢].

وهذا يدلّ على أنّ المدينة كانت محصّنة بأسوار دفاعية، ممّا جعلها تصمد مدّةً طويلة أمام الجيش الإسلامي، وقائده ذي الخبرة العسكرية موسى بن نصير. وممّا يدل على أن إشبيلية فتحت عنوة، تمرّد أهلها على الحامية العسكرية التي تركها القائد موسى، فعند مغادرة القائد موسى إشبيلية إلى مدينة ماردة لفتحها تمرّد السكان (أهل الذمة)على الحامية، وكذلك فإنّ ممّا يشير إلى أنّ فتح مدينة إشبيلية لم يتمّ على نحو كامل، أنّ موسى أرسل ابنه عبد العزيز في حملة لإعادة فتح المدينة وإخضاعها[٣].

وبعد اللقاء بين الوالي موسى والقائد طارق في طليطلة سنة (٩٤هـ-٧١٢م)، اتجها معًا نحو الشمال لاستكمال عمليات الفتح، ففتحا مناطق عدة، منها "برشانة"، ثمّ اتجها إلى مدينة "سرقسطة"[٤]، وهي أعظم مدن الشمال، وقد أرسل موسى آنذاك سرية خلف جبال إلبرت، التي تفصل فرنسا عن بلاد الأندلس؛ كي يصل إلى القسطنطينية من الغرب[٥]، غير أنّ الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أرسل إليه كتابًا يأمره فيه بالعودة إلى دمشق[٦]، وتريث موسى قليلاً

---

[١] ابن القوطية، أبو بكر محمد عبد الله (ت٣٦٧هـ -٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة،١٩٨٢م،ص ٣٥، وسيشار إليه في ما بعد: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، انظر أحمد بن سعيد بن أبي فياض (ت٣٦٧هـ -١٠١٦م)، قطعة من كتاب العبر، تحقيق: عبد الواحد ذنون طه، مجلة مجمع العلمي العراقي، مجلد ٣٤، ج١، ١٩٨٣م، ص١٣٤، وسيشار إليه في ما بعد: ابن أبي فياض، كتاب العبر؛ ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (عاش في ق٦هـ)، قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٤٩، وسيشار إليه في ما بعد: ابن الكردبوس، كتاب الاكتفاء.

[٢] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، (١٤١٠هـ-١٩٨٩م)، ص٢٧، وسيشار إليه في ما بعد: مجهول، أخبار مجموعة، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٧١.

[٣] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري الشيباني (ت٦٣٠هـ-١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ج٥، بيروت، ١٩٦٧م، ص ١٢٣، وسيشار إليه في ما بعد: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢.

[٤] سرقسطة: مدينة مشهورة، تقع شمال شرق الأندلس، وتعرف بالثغر الأعلى، وتقع على خمسة أنهار تحيط بها من جوانبها هي نهر أبرو ونهر جلق ونهر شلون ونهر روية ونهر فنتش ولهذا عرفت بأنها أطيب البلدان بقعة، وأكثرها ثمراً، وهي غزيرة الخيرات، وهي مبنية على شكل صليب ولها أربعة أبواب تتصل أعمالها بأعمال طليطلة، اشتهرت بنسج الثياب. انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٣٤.

[٥] العمايرة، مراحل السقوط، ص٢٧-٣٨، انظر محمود خطاب، الأندلس، ص٨٩؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، العهد١، ص٥٢.

[٦] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٥-٢٧٦.

ريثما يتسنّى له إكمال فتح إسبانيا، وإذا برسول آخر بعثه الخليفة الوليد يأمره بالخروج منها، فسار معَ طارق ومعهما الغنائم متجهَين صوب العاصمة الأموية دمشق[١].

لم يكتف موسى بهذه الفتوحات؛ إذ أرسل ابنه (عبد العزيز)[٢] إلى غرب الأندلس، فتوغل فيها حتى وصل إلى "لشبونة"[٣]، وبذا فإنّه يُعدّ فاتح البرتغال. وقد ظلّ المسلمون يفتحون مدن الأندلس المدينة تلو الأخرى حتى تمّ الانتهاء من فتح بلاد الأندلس، إلا منطقة الصخرة الواقعة على خليج بسكاي شمال إسبانيا. وهكذا فإنه في مدّة زمنيّة قدرت بثلاث سنوات، ابتداء من (٩٢-٩٥هـ) إلى (٧١١-٧١٤م)، تمّ للمسلمين فتح الجزيرة الإيبرية[٤].

إشبيلية في عهد الولاة (٩٥ـ١٣٨هـ/٧١٤ـ٧٦٥م):

عُرفت الفترة الأولى من الحكم الإسلاميّ في الأندلس بعصر الولاة؛ إذ كان الحاكم حينئذٍ يُعرف بالأمير أو الوالي، وأطلق هذا اللفظ مجموعًا على هذه الفترة التاريخيّة، فأصبحت تُعرف بفترة عصر الولاة[٥]. وقد تولى حاكم إفريقيّة تعيين ولاة الأندلس في معظم الأحيان، وتبعوا لإدارته[٦]، وفي أحيان أخرى تدخلت الخلافة الأموية مباشرة في تعيين هؤلاء الولاة، وعيّن أهالي الأندلس بأنفسهم من يلي أمرهم في مرّات أخرى، وانتظروا الموافقة على هذا الإجراء إمّا من حكومة إفريقية أو من دمشق مقرّ الخلافة الأموية[٧]، وقد بلغ عدد ولاة الأندلس في هذه الفترة بعد عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق عشرين واليًا في مدة زمنية تقدر بثلاثة وأربعين عامًا (٩٥ – ١٣٨هـ / ٧١٤ – ٧٥٦م)، وانتهى هذا العصر بتولي الأمير عبد الرحمن الداخل أمر الأندلس[٨].

تولى أمر الأندلس بعد الفتح عبد العزيز بن موسى بن نصير، وكان أول والٍ على الأندلس من قِبل والده موسى الذي عيّنه عليها قبل رحيله إلى دمشق في شهر ذي الحجة سنة (٩٥هـ - ٧١٤م)، واتخذ له حاضرة إشبيلية عاصمة للأندلس[٩]؛ لتكون قاعدة حكمه، وترك

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٥٦٦.

(٢) عبد العزيز: هو عبد العزيز بن موسى بن نصير اللخمي، لا يعرف تاريخ ولادته، ولاه أبوه أمر الأندلس سنة خمس وتسعين للهجرة، فضبطها وحمى ثغورها، وقتل في الأندلس سنة سبع وتسعين للهجرة، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣.

(٣) لشبونة: هي مدينة بالأندلس، قديمة قريبة من البحر المتوسط غربي قرطبة، تتصل أعمالها بعمل شنترين، وهي مبنية على نهر تاجة، وتشتهر بالعسل، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٤٦١.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٣، انظر عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٥٥؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص١١٨؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٠٩.

(٥) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٣١-١٣٢.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٣٩-٤٠.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٢٦.

(٨) المقري، نفح الطيب،ج١، ص٢٤٩، انظر أبو زيدون، وديع، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الأهلية للنشر، عمان، الأردن ٢٠٠٥م، ص١٥١، وسيشار إليه في ما بعد: أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢، ص٢٣.

حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري[١] ليعاونه في إدارة شؤون الأندلس[٢]؛ لوقوعها على مقربة الشاطيء الغربي؛ وليكون على اتصال بالمغرب العربي، خاصة بعد سيطرة المسلمين على الخطوط بين بلاد المغرب والأندلس، ولكنّ هذا الامتياز كونها عاصمة المسلمين الأوائل لم يستمرّ إلا لثلاث سنوات؛ بسبب نقل العاصمة إلى قرطبة، وكانت مدة حكمه سنتين، وقد أشادت المصادر بجهوده لخدمة الأندلس؛ فكانت أول أعماله تنظيم البلاد، وإدارة شؤونها المتمثلة في عقد صلح معَ أهل ماردة[٣]، ثمّ قيامه بحملة غرب الأندلس، والعمل على بناء مسجد رفينة، وتشجيعه على الزواج بين العرب والإسبان، ممّا يدلّ على سياسة الرفق والتسامح التي اتبعها[٤].

تزوّج عبد العزيز موسى بن نصير من امرأة قوطيّة هي أرملة لذريق، ملك القوط، واسمها "أجيلونا" (Agilona) أيلة، وكنيتها أمّ عاصم، ولعلّ هدفه من هذا الزواج كان كسب ودّ قومها القوط، ومن أجل تحقيق التعايش والاندماج السكاني، وقد أسكنها في جزء من كنيسة توجد في إشبيلية[٥].

تذكر بعض الروايات أنّ أم عاصم كانت تنماز بالذكاء الخارق، والجمال الفتان، وبهما استطاعت أن تملك قلب عبد العزيز موسى بن نصير وعقله، فقالت له يومًا: "إنّ الملوك إذا لم يتوّجوا فلا ملك لهم، فلو عملت لك ممّا بقي عندي من الجوهر والذهب تاجًا؟ فقال لها: ليس ذلك في ديننا، فقالت له: من أين يعرف أهل دينك ما أنت عليه في خلوتك؟"[٦].

وفي ذات يوم، وهو جالس معَ زوجته أمّ عاصم دخلت امرأة زياد بن النابغة التميميّ[٧]، فرأت التاج على رأسه، فأخبرت زوجها بما رأت، وطلبت منه أن يلبس مثله، فأنكر ذلك، وأعلم زياد ابن أبي عقبة بن نافع، وأخبر جنده، ثمّ إنهم رأوا ما كان عليه، فانتشر الخبر بين المسلمين في الأندلس بأنه تنصّر[٨]

---

(١) عقبة بن نافع: هو من سلالة حبيب بن عقبة بن نافع، دخل الأندلس مع موسى بن نصير، اتهم بأنه قتل عبد العزيز بن موسى توفي توفي في إفريقية سنة (١٢٣هـ-٧٤٠م)؛ انظر الحميدي، أبوعبد الله محمد بن فتوح الأزدي (ت٤٨٨هـ-١١٠٦م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٨٧، سيشار إليه في ما بعد: الحميدي، جذوة المقتبس.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩.

(٣) تدمير: من كور الأندلس، تتصل بأحواز كورة جيان، تقع شرق قرطبة، وبينهما سبعة ايام ولها معاقل ومدن سُمّيت باسم ملكها النصراني تدمير بن عبدوش، فتحها عبد العزيز صلحًا، انظر الحميري، الروض المعطار، ص١٣١؛ بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٢٨٢.

(٤) عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٧٠.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣، انظر حتاملة، محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، عمان، الأردن، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠)، وسيشار إليه في ما بعد: حتاملة، الأندلس.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٧-٢٨، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣.

(٧) زياد بن النابغة: من وجوه الجند الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير، وهو الذي قتل عبد العزيز بن موسى أمير الأندلس بعد أبيه حيث ثاروا به، انظرالحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٠٣.

(٨) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٨، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤.

ولم تكتف أرملة لذريق بذلك، بل عملت على إغرائه باتخاذ مظهر من مظاهر الأبّهة الملوكيّة، متحدثة له: "مالي لا أرى أهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدوا لك"، فأمر بباب صغير وجعله قصيرًا ليدخل العامة عليه منكّسي رؤوسهم تعظيمًا له، فظنوا أنهم يسجدون له، فثار قوادّ الجيش وقتلوه[١].

توفي عبد العزيز مقتولاً سنة (٩٧هـ - ٧٠٥م)، وقد اختلفت الأسباب حول مقتله، فبعضهم يقول إنّ زواجه من أم عاصم، التي كانت على درجة كبيرة من الجمال والذكاء، أثار غضب كثير من كبار قوّاده، على الرّغم من أنهم تزوّجوا من زوجات مسيحيّات، أمثال زياد بن النابغة،إلا أنّ معظم هؤلاء كانوا لا يشعرون بارتياح من زواج عبد العزيز هذا[٢].

وبذا، فإنّ ذلك قد أدى إلى سوء العلاقة بينه وبين قادته؛ لأنها كانت تحرّضه على الاستقلال بالأندلس، وأن يؤسس مملكة مستقلة عن الخلافة الأموية بدمشق، فضلاً عن إقناعها له بوضع التاج على رأسه تشبّهًا بالملوك، وكذا الانحناء له بطريق غير مباشر، فانتهى الأمر إلى مقتله بعد أن أتُّهم بالتنصّر[٣]. أمّا الرأي الآخر، فقال: إنّ سبب مقتله ظهورُه أمام قوادّه بشيء من الاستياء والسخط على تصرّف الخليفة سليمان بن عبد الملك نحو أبيه من سوء المعاملة، فاعتبر قوادّ جيشه أنّ هذا خروجًا على طاعة الخليفة الأموي، فأمر الخليفة سليمان بقتله، فكتب إلى ابن أبي عبدة الفهري وزياد بن النابغة التميمي بتنفيذ أوامره[٤].

وكان ذلك عند صلاة الفجر في مسجد رفينة، وكان يقرأ فاتحة الكتاب، وتلاها بسورة الواقعة، وما إن انتهى من الآية الأولى حتى ضربه حبيب بن أبي عبدة بالسيف فجرحه، وقطع صلاته وخرج من المسجد، فلحقه ابن النابغة وقتله بالسيف [٥] وأرسل برأسه إلى أبيه المسجون عند الخليفة سليمان، وتصبّر لهذا المصاب وقال: "قتلتموه صوّامًا قوّامًا"[٦].

وقد تعدّدت الأسباب في اغتياله، لكنّ النتيجة واحدة هي مقتله، وإنّ الرواية الأولى التي تدّعى بأنه لبس التاج فتنصّر ليست صحيحة؛ لأنّ لبس التاج لا يعني التنصّر، ومن غير المعقول أنّ قائدًا مسلمًا أدّى وأبوه دورًا بارزًا في فتح الأندلس، ونشر الإسلام فيها، تنصّر، بعد هذا المجد الذي حققه في الأندلس. أمّا ما قيل بأنّ الخليفة سليمان أمر بقتله فرواية غير مقبولة؛ لأنّ الخليفة سليمان باستطاعته عزل عبد العزيز وتعين والٍ آخر، ولعلّ ما جعل بعضهم يعتقد بأنّ

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤.
[٢] طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيّة والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٢م، ص٣٣٤، وسيشار إليه في ما بعد: عبد الواحد، الفتح والاستقرار.
[٣] عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٧١.
[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤- ٢٥، انظر ابو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي، ص١٣٠.
[٥] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤، انظر الصوفي، خالد، تاريخ العرب في الأندلس، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، ليبيا، ١٩٧١م، ص١٩٨، وسيشار إليه في ما بعد: الصوفي، تاريخ العرب.
[٦] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١١٤ – ١١٥.

هذا السبب وراء قتله هو موقف الخليفة سليمان تجاه والد عبد العزيز، وسوء المعاملة معه، وعزل عبد الله أخوه عن ولاية إفريقيّة[١]، وتعدّ حادثة قتل عبد العزيز إحدى المآخذ والنواقص التي يمكن تسجيلها على عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، وأنّ سليمان عندما علم بمقتل عبد العزيز شقّ عليه ذلك، وأرسل إلى عماله في الأندلس وإفريقيّة طالبًا منهم التحقق في ظروف مقتله والقبض على القتلة[٢].

تعدّ هذه الرواية الأرجح؛ إذ لا يعقل أن يُقدم الخليفة سليمان على مثل هذه الفعلة، مع شخص مثل عبد العزيز صاحب الدَّور الواضح في فتح الأندلس، ولذا فإنّ الخليفة طالب عماله بالتحقيق في ظروف مقتله، وممّا يؤيد ذلك بقاء الأندلس مدّة طويلة بعد مقتله من غير والٍ، لكنّ ما يمكن ترجيحه أنّ السياسة التي اتبعها عبد العزيز مع المسيحيين قد انمازت باللين والتسامح، وسرعان ما جعل العرب يدركون أنّ هذا يؤذي مصالحهم ويحدّ من سيطرتهم على الأراضي، فبدأوا بالتآمر عليه، وقد أذيعت الشائعات العديدة عليه بين رجال القبائل العربية في إشبيلية، وكان من بينها أنه يضع التاج على رأسه؛ لتكون سببًا مقبولاً عند عامة الناس عند اغتياله، وحتى لا ينالوا عقابًا من الخلافة الأمويّة، فرجّحوا الشائعات بأنه تنصّر؛ فقتلوه باسم الخلافة الأموية في دمشق[٣]، ولم يستمر عبد العزيز في ولاية الأندلس سوى عامين (٩٥-٩٧هـ / ٧١٤-٧١٥م). وعلى الرغم من قصر مدته فإنه يعدّ من أشهر ولاة الأندلس؛ حيث ثبّت دعائم السيادة هناك[٤].

وقد أهملت المصادر التاريخية الحديث عن الفتوحات التي قام بها عبد العزيز بن موسى، رغم أهميّتها في تثبيت حكم المسلمين في الأندلس، وكلّ ما نجده، أو نقرأه عن ذلك من النصوص، لا يعطينا فكرة واضحة عن فتوحاته، ومنها: "قام عبد العزيز بفتح مدائن[٥] الأندلس"، وجاء في نصّ آخر أنه: "أقام في ولايته يفتح مدائن كثيرة"[٦].

ولاية أيوب بن حبيب اللخميّ على إشبيلية:

ينتمي أيوب بن حبيب اللخمي إلى قبيلة لخم اليمنية المشهورة، وكان من وجوه العرب ومن أبرز القادة الذين شاركوا في فتح الأندلس سنة (٩٢-٩٥هـ / ٧١١-٧١٤م)، وهو ابن

---

[١] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت٨٣٣هـ/١٣٧٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نجار، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ج٢٣، ص٥٤ – ٥٥، وسيشار إليه في ما بعد: النويري، نهاية الأرب.
[٢] مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٠-٢٢، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤-٢٥.
[٣] ابن أبي فياض، العبر، ص١٣٤-١٣٥.
[٤] سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١١٥.
[٥] ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٣٦، انظر مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٨.
[٦] مجهول، أخبار مجموعة، ص٢١.

أخت الوالي موسى بن نصير فاتح الأندلس، ويُعدّ ثاني ولاة الأندلس بعد رحيل الوالي عبد العزيز، وقد نصّبه الجند ورؤساء القبائل أميرًا عليهم سنة (٩٧هـ ٧١٦م) بسبب الفوضى التي عمت الأندلس وعدم الاتفاق على تعيين من سيلي الأمر فيها، فأصبحت الأمور تستلزم اختيار والٍ على الأندلس، لوقف هذه الفوضى، فقد اختاروه ليؤمّهم في صلاتهم لمّا علموا بصلاحه وتقواه ومكانته[١]،وذلك بعد أن بقوا مدّة من غير والٍ، بعد مقتل الوالي عبد العزيز على يد ثوار العرب. ومن أشهر أعماله بناؤه قلعة أيوب الشهيرة، التي عُرفت باسمه (قلعة أيوب)، وتقع جنوب سرقسطة إلى الشمال الشرقي من طليطلة[٢]، وقيل إنه تآمر مع قادة الجند في الأندلس من أجل تدبير مقتل عبد العزيز؛ حتى يتمّ التخلص منه، ويتولى هو أمر الأندلس من بعده، فاستجاب أيوب لهم، وتولى الحكم في الأندلس[٣]. ومن خلال الاطلاع على المصادر الإسلامية فإننا نعثر على فتوحات أو أعمال حربية تمّت في عهد أيوب اللخمي، وهذا يعود إلى قصر مدّة حكمه، التي لم تتعد الستة أشهر، ثمّ عُزل بعدها[٤].

إشبيلية في عهد الوالي الحرّ بن عبد الرّحمن الثقفيّ (٩٧-١٠٠هـ/٧١٦-٧١٩م):

كان قدوم الحرّ بن عبد الرّحمن الثقفيّ إلى إشبيلية سنة (٩٧هـ - ٧١٦م)، وما إنْ تولى حتى قام على نقل الحاضرة منها إلى مدينة قرطبة، وكان السبب وراء ذلك التوتر الذي حدث فيها بعد اغتيال الوالي عبد العزيز بين أنصاره وخصومه (٩٧هـ-٧١٦م)، ثم إنّ قرطبة لم تكن عند خروج الوالي موسى والقائد طارق مناسبة لاتخاذها حاضرة؛ بسبب أنّ الأراضي من حولها لم تكن محسومة لصالح المسلمين من حيثُ السيطرة عليها، بينما الأراضي خلف إشبيلية من جهة نهر الوادي الكبير الذي تقع عليه كانت محسومة لصالح المسلمين، وبالتأكيد فإنّ الوصول إلى مياه الأطلسي أقرب من إشبيلية، بينما قرطبة التي تقع على النهر نفسه تقع إلى الشمال الشرقي عن إشبيلية؛ وبذا فإنها قريبة من منطقة الصخرة ومن فرنسا، وهما من مصادر الخطر عليهم، وتتماز بموقعها المتوسط، وقربها من منازل العرب شرقًا وجنوبًا في الأندلس[٥].

ولاية أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبيّ (١٢٥-١٢٩هـ/٧٤٤-٧٥١):

---

[١] عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٧٢.
[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤.
[٣] مؤنس، فجر الأندلس، ص١٣٣.
[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥، انظر المقري، نفح الطيب، ج١.
[٥] ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٣٨-٣٩، انظرعنان، دولة الإسلام ق١، عهد١، ص٢٥؛ طه، عبد الواحد ذنون إشبيلية في التراث العربي دراسة في نشأةالمدينة وفتحها وتوزيع القبائل العربية والبربرية فيها في العهد الأموي، منشوركلية الآداب في الموصل، العراق، ١٩٨٦م، سيشارإليه: عبد الواحد، إشبيلية؛ مؤنس، فجرالأندلس، ص١٣٣.

وصل أبو الخطار على رأس الطالعة (المجموعة) الثانية من الشاميين للأندلس بعد طالعة بلج بن بشر[١] الأولى، وبعث من قبل حنظلة بن صفوان والي إفريقيّة باختيار من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ[٢].

اتبع الوالي أبو خطار في الأندلس سياسة العدل والإنصاف، وتوحّدت في عهده كلمة المسلمين، ووزع الشاميين على كور الأندلس، فنزل أهل دمشق بألبيرة[٣]، وأهل الأردنّ بريّة، وأهل فلسطين بشذونة، وجيان أسكنها بأهل مصر، وكان لأهل حمص حصة إشبيلية، وعاد الاستقرار والهدوء النسبي إلى الأندلس حينًا، ويبدو أنّ داء العصبية القبلية كان متجذّرًا في النفوس، وما هي إلا برهة من الزمن حتى غلبت النزعة القبليّة على والي الأندلس، فكان أبو الخطار يمنيًّا متعصّبًا، ووصلت به عصبيته إلى أنه تحاكم إليه يمنيّ وقيسيّ، وكان الأخير أبلغ حجّة من اليمني[٤] ولكنْ غلبتِ العصبيّةُ عليه فحكم لليمني، فما كان من القيسيّ إلا أن ذهب إلى زعيم قومه الصميل بن حاتم[٥] ليطلب حقه المسلوب، فذهب زعيمه إلى أبي الخطار فأهان الصميل وضربه حتى أوجعه، وكان ذلك إنذارًا بإشعال نار الحرب مرة أخرى بين القيسيّة واليمنية. علمًا بأنّ العصبية القبلية كانت موجودة بل متجذّرة في المشرق، ومن الطبيعي أن يعمل العرب الذين دخلوا الأندلس عصبيتهم القبلية معهم، ولم تعد العصبية القبلية المحرّك الرئيس للجماعات العرقية؛ إذ حلّت مكانها عصبية الموطن (قيسية، ويمنية)، وإنّ كسب الغنائم جعل القبائل العربية تتناسى عصبيتها في سبيل كسب ماديّ، وبذا تحوّل هذا الصراع من القبلية إلى الحزبية، فأصبح حزب القيسيّة يمني يرأسه الصميل، وحزب المضريّة بزعامة أبي الخطار[٦]. وجمع الصميل قومه واستقطب بعض الشخصيات اليمنية الساخطة على أبي الخطار، وكان منهم ثوابة بن سلامة العاملي الجذامي الذي وعده بالولاية إذا انتصر على أبي الخطار وكان ثوابة يحمل حقدًا على أبي الخطار؛ إذ عزله عن ولاية إشبيلية، وقد انتهت المعركة بانتصار الصميل وثوابة[٧].

---

[١] بلج بن بشر القشري، كان فارسًا شجاعًا، انتزع الولاية من عبد الملك بن قطن في الأندلس، توفي سنة(١٢٥هـ-٧٤٤م)، انظر الحميدي، جذوة المقتبس،ص١٧٠.

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢، ص٣٣، انظر المقري، نفح الطيب، ج١،ص٢٣٧؛ حتامله، الأندلس، ص١٤٩.

[٣] إلبيرة: كورة كبيرة من الأندلس، وهي من الكور المجندة التي نزلها جند دمشق تقع شرق قرطبة بينهما تسعون ميلاً، وتبعد عن غرناطة إلى الشمال الغربي بنحو ٢كم وهي كثيرة الأنهار والأشجار، وتشتهر بكثرة معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٢١١.

[٤] عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٢٤.

[٥] الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن، كان شاعرًا، أميًّا لا يكتب، جدّه من أشراف العرب بالأندلس، زعيم القيسية في الأندلس، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٢٨، العسلي، بسام، عبد الرحمن الداخل(صقرقريش)، ط١، دارالنفائس، ١٩٨١م، وسيشار إليه في ما بعد: العسلي، عبد الرحمن.

[٦] مؤنس، فجرالأندلس، ص٣٦١-٣٦٣، انظر بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، دار الأديب، دمشق، ١٩٦٩م، ص٥٩-٦٣، وسيشار إليه في ما بعد: بدر، دراسات في تاريخ الأندلس.

[٧] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٠٤ .

دور أهل إشبيلية المؤيد للأمير عبد الرّحمن الداخل:

ولد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بدمشق سنة (١١٣هـ ٧٣٢م)، كنيته أبو المطرف، أمه بربرية من سبي المغرب تسمّى رآح[١]، عرف باسم الداخل لأنه أول من دخل الأندلس من الأمراء الأمويين، وهو ملقب "بصقر قريش"، نشأ في بيت الخلافة الأمويّة (١٣٢هـ -٧٥٠م)، وكان من الهاربين من حكم العباسيين إلى بلاد الأندلس سنة (١٣٢هـ-٧٥١م)، توفي سنة (١٧٢هـ - ٧٨٩م)، وكانت مدَة حكمه ثلاثًا وثلاثين سنة[٢].

في ربيع الأول من سنة (١٣٣هـ - ٧٥٢م) نزل عبد الرحمن على الساحل الجنوبي الشرقي الإسباني عند ثغر المنكب[٣]، ثم صار إلى حصن طرش[٤] الذي كان مركزًا لموالي[٥] بني أمية، فاتخذه عبد الرحمن قاعدة عسكرية لتجمّع أنصاره[٦] ثم قام بإرسال مولاه بدر إلى كل محبّي الدولة الأموية في أرض الأندلس؛ لدراسة الأوضاع الداخلية، فاجتمع بالناس، ونشر دعوته؛ إذ كانت البلاد في حالة صراع عنيف وفتن داخلية بين القبائل اليمنية والقيسية، وكان البربر يريدون التخلص من والي الأندلس يوسف الفهري[٧]، الذي فرّق بينهم وبين العرب وعاملهم بعنصرية[٨].

رجع بدر بهذه الأخبار إلى الأمير الداخل فوظفها لصالحه؛ حيث الظروفُ المضطربة في الأندلس، فعرض على زعيم المضريّة الصميل مساندته ومساعدته كونه مضريًّا منهم، ولكنه رفض، فبدأ عبد الرحمن بتجميع الناس من عرب وبربر وبعض القبائل المعادية ليوسف والصميل، فنزل بريّة وكان عليها عيسى بن مساور، فبايعه، ثم سار إلى شذونة، ورحب به زعيمها عتاب بن اللخمي[٩].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٦-٤٧.
(٢) العبادي، أحمد مختار، تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م، ص٩٧ وسيشار إليه في ما بعد: العبادي، تاريخ المغرب .
(٣) المنكب: بلد على ساحل الأندلس من أعمال ألبيرة، بينه وبين غرناطة أربعون ميلاً، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٤٩٥.
(٤) حصن طرش: بلدة مشهورة بالأندلس في كورة ريّة بالقرب من المنكب على ساحل البحر المتوسط، بينهما ٢٤ ميلاً. توصف بالمنعة والحصانة، وهي أحد الحصون المشهورة التي نزل بها عمر بن حفصون انظر بني ياسين، بلدان الندلس، ص٣٨١.
(٥) الموالي: ينقسمون إلى قسمين، منهم من أهل المغرب الذين دخلوا في ولاء بني أمية أو عمالهم، ومنهم بنو خليع وبنو وانسوس، وبقية الموالي من المشرق الذين منهم دمشقيون وأردنيون وعراقيون، وأصبحوا يشكلون دورًا مهمًا في الأندلس، وازداد عددهم بعد دخول طالعة بلج بن بشر القشبري الأندلسي، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٥.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٤، انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ١٩٧.
(٧) يوسف عبد الرحمن بن حبيب بن عبده بن عقبة بن نافع الفهري باني القيروان وأمير معاوية على إفريقيّة والمغرب، تولى الأندلس ١٢٥هـ، وينسب إلى القائد الفاتح عقبة بن نافع، انظر العسلي، عبد الرحمن، ص٦٣.
(٨) ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، (ت ٨٠٨ هـ– ١٤٢٧م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد السابع، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٢٠ – ١٩٩٩م، ج٣، ص٢٦٢، وسيشار إليه في ما بعد: ابن خلدون، العبر.
(٩) عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٥١ – ١٥٢.

وفكر الأمير عبد الرحمن الداخل باليمنية؛ إذ كان على رأسهم في ذلك الوقت أبو الصباح اليحصبيّ (زعيم اليمنية في الأندلس)، وكان المقر الرئيس لهم إشبيلية، وهي المدينة الكبيرة، التي تعدّ حاضرة من حواضر الإسلام[١]، فذهب بنفسه إلى إشبيلية واجتمع طويلاً مع أبي الصباح، وكان ذلك في سنة (١٣٦هــ٧٥٥م)، واتفقا على أن يقاتلا معًا ضدّ الوالي يوسف، وأخذت الوفود من كل ناحية من نواحي الأندلس، من عرب وبربر، تفد مبايعة الداخل ومسلمة الأمر له، وبقي في إشبيلية لينظم أموره في مواجهة يوسف بن عبد الرحمن الفهري[٢].

يظهر ممّا سلف أنّ المسلمين في الأندلس كانوا قد سئموا من الخلاف الواقع بسبب العصبية القبلية (قيسية ويمانية)، فأقبلوا على مبايعة الداخل محبّة بالدولة الأموية وولاء لها، وبالذات من الموالي، فشعر والي الأندلس يوسف بخطورة الموقف، وعزم على التصدّي لخطر الداخل، فسار هو والصميل بقواته نحو إشبيلية، فأحسّ الداخل باستعدادات يوسف للقتال، وفي ربيع الثاني من سنة (١٣٨هــ/ ٧٥٧م)عبر الداخل نهر الوادي الكبير للمفاوضات مع يوسف[٣]، وأرسل إليه عدّة رسائل يطلب ودّه، وأنه يسلم له الإمارة ويكون يوسف الفهريّ أحد رجالات دولته؛ بحكم أنه حفيد الخليفة هشام بن عبد الملك، لكنّ يوسف الفهريّ رفض ذلك وقبل أن تشتعل نيران الحرب، وكان أبو الصباح اليحصبي قد سمع بعض المقولات بين اليمنين تقول بأنّ الداخل غريب عن البلاد، وأنّ معه فرس عظيم/ وإن هزمنا سيهرب من ساحة القتال ويتركنا للفهرين، فوصلت هذه الأنباء إلى الأمير عبد الرحمن، فقام بذكاء شديد إلى أبي الصباح، فأخذ بغلته وأعطاه فرسه، فتأكد لليمنيين أنه رجل حرب[٤].

نزل عبد الرحمن بقرية بلة نوبة البحرين (قرية يسكنها بنو نجر من لخم) الواقعة على الضفة الجنوبية لنهر الوإدي الكبير، أمّا الفهري فكانت قواته على الناحية الغربية للنهر، وحشد ما استطاع من انصاره وساعده على ذلك هشام بن عروة الفهري، فالتقى الجيشان في موقعة المصارة عام (١٣٨هــ ــ ٧٥٧م)، وكان النصر حليف عبد الرحمن الداخل، وهرب الفهري إلى طليطلة والصميل الي جيان، وذلك بعد معركة المصارة[٥]، وكان هذا الانتصار إيذانًا ببدء عصر جديد؛ حيث بويع الأمير عبد الرحمن أميرًا على الأندلس في العاشر من ذي الحجة سنة (١٣٨هــ ٧٥٧م)، ودخل قرطبة وصلى صلاة عيد الأضحى وخطب في الناس[٦].

---

[١] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٠، انظر نصرالله، سعدون، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٨م، ص٥٥-٥٦، وسيشار إليه في ما بعد: سعدون، تاريخ العرب.

[٢] مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٨-٧٩، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ص٤٦-٤٧؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٤٢١-٤٢٨.

[٣] عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٥٣-١٥٤، انظر سعدون، تاريخ العرب، ص٥٦-٥٧.

[٤] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤-٤٦، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٩١.

[٥] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥١.

[٦] طه، الفتح والإستقرار، ص٤٢١-٤٢٩.

وفي سنة (١٣٩هـ/٧٥٨م) اجتمعت القوتان (الصميل والفهري) وتوجهتا إلى إلبيرة، وكانت خطتهم جذب عبد الرحمن الداخل من قرطبة لقتاله، ثم يذهب الفهري ليحتلّ قصر قرطبة، وعندما علم عبد الرحمن باجتماعهما توجّه إليهما بعد أن ترك قوّة صغيرة لحماية قرطبة، فما إن ابتعد الداخل عن العاصمة حتى هاجم ابن يوسف الفهري القصر، وعندما علم عبد الرحمن ما حلّ بقرطبة رجع مسرعًا، وفرّ ابن يوسف إلى أبيه في إلبيرة(١).

انتهي الأمر في سنة (١٤٠هـ-٧٦٠م) إلى صلح بين الطرفين واتفاق، بعدم تعرّض الأمير عبد الرحمن لأسر خصمه وممتلكاته، بشرط أن يأخذ اثنين من أبناء يوسف الفهري كرهينة لضمان حسن النوايا لدى الطرف الآخر (الفهري)، وأن يكونان تحت مراقبة الداخل(٢).

تلا ذلك أن تطوّرت الأحداث في الأندلس سنة (١٤١هـ - ٧٦١م)؛ إذ وصل إليها المشتّتون من الأمويين، ومن بينهم رجل كبير ذو شأن عظيم، هو عبد الملك بن مروان ومعه عشرة من كبار الأمويين، فولاه الأمير عبد الرحمن إشبيلية(٣).

فرّ يوسف الفهريّ من قرطبة بعد خلاف مع الأمير عبد الرحمن واختفى، فسأل عنه الداخل حليفه الصميل قائلا :أين ذهب يوسف؟ فقال الصميل: لا أعلم، فقال له عبد الرحمن: والله ما كان ليخرج إلا ليعلمك، فغضب الصميل وأغلظ له القول، وقال: والله لو أنه تحت قدمي ما رفعتها لك فافعل ما شئت، فأحسّ الأمير بخطورة أمره فأمر بسجنه مع أبناء يوسف أبي الأسود ومحمد(٤).

وفي سنة (١٤١هـ-٧٦١م) ظهر يوسف في عاصمة العرب (ماردة) يجمع الجموع من العرب والبربر، وسار إلى "لقنت"(٥) التي انضمّ سكانها إليه، ثمّ اتجه ومعه عشرون ألف مقاتل إلى حصار إشبيلية(٦)، وهذا يدلّ على أنّ عرب الأندلس أميلُ إلى الفوضى أبعدُ عن الاستقرار،

(١) بيضون، إبراهيم، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٨٠، وسيشار إليه في ما بعد: بيضون، الدولة العربية.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٢-٩٣، انظر العسلي، عبد الرحمن، ص٦٤؛ الدوري، إبراهيم ياسين، عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الداخلية والخارجية، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٢م، ص٨٩، وسيشار إليه في ما بعد: الدوري، السياسة الداخلة والخارجية.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٧، انظر ابن خلدون، العبر، ص٢٦٤؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٥٦

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص٤٣٥، انظر العسلي، عبد الرحمن، ص٦٥؛ محمد، صالح، الأندلس في عهد الطوائف الأولى دراسة في السياسة الداخلية، جامعة الموصل، ١٩٨٣م، ص١٥، وسيشار إليه في ما بعد: صالح، الأندلس في عهد الطوائف.

(٥) لقنت: تقع شرق مدينة المرية على ساحل البحر المتوسط، وتنقسم إلى لقنت الكبرى ولقنت الصغرى، وهي من المدن التي صالح عليها تدمير عبد العزيز بن موسى بن نصير، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٤٦١.

(٦) دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي واحمد العبادي وجمال محرز، المؤسسة المصريّة العامة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٢١٧، وسيشار إليه في ما بعد: دوزي، تاريخ مسلمي، انظر الدوري، االسياسة الداخلة والخارجية، ص١٠١؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٨٨.

وحينئذٍ شعرالأمير عبد الرحمن بخطر هذا التجمّع فاتجه إلى إشبيلية والتقى بواليها عبد الملك، وجهّز جيشه بقيادة هذا الوالي لإخضاع ذاك التمرّد[١].

ولّى عبد الملك ابنه أميّة على جيش أرسله على عجل ليتابع هو قيادة الجيش الكبير، فلمّا تقدّم أمية نحو ماردة وصلت الأخبار عن ماردة وقوّتها وعدد جيشها الذي أعده يوسف، فرجع أميّة إلى إشبيلية قبل أن يلتقي بالجيش، وقبل أن تكون هناك بوادر الحرب[٢]، ففوجئ والده عبد الملك بعودته ووبّخه لأنّ فعلته جعلت العدو يتجرّأ عليهم، وقال له :إنْ كنت قد فررت من الموت فقد جئت إليه، وأمر بقتل ابنه[٣]. ثم قاد عبد الملك الجيش بنفسه ولحقه الداخل بقوّة تدعمه، وجرت عند ماردة معركة طاحنة قضت على معظم الجيشين، أبلى فيها عبد الملك بلاء لا نظير له، وتمّ له النصر[٤]. وفرّ يوسف نحو طليطلة، تحدّثه نفسه أن يجمع القوات؛ ليثور مرة أخرى، فلمّا اقترب منها رآه رجل يدعى عبد الله بن عمر الأنصاري، وقال في نفسه: هذا الفهري قتله راحة له وراحة منه! فتبعه وقتله وأرسل رأسه إلى الداخل، فأعلن مقتله أمام الناس، وأمر بقتل الصميل المسجون عنده[٥].

موقف أهل إشبيلية من الثورات على الأمير عبد الرحمن الداخل:

سعى عبد الرحمن الأول إلى السيطرة على بقية البلاد الأندلسية، وكان راغبًا في أن تحلّ سلطة الدولة محلّ سلطة القبيلة، فعمد إلى إيجاد قوّة جديدة في شبه الجزيرة معتمدة على البربر ومواليه القادمين من شمال إفريقيّة؛ كي يحدّ من نفوذ رجال القبائل العربية وخاصّة اليمنية[٦]. وعندما شعر العرب بالسياسة التي يهدف إليها الداخل ثاروا عليه، وأدركوا أنّ وصوله وصوله إلى السلطة لم يحقق لهم مآربهم ولم ترجع لهم امتيازاتهم في السيادة التي فقدوها[٧]، كما أنه لم يسمح لهم بالثأر من المنهزمين (المضرية) في معركة المصارة، وبذا فقد شعروا بأنهم لم يكونوا سوى أداة وَصَلَ بها إلى الحكم.

أدّت هذه الأسباب السياسية إلى قيام حركات ضدّ الداخل، فضلاً عن أنّ هناك سببًا اقتصاديًّا متمثلاً في مصلحة اليمنية في الكسب المادي للغنائم؛ إذ كانت حقوق العرب في الأرض

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٨، أنظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٩؛ مؤنس، فجرالأندلس، ص٦٨٨؛ بيضون، الدولة العربية، ص١٩٠.
(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٩، انظر .دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، ص٢١٨-٢١٩.
(٣) العسلي، عبد الرحمن، ص٦٦-٦٧، انظر سعدون، تاريخ العرب، ص٥٨؛ بيضون، الدولة العربية، ص١٩١.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١١، انظر العسلي، عبد الرحمن، ص٦٨؛ الدوري، السياسة الداخلية والخارجية، ص١٠٤.
(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩١-٩٢، وانظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥١.
(٦) دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص٢٢١.
(٧) السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠١م، ص١١٣-١١٤، وسيشار إليه في ما بعد: السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم.

حصص جماعية يوزّعها رئيس القبيلة عليهم، وبهذا تبيّن لدينا أنّ الأرض ملك للقبيلة، ولا يريدون أن تشاركهم الدولة في هذه الأملاك لأنّ سلطتها حلت بقدوم عبد الرحمن الداخل محلّ سلطة القبيلة، وأمّا من الناحية الاجتماعية فعدم تجانس سكانها المتمثل بـــ (العرب اليمنيين، والمضريين، والبربر) وتفككهم، ومحاولة كل منهم تحقيق رغباته الشخصية، ممّا أدى إلى صراع دائم بين الأمير الأموي والثوار[١].

موقف أهل إشبيلية من ثورة الرزق بن نعمان الغساني (١٤٣هـــ ــ ٧٦٢م):

كان الرزق من أول الخارجين من اليمنيين على عبد الرحمن، وكان واليه على الجزيرة الخضراء، فتمّ عزله وتعيين والٍ غيره، لكنه رفض هذا الإجراء، وفي تلك الأثناء جاء إليه القاسم بن يوسف الفهري الذي فرّ من "طليطلة" كونه صديق أبيه[٢]، وكانت سبب ثورة الرزق هو عزله عن منصبه، فاتحد مع القاسم وشكلا جيشًا كبيرًا استولى على "شذونة"، ومن بعدها اتجها إلى إشبيلية وسيطرا عليها بمساعدة أهلها، فأسرع الداخل بقواته فحاصرها، اشتدّ الحصار على أهل إشبيلية وسلموا رزق وتمّ قتله[٣] وذكر ابن الأثير: أنه جرت بينهم معركة حاسمة قتل فيها الرزق، ودخل عبد الرحمن الداخل "إشبيلية "منتصرًا سنة (١٤٣هـــ). أمّا مصير القاسم، فقد أسر بعد أن تبعه والي "طليطلة " تمّام بن علقمة، ولم تشكل ثورة الرزق خطورة على الداخل وإمارته[٤].

وتجدر الإشارة إلى أنّ موقف أهل إشبيلية من الثورات ضدّ عبد الرحمن عائد إلى اعتقاد اليمنين بأنّ انتصار الداخل معناه أنّ الدولة أصبحت دولتهم، وأنهم يستطيعون الآن أن يتصرفوا كيفما يشاؤون، ويقومون بالفوضى ويغرقون الناس بالعصبيات القبلية التي أوصلت الأندلس إلى حالة سيئة من التوتر والنزاعات في عهد الولاة، لكنهم فوجئوا بأنّ العهد الجديد لا يعترف بقيسية ويمانية، ولا يفرق بين الشاميين والبلديين (المستقرين الأوائل جاؤوا مع موسى بن نصير)، أو أهل البلاد، وأنهم جميعًا أهل وطن واحد ولا بدّ لهم من الخضوع إلى العاصمة، وبذا فقد انكسر اليمنيون انكسارًا شديد عدّوه جحدًا لفضلهم، وكادوا يضيّعون نصرهم مع الداخل بسوء التصرّف، وقلة الحكمة.

---

[١] خمّاش، نجدة، الإدارة في الأندلس في عهد عبد الرّحمن الداخل، مجلة دراسات تاريخيّة، العددان٢٥، ٢٦، ١٩٨٧م، ص٦٥-٦٦، سيشار إليه في ما بعد: خمّاش، الإدارة في الأندلس.
[٢] عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٥٨ انظر سعدون، تاريخ العرب، ص٥٩.
[٣] مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٢.
[٤] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٦٩.

انضمام أهل إشبيلية إلى ثورة العلاء بن مغيث الجذاميّ (١٤٦-١٤٧هـ ٧٦٥-٧٦٦م):

اندلعت هذه الثورة بعد ثماني سنوات من تولي الداخل حكم الأندلس، وقام بها رجل يدعى العلاء بن مغيث الجذامي، وكان مبعوثًا من قِبل الخليفة أبي جعفر المنصور؛ ليقضي على الأمير الأمويّ عبد الرّحمن الداخل[١]، ومن ثَمَّ ضمّ بلاد الأندلس إلى حوزة أملاك الدولة العباسية في المشرق، ووعده مقابل تخلصه من عبد الرحمن بإمارة الأندلس[٢].

وصل العلاء إلى الأندلس، ومكث في ولاية "باجة"، ورفع الأعلام العباسية السوداء التي تمثل شعار المسلمين عامة لا حزبًا ولا قبيلة معيّنة، وحشد جمع كثير من الثائرين على حكم الداخل من الفهريين واليمنيين. ولمّا كان أكثر المتضررين من الحكم الجديد حزب القيسية، فقد كانوا أول المنضمين إلى ثورة العلاء[٣] وعلى رأسهم أمية بن قطن، وحالفه غياث بن علقمة في شذونة، فأعد الداخل جيشًا وجّهه إلى "قرمونة"، وهي بين قرطبة وإشبيلية، وجعلها قاعدة دفاعية (مركزًا للثوار) لشدة حصانتها، وأرسل مولاه بدر إلى"شذونة" وحاصرها من غير صدام حتى قام غيّاث بن علقمة بالصلح[٤].

وعندما علم الداخل أنّ أهل إشبيلية قد أيدوا العلاء غادر قرطبة بمن معه من المقاتلين، لكنّ الجيش الذي أعدّه العلاء كبير، فتراجع إلى قرمونة واعتصم فيها؛ حيث بقي محاصرًا قرابة شهرين تضغط عليه هجمات العلاء العنيفة المتكررة، ولم يكن الداخل تعرّض من قبلُ لمثل هذه المحنة القاسية. وفي هذه الأثناء ضعف جيش العلاء، فأسرع الداخل بتغيير موقفه من الدفاع إلى الهجوم[٥] فاختار ٧٠٠ رجل من خيرة رجاله وأشعل نارًا قرب باب إشبيلية، وقال لهم: "إننا أمام حالتين: فإمّا إلى نصر مؤزّر وأمّا إلى موت محقق" ثم ألقوا سيوفهم في النار وانطلقوا خلف قائدهم فاتحين باب إشبيلية[٦].

دبّ الرعب في صفوف الثوار، وجرى القتل بينهم، وفرّ العلاء، واستطاع أحد رجالات الداخل اللحاق به وقتله، كما قتل من أنصاره عددًا كبيرًا، وقطع الداخل رأس العلاء ورؤوس قوّاده ووضعها في صناديق بعد أن أمر بوضع الملح والكافور عليها، ووضع في كل أذن رسالة

---

[١] السامرائي، تارخ العرب وحضارتهم، ص١١٤.
[٢] عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٥٩-١٦٠.
[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ص٥١.
[٤] ابن خلدون، العبر،ج٤، ص٢٦٦، انظر سعدون، تاريخ العرب، ص٦٢.
[٥] العبادي، تاريخ المغرب، ص١٠٤-١٠٥، انظر بيضون، الدولة العربية، ص١٩٧.
[٦] عبد المتجلي، محمد رجاء حنفي، عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، مجلة المؤرّخ العربيّ، العدد:١٠٧، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ص٨٤، وسيشار إليه في ما بعد: عبد المتجلي، الداخل، انظر العسلي، عبد الرحمن، ص٧١.

واسم صاحبها، أمّا أذن الثائر العلاء فكانت تحمل رسالة العهد من أبي جعفر بولاية الأندلس، وبذا أرسل تقريرًا عن هزيمة المتمرّدين(١).

وفي ما سلف دلالة على أنّ الداخل كان يهدف من إرسال الرسالة إلى إعطاء الخليفة العباسيّ درسًا ليقطع التفكير في منازعته على الأندلس.

ثمّ إنّ الصناديق أرسلت عن طريق تاجر من أهل قرطبة إلى مكة، وكان المنصور يحجّ في تلك السنة، فلمّا رأى ما رأى غضب ولم يقل إلا "الحمد لله الذي جعل بيني وبين هذا الشيطان بحرًا"، وفي هذا دلالة على إعجاب الخليفة العباسي المنصور بالداخل(٢).

إشبيلية أثناء ثورة سعيد اليحصبيّ المطريّ:

ثار اليمنيّ سعيد اليحصبيّ المعروف بالمطريّ في مدينة لبلة في سنة (١٤٩هـ/٧٦٨م)، وكان المطريّ في إحدى الليالي قد أكثر من الشرب، وكان حديث مجلسه مذبحة اليمنيّة الذين قاتلوا معَ العلاء (١٤٦-١٤٧هـ/٧٦٥-٧٦٦م)، فأخذ المطريّ رمحه وعقد لواءه وحلف ليثأرنّ لمصرع أبناء قومه(٣)، فلمّا استيقظ في الصباح ونظر إلى اللواء معقودًا سأل فأخبروه عمّا جرى في الليلة الماضية، فعزم على الانتقام لجماعته ولا رجعة في ذلك(٤)، ولم يكن ذلك سبب رئيس في الثورة؛ إذ كان يعقد في داخله نيّة الانتقام لِما حصل بالعلاء وغيره من زعماء اليمنين، وبسبب السياسة القاسية التي انتهجها الداخل تجاه الثائرين، وخاصّة اليمنيين اليحاصبة الذي عمد الداخل إلى إضعاف سلطاتهم، وشرع اليحصبيون في الثورة، فاجتمعت إليه القبائل اليمنيّة، أمثال خليفة بن مروان اليحصبيّ، واشتدّ عضده.

وهكذا، يتبيّن لنا أنه ترك لبلة قاصدًا إشبيلية؛ لأنها مطمع كل ثائر، الذي يستولي عليها يهدّد العاصمة قرطبة، وأن معظم أهالي إشبيلية والمناطق المحيطة بها، مثل قرمونة وشذونة من العرب اليمنية، كانوا ينخرطون في كل ثورة ضدّ السلطة في قرطبة، التي تغلّب عليها عبد الملك بن عمر المرواني، الذي بقي ينتظر المدد من الداخل لقلة جنده وكثرة جموع اليمني الثائر، وقد انضم إليه غياث بن علقمة في مدينة شذونة، والتحق به جماعة من رؤساء القبائل أمثال مسلم بن معاوية الكلاعي زعيم قبيلة ذي الكلاع اليمنية؛ لإمداد المطري(٥).

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٣ انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٢؛ دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا ص٢٢٢-٢٢٣.
(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٨، انظر عبد المتجلي، الداخل، ص٨٤-٨٥.
(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦، انظر العسلي، عبد الرحمن، ص٧١؛ الدوري، السياسة الداخلية والخارجية، ص١١٠.
(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦، انظر عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٦١، دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، ص٢٢٤.
(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦، انظر عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٦١؛ حسين، حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية في العصر الأموي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٣٨، وسيشار إليه في ما بعد: حمدي، التاريخ السياسي.

سيّر الداخل جيشًا يقوده مولاه بدر ليحول دون وصول المدد إلى المطري؛ إذ كان ينتظر المدد من صاحب شذونة (غياث بن علقمة)، فنزل المطري في قلعة رعواق الواقعة على نهر الوادي الكبير بالقرب من إشبيلية، وتحصّن بها فاشتدّ عليه الحصار لمدة إحدى عشر ليلة خلت من ربيع الأول، فاضطر إلى الخروج وقتال الداخل[١]، والتحم الجيشان في معركة طاحنة قتل على إثرها زعيم الثورة وتفرّق أنصاره، ومنهم من عاد إلى قلعة رعواق، ولم تنته الثورة؛ إذ قدّموا خليفة بن مروان اليحصبي ليتولى قيادتها، لكن الداخل استمرّ في حصارهم حتى طلب أهل إشبيلية الصلح والأمان، بشرط أن يسلموا خليفة، فاستجابوا لعبد الرحمن فدخل القلعة وقتل خليفة، وخرّب أسوارها حتى لا يفكر أيّ ثائر في التحصّن بها[٢]. ومن ثمَّ اتجه عبد الرحمن إلى شذونة لمعاقبة اليمنين الذين تعاونوا مع سعيد اليحصبي وحاولوا أمداد ثورته، فحاصرهم حتى طلبوا الأمان، فأمّنهم ما عدا عدد من الزعماء الذين قتلهم عندما وقعوا في قبضته، ثم عاد إلى قرطبة[٣].

إشبيلية ومحاولة ثورة أبي الصباح يحيى بن حيّ اليحصبي (١٤٩هـ ــ ٧٦٨م):

كان أبو الصباح زعيم القبائل اليمنية في غرب الأندلس، من آوائل المبايعين والمناصرين لدعوة الأمير عبد الرّحمن حين قدم إلى الأندلس، وشارك في معركة المصارة (١٣٨هـــ٧٥٧م) ضدّ يوسف الفهريّ والصميل معَ قومه اليمنين الذين كان لهم الفضل في إيصاله (الداخل) إلى ولاية الأندلس، وكان واليًا على إشبيلية بعد قيام الإمارة في قرطبة[٤].

قام أبو الصباح بعد معركة المصارة إلى اليمنيين وقال لهم: لقد انتصرنا على عبد الرحمن الفهري، وجاء وقت النصر على غيره، ويقصد عبد الرحمن الداخل، هذا الذي كان يقاتل معه منذ ساعات؛ إذ كان يرى إن انتصر على الداخل دانت الأندلس لليمنيين. ولكنهم لم يوافقوه الرأي؛ خوفًا من الداخل؛ لأنه ليس بالشخص السهل[٥] ووصلت الأنباء إلى الأمير عبد الرحمن، فما كان منه إلا أن أسرّها في نفسه، ولم يبدها لهم، ولم يعلمهم أنه على علم بما يضمرونه له، غير أنه أصبح على حذر شديد من أبي الصباح زعيم القبائل اليمنية [٦].

---

[١] دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، ص٢٢٤، انظر حتاملة، الأندلس، ص ١٩٨-١٩٩.
[٢] عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد ١، ص١٦٦، انظر العسلي، عبد الرحمن، ص٧٣.
[٣] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٧٥، انظر السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم، ص٩٦؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٣٨-٣٩.
[٤] مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٥، انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٣،
[٥] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٤، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٣٩.
[٦] السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١١٥، انظر العسلي، عبد الرحمن الداخل، ص٧٥.

يلحظ ممّا سلف أن الأمير عبد الرحمن كان يدرك تمامًا أنه لم تتحقق له السيطرة على مقاليد الحكم، وأنّ أيّ صدام مع أبي الصباح واليمنين قد يقضي عليه؛ لذا فضّل تأجيل محاسبته إلى حينها، بل لم يكن أمامه في تلك المدّة سوى التقرّب منه، فعمد إلى تعينه واليًا على إشبيلية.

وكان السبب في ثورته أنه دب الخلاف بينه وبين الأمير الداخل؛ حيث إنّ الداخل لا يريد رجلاً قويًّا إلى جانبه، فعزل أبا الصباح عن مدينة إشبيلية وعيّن قريبه عبد الملك بن مروان، متذرّعًا بأنه لا يستطيع القضاء على الثورات داخل إشبيلية، وهذا سبب غير مباشر لأنّ ما أقدم الداخل على عزله إلا مقولته بعد معركة المصارة: "لقد انتصرنا على الفهري، وجاء وقت النصر على غيره"، وكان هذا بعد إحدى عشرة سنة من هذه الأحداث لإضعاف اليمنيين كونه زعيمًا لهم، ولم يعد يثق باليمانية وبالذات اليحصبيين[(١)].

يتبيّن لنا أنّ أبي الصباح قد انتظر إحدى عشرة سنة على الداخل، وأنّ الثورات التي بدأت من عام (١٤٣هـ-٧٦٢م) وكان وراءها زعيم اليمانيّة أبو الصباح، ثورات يقوم بها ثوار من العرب اليمانيّة ضدّ الحكم الأمويّ في الأندلس.

وهكذا، فقد اشتدّ غضب أبي الصباح ودعا اليمنيين إلى الثورة والقتال، وعلم الداخل باستعداده قوته الكبيرة، فلجأ إلى اتباع سياسة الخداع والحيلة في القضاء على الثوار، فطلب منه القدوم إلى "قرطبة" للتفاهم وإزالة الخلاف بينهما، وكان رسول الأمير الداخل عبد الله بن خالد وهو أحد زعماء الموالي الأمويين، وكان له الفضل في نجاح دعوة عبد الرحمن الداخل عند دخول الأندلس[(٢)]، وكان معه كتاب أمان بخط الأمير، مضمونه أن يأتيه إلى العاصمة قرطبة للتفاهم وإزالة الخلافات، فاطمأن أبو الصباح، وسار بأربعمائة رجل من قومه، فوصل القصر فأذن له بالدخول على الأمير الداخل، ولكن رجاله بقوا خارج القصر بأمر من الداخل[(٣)]. علمًا بأنّ ابن عذاري يورد أنه رسول عبد الرحمن الداخل إلى أبي الصباح هو تمام بن علقمة.

وبذا، فقد دار الحديث بين الداخل وزعيم اليمانية، فاشتد الكلام وغضب أبو الصباح، وحينها استل الداخل خنجرًا وحاول قتل أبي الصباح، لكنه أمر حرسه بذلك فقتله طعنا بالخناجر، وبعدها لفوه بقطعة صوف وأزيلت آثار دمه وأدخل الأمير وزراءه واستشارهم بقتله بعد أن أوهمهم أنه مسجون عنده، واقترحوا عليه عدم قتله لأنه معه قومه وأنّ القصر خالٍ من الجنود، لكنّ واحدًا من أعوانه وهو عبد الملك المرواني وابن عمه الذي ارتجل قائلاً لعبد الرحمن:

يا ابنَ الخلائفِ إني ناصحٌ لكمُ   في قتلِ ذا احن يرتادُ للنقـمِ

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٥، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٧؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٦٤؛ عبد المتجلي، الداخل، ص٨٥.
(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٦، وانظر الدوري، السياسية الداخليّة والخارجيّة، ص١١٢.
(٣) ابن عذاري، البيان العرب، ج٢، ص٥٣، سعدون، تاريخ العرب، ص٦٣.

لا يفلتـــنكَ فيا ليـــتـــنا ببـــائقةٍ   واجدُدْ يديكَ بهِ تبرأ منَ السَّقَم

اطمأنّ الداخل بقول ابن عمه، فأخبرهم بمقتل زعيم اليمنية[١].

يتبيّن أنّ الوزراء لم يجمعوا على رفض فكرة القتل إلا تحسّبًا من ثورة أصحابه، وعندما علموا بمقتله أدركوا أنّ خوفهم ليس في محله، وذلك عندما أخرجوا رأسه لجنوده، وأنهم تفرقوا دون أنه يظهروا التمرّد والعصيان على الداخل[٢].

أما أحد رجاله، وهو عبد الله فقد استهجن سياسة الخديعة التي لجأ إليها الأمير الداخل، وظل ماكثًا في بيته يرفض الوظائف لأنه عدّ نفسه أداة لمقتل أبي الصباح[٣].

وهكذا، فإنّ ما قام به الداخل ومصرع أبي الصباح يشبه ما فعله المنصور بأبي مسلم الخرساني، ففي كلتا الحالتين تخلى القوم عن زعيمهم، واتبع الحكام نفس أسلوب القتل في إشبيلية سنة (١٤٩هـ ـ٧٦٦م)، لكنّ الفرق هي الأداة، فأبو الصباح قتل بالخناجر، وأبو مسلم قتل ضربًا بالسيوف[٤].

ثورة حيوة بن ملامس الحضرمي في إشبيلية سنة (١٥٦هـ ٧٧٥م):

كان حيوة بن ملامس الحضرمي من أبرز قادة حضرموت، وأحد زعماء العرب في غرب الأندلس، نزل في إشبيلية مع جند حمص، وكان من أوائل الزعماء اليمنيين الذين ناصروا الأمير عبد الرحمن، وهو أحد المشاركين في معركة المصارة[٥].

أعلن حيوة الثورة على الأمير عبد الرحمن في إشبيلية سنة (١٥٦هـ ٧٧٥م)، وثار معه عبد الغافر اليحصبي ابن عم وزعيم عرب لبلة، وانضم إليهم عمر بن طالوت اليحصي وكثم بن يحصب ابنا عم وزعيما عرب باجة، وانضم عبد الواحد بن سوير الكلاعي زعيم قبيلة كلاع، وشارك مع اليمنيين البربر بزعامة عدي بن موسى الزناتي[٦].

ويلحظ من خلال انضمام كثير من العرب اليمنين إلى ثورة حيوة بسبب السياسة القاسية التي اتبعها الأمير عبد الرحمن ضدّهم، وممّا زاد الأمر سوءًا مقتل أبو الصباح، وهذا دفع اليمنيين إلى الاعتقاد بأنّ الأمير يريد التخلص منهم واحدًا تلو الآخر، لذلك قاموا بالتوحد معًا ضد الأمير الأمويّ عبد الرّحمن الداخل.

---

[١] مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٧، وانظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٤٠-٤١.
[٢] مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٧، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ص٥٤.
[٣] دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، ص٢٢٤+٢٢٥، انظر عبد المتجلي، الداخل، ص٨٥.
[٤] عبد المتجلي، الداخل، ص٨٦.
[٥] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٦.
[٦] مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٨، انظر ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٦٨؛

وقد طالب هؤلاء الثوار بثأر أبي الصباح سيد اليمانية من عرب الأندلس، منتهزين فرصة انشغال أمير الأندلس بإخماد إحدى ثورات البربر في شمال شرقي الأندلس بزعامة شقنا[١]، وقد خلف الأمير الداخل ابنه سليمان بن عبد الرحمن على قرطبة، فقصد الثوار العاصمة قرطبة وفي أثناء طريقهم أخذوا يسيطرون على بعض المناطق المحيطة بالعاصمة؛ إذ تمكن حيوة من السيطرة على إشبيلية "وإستجة"[٢].

وعندما علم سليمان ومولاه بدر بتحرّكات الثوّار، أرسلا كتابًا إلى الأمير عبد الرّحمن يخبراه فيه بأمر هذه الثورة، فرجع مسرعًا إلى قرطبة لمواجهة عصيان اليمنيين، وأرسل حملة عسكريّة بقيادة ابن عمه عبد الملك، واشتبك الجيشان وقتل عدد كبير من الطرفين، لكنّ الحرب لم تنته، فاضطرّ الداخل إلى أن يخرج بنفسه، وكان على ميمنة جيشه ابنه هشام وفي الميسرة سليمان متجهين نحو الثوار المعسكرين في مبسر (وادي اشر)، ودارت بين الطرفين منازعات لكن من غير فائدة[٣].

فقام عبد الرحمن على اتباع سياسة التفريق بين اليمنيين والبربر مقنعًا إياهم أن النصر إذا حالف اليمنيين فإن ذلك يعني القضاء عليهم، بل وإخراجهم من الأندلس، فاستجاب البربر لما هدف إليه الأمير الأموي واقتنعوا بأنه سوف يسجلهم في الديوان ليأخذوا العطاء، فدبّ القتال وانهزم اليمنيون وقتل حيوة وهرب عبد الغافر، وكان ذلك في ١٧ من شوال عام (١٥٦هـ-٧٧٩م)[٤].

خرج الداخل إلى إشبيلية على رأس جيشه، وقتل عددًا كبيرًا من أهلها لأنهم ناصروا حيوة واتباعه وقاموا على الخروج عن طاعة الداخل، وبعدها هدأت الأوضاع في إشبيلية حينًا من الزمن[٥].

تعرّض حكم عبد الرّحمن الداخل للعديد من الثورات التي استطاع إخمادها الواحدة تلو الأخرى، ومن خلال الثورات التي قام بها اليمنيون كان لهم الدور الكبير في الصراعات السياسية التي عصفت بالأندلس خلال عصر الإمارة وبخاصة في عهد عبد الرحمن الأول، وكان لهم الدور في تمكين الداخل من إقامة الدولة الأموية في الغرب بعد سقوطها في الشرق

---

(١) شقنا بن عبد الواحد من قبيلة مكناسة، ادعى أنّ أمه فاطمة بنت محمد، صلى الله عليه وسلم، وهو من ولد الحسين، اجتمع حوله خلق كبير من البربر، وعظم أمره في الأندلس، قتل من قبل أصحابه سنة (١٦٠هـ-٧٧٩م)، انظر مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٧-٩٨.

(٢) العسلي، عبد الرحمن الداخل، ص٧٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٩، انظر النويري، نهاية الأرب،ج٢٣، ص٣٤٥.

(٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠١، انظر السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١١٦.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٩.

ونشبت الخلافات بين الطرفين بسبب سياسة الداخل في قمعهم حتى لا يوجد قوة أكبر منه، ويقولون إن الدولة قامت على أكتافهم وفشلت جميع ثوراتهم لسوء التخطيط واتحادهم.

بقيت إشبيلية معقلاً للعصاة الخارجين عن الدولة ومكانًا لدعاة الفتنة وأهل الخلاف فيها، وكانت مطمع كل ثائر لقربها من العاصمة قرطبة، وهي من أهم مراكز الثورة في الأندلس، فالخارج عليها يهدد الحاضرة مباشرة، وهذا عائد إلى طبيعة سكانها الثائرين (اليمنيين)[1].

الأمير هشام بن عبد الرّحمن:

توفي الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م)، وتولى الحكم من بعده ابنه الأمير هشام الرضا (١٧٢- ١٨٠هـ/ ٧٨٨/ ٨٠٦م)، وكان عاقلاً وافر الشجاعة والحزم متواضعًا عادلاً قرّب الفقهاء ورجال الدين وأجزل لهم العطاء[2]، وكان حين ولي الإمارة في الثالثة والثلاثين من عمره، ولم يكن أكبر أخوته، بل خصّه والده بالولاية؛ لِما توسّمه فيه من النجابة والنبل وحسن الصفات[3]، فكان هذا الاختيار سببًا في ما تعرّض له الأمير هشام من ثورات أخويه: سليمان وعبد الله، غير أنّ الأمير هشامًا استطاع أن يخمد الفتنة، وأن يجبرهما على طلب الأمان وعفى عنهما[4]. وواجهت الأمير هشام ثورات أخرى في الشمال وخاصة في طرطوشة وسرقسطة ووشقة، غير أنه استطاع إخمادها بهمّة عالية لا تعرف الكلل، أمّا عن إشبيلية التي عرفت في عهد أبيه عبد الرحمن الداخل بكثرة ثوراتها وخروجها عن سلطة العاصمة قرطبة، فعمّها في عهده استقرار نسبيّ، فبعث الأمير هشام جيوشه فحارب الإسبان وحلفاءهم من الفرنجة؛ وبذا نجح في إرساء الأمن والاستقرار في الأندلس، فكان عهده عهدًا زاهرًا وافر الرخاء، وتوفي سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، بعد أن حكم نحو سبعة أعوام[5].

الأمير الحكم بن هشام:

خلف الأمير هشام ولده الحكم الأول (١٨٠هـ- ٢٠٦هـ/ ٧٩٦- ٨٢٢م)، وكان في السادسة والعشرين من عمره، وكان من أفحل ملوك بني أمية بالأندلس وأذكاهم، ومن أشدهم

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٥، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٤٤-٤٥؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص١٦١.

(٢) ابن القوطيّة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٥، وانظر مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٩-١١٠.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٦١.

(٤) عجيل، نجم، حسين كريم، وحسين حبيب ، النزاع على الإمارة داخل الاسرة الأموية بالأندلس، بحث منشور في مجلة كليّة التربية، جامعة الأنبار، سنة ١٩٩٤، ص٩-١٢، وسيشار إليه في ما بعد: عجيل، النزاع على الإمارة.

(٥) ابن عبد ربّه، أبو محمد أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ-٩٣٤م)، العقد الفريد، ط٢، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٩٢٨م، ج٥، ص٢٢٣، وسيشار إليه في ما بعد: ابن عبد ربه، العقد الفريد.

إقدامًا ونجدة، وكان يشبّه بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الأعداء، وكانت له الواقعة الشهيرة مع أهل الربض، ولذلك سمّي بالحكم الربضي[١].

شهد عهد الأمير الحكم الأول ثورات داخلية اندلعت في مدينة سرقسطة ووشقة ولاردة وغيرها[٢]، وفي الوقت نفسه أشعل نيران الفتنة عمّاه سليمان وعبد الله، إلا أنّ الأمير الحكم استطاع إخماد هذه الثورات بمنتهى الشدة والقسوة؛ لأنها كانت قاب قوسين أو أدنى من الإطاحة بحكمه، ولم يذكر قيام أيّ عصيان أو ثورة من أهل مدينة إشبيلية، توفي الأمير الحكم الأول سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م[٣].

إشبيلية في عهد عبد الرحمن الأوسط:

هو عبد الرحمن بن حكم بن هشام بن عبد الرحمن، ولد بطليطلة سنة (١٧٦هـ ٧٨٢م)[٤]، ويكنى أبا المطرف، وهو الابن الأكبر للحكم بن هشام، ولي إمارة الأندلس بعد وفاة أبيه الحكم سنة (٢٠٦هـ ٨١٢م)[٥]، تولى الحكم وهو في الثلاثين من عمره[٦]، ولقب بالأوسط لأنه بين عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر، وهو رابع أمراء بني أمية' شهدت الإمارة في عهده ازدهارًا كبيرًا لم تشهده من قبلُ، فاهتمّ بالعلوم والعمران والفن والأدب، وتميّزعهده بالهدوء والاستقرار وازدهار العلوم والحياة في جميع جوانبها، فضلاً عن أنه كان عالمًا ومحبًّا، ويعدّ عهده من أسعد الأيام التي عاشتها أهل الأندلس، تحدّث عنه ابن الخطيب قائلاً " أيامه احتفلت دولة بني أميّة في الأندلس، وعظمت الألقاب، وشيّدت القصور"[٧].

تعرّضت الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى خطر كبير هو هجوم النورمان على البلاد، وأطلقت عليها عدة تسميات عرفت في المصادر التاريخية باللغة الإسبانية

---

[١] الحميدي، جذوة المقتبس ، ص٣٩، انظر ابن سعيد علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ - ١٣٠١م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ج١، ص٣٨، وسيشار إليه في ما بعد: ابن سعيد،المغرب؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٠. أهل الربض: هي ثورات متتالية، حملت الشعار نفسه، وامتدّت سنواتٍ متفرّقة، اندلعت الأولى (١٨٩هـ - ٨٠٤م) في عهد الأمير الحاكم، والثانية (١٩٠هـ - ٨٠٦م)، والثالثة (٢٠٢هـ - ٨١٧م)، انظر المومني، محمد خالد، الفقهاء وثورة أهل الربض في الأندلس، رسالة نوقشت في الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن، ١٩٩٥م، ص١٣٧، سيشار إليه في ما بعد: المومني، الفقهاء.

[٢] ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٩- ٤٠.

[٣] عجيل، النزاع على الإمارة، ص١٤- ١٦.

[٤] المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٣٢٥.

[٥] الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٦.

[٦] ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت٤٠٣ هـ- ٤٧١ م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية،١٩٨٩م ص ١٧، وسيشار إليه في ما بعد: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، انظر ابن عذاري،البيان المغرب، ج٢، ص ٨١.

[٧] ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٦٦ هـ-٨٢٨م) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف بيروت،١٩٥٩م، ج٢، ص ٢١، وسيشار إليه في ما بعد: ابن الخطيب، أعمال الأعلام.

Normados (أردمان) وبالإنجليزية (Norsemen)، وهم سكان شمال أوروبا في البلاد الإسكندنافيّة[١].

وأما تسميتهم بالمجوس التي أطلقها عليهم العرب المسلمون، فأتت جرّاء إشعالهم النار في كل مكان نزلوا فيه، فظنّ المسلمون أنهم يعبدون النار فسمّوهم بالمجوس[٢] ويبدو أن هذه الظاهرة عند النورمان لم تكن عادة، وإنما ترجع إلى معتقداتهم الرئيسة في تقديس النار، فالنورمان عندما غزوا بلاد الأندلس كانوا وثنين ولم يعتنقوا النصرانية بعد[٣]، وأنهم كانوا يعبدون النار، كما أشار إلى ذلك ابن دحية بقوله: "وهم مجوس، وهم اليوم على دين النصرانية وقد تركوا عبادة النار، ودينهم الذي كانوا عليه"[٤]، وعلى هذا فإنّ المصادر العربية كانت على حق حين نعتتهم بالمجوس، وعرفوا أيضا "بالفايكنج"، وهي مشتقة من الكلمة النرويجية Viking؛ أي سكان الخليج، فأطلقوا على سكان شبه جزيرة إسكنديناوا لكثرة خلجانها وذكرت بالإسبانية Vikingos (المحاربين) واشتهر هؤلاء بركوب البحار[٥].

أصلهم من قبائل جرمانية، التي تغلب عليها روح المحافظة العسكرية من الناحية الاجتماعية والسياسية، وسكنت هذه الأقوام في الدول الإسكندنافية، ويتكونون من ثلاث فئات: السويديين والنرويجيين والدنماركيين، ولكل منها نشاطها التجاري والحربي، وكانت حياتهم همجية معتمدة على النهب والسلب، وهجماتهم على شكل جماعات كبيرة متفرقة؛ خوفًا على أنفسهم في حالة أي هجوم مباغت، وليس همهم إلا جمع المال وهدم الديار وخراب البلاد، ويعرفون بأشرعتهم السوداء التي ينصبونها على سفنهم[٦].

أمّا الفئة التي هاجمت سواحل الأندلس فهم الدنماركيون، وأمّا الأسباب التي أدت إلى خروج النورمان فكان منها:

١) تكاثر السكان بالنسبة إلى الأرض المزروعة، التي لا تكفي لتغذيتهم، ممّا اضطرهم إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة ومحاولة الإغارة عليها لسد حاجتهم[٧].

---

[١] العبادي، تاريخ المغرب، ص١٠٨.

[٢] عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة المصرية، القاهرة،٢٠٠٩ م، ص٧٩، وسيشار إليه في ما بعد: عاشور، أوروبا، انظر السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٣١.

[٣] الكبيسي، خليل إبراهيم، غزوات النورمانين على الأندلس في عصر الأمارة، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد٤٠، ١٩٨٩م، ص١٤٥، وسيشار إليه في ما بعد: الكبيسي، غزوات النورمانيين.

[٤] ابن دحية، أبي الخطاب عمربن حسن، (ت٦٣٣هــ-١٢٤٩م)، المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرين، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص١٤٠، وسيشار إليه في ما بعد: ابن دحية، المطرب.

[٥] عاشور، أوروبا، ص٢١٨.

[٦] أبو زيدون ، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي، ص٢١٧، انظر العبادي، تاريخ المغرب، ص١٠٨.

[٧] بروي، إدورد وآخرون، القرون الوسطى (تاريخ حضارات العالم)، ترجمة يوسف سعد وآخرين، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٦م، ج٣، ص١٧٥، وسيشار إليه في ما بعد: بروي، القرون الوسطى.

٢) حبّ المغامرة الذي يتمثل في السلب والنهب، وأعمال القرصنة عند تلك الشعوب[١]؛ إذ كانوا يستعملون في غزواتهم مراكب خفيفة متوسطة الحجم تتسع إلى أربعين رجلاً إلى مائة، تمكنهم من الملاحة في الأنهار خفيفة المياه[٢].

٣) تعرّفهم موارد اقتصادية كبيرة، ممّا شجعهم على أن يغامروا في الحصول عليها؛ إذ كانت حياة الجدب وشغف العيش وروح المخاطرة سببًا يدفعهم دائمًا إلى عرض البحار[٣].

٤) المقاومة الضعيفة التي أبداها الغربيون أمام الغارات الأولى؛ إذ كشفت عن إمكان تحقيق غنائم كبيرة لهم إذا ما تابعوا ذلك عن طريق عمليات أكثر دقة وتنظيم[٤].

غزو النورمان الأول للسواحل الأندلسيّة (٢٢٩-٢٣٠هـ/٨٤٣-٨٤٤م):

ظهرت مراكب النورمان ذات الأشرعة السوداء[٥]، في سواحل الأندلس الغربية أول مرة في يوم الأربعاء الأول من ذي الحجة سنة (٢٩٩هـ ٨٤٣م)، عندما حلو شواطئ لشبونة بإسطولهم البالغ، فكتب عاملها وهب الله بن حزم إلى الأميرعبد الرحمن يحذره من هذا الخطر الذي يداهم الأندلس، فأرسل الأمير إلى عماله يطلب منهم الاستعداد واليقظة لمواجهة الغزو النورمندي[٦].

وفي الوقت الذي استنفر به الأمير عبد الرحمن الأوسط عماله بالاستعداد وأخذ الحيطة والحذر منذ نزول النورمان شواطئ الأندلس، التحم أهالي لشبونة مع النورمنديين في قتال عنيف استمر ثلاثة عشر يومًا وعادوا إلى مراكبهم لشدة ما لاقوه من مقاومة أهل المدينة[٧] ثم اتجهوا إلى "قادس"[٨] بحثًا عن مصبّات صالحة للملاحة، وأماكن أخرى تكون المقاومة فيها ضعيفة ليخترقوها بسرعة[٩]، ومنها إلى "شذونة"، فدارت بينهم وبين المسلمين مناوشات فأحرقوا ونهبوا كثيرًا من ديارهم[١٠]، ثمّ انسحبوا إلى مراكبهم لإعادة تنظيم قوتهم من جديد.

---

[١] العدوي، الغارات الإسلاميّة إلى أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٧م، ص١٠٦-١٠٧، وسيشار إليه في ما بعد: العدوي، الغارات، انظر اليوسف، جوزيف نسيم، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص١١١، وسيشار إليه في ما بعد: اليوسف، تاريخ العصور

[٢] بروي، القرون الوسطى، ج٣، ص١٧٤.

[٣] عاشور، أوروبا، ص٢٢١، انظر العدوي، الغارات، ص١٠٧؛ Davis, R. H. CA history of medieval Europe fvom Constantine to saint Louis, Second Edtion, London ١٩٨٨, p ١٦٧.

[٤] حاطوم، نورالدين، العصر الوسيط في أوروبا، دار الفكرالحديث، لبنان، ١٩٧٦م، ص٣٩٠، وسيشار إليه في ما بعد: حاطوم، العصر الوسيط.

[٥] ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكاتب العربيّ، القاهرة، (د.ت)، ص٢١٦، سيشار إليه ابن الخطيب، نفاضة.

[٦] العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٨، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٧؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم، ص١٣١.

[٧] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٨٦، انظر ابن خلدون، العبر، ج٢، ص١٢٩.

[٨] قادس: جزيرة بالغرب من إشبيلية، وتعرف بمزارعها الكثيرة، انظر الحميري، الروض المعطار، ج١، ص٤٤٨.

[٩] العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٨، انظر النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٣.

[١٠] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥١٣، انظر ابن خلدون، العبر، ج٣، ٢٨١؛ سعدون، تاريخ العرب، ص٨٦.

ولعدم وجود قوة بحرية تطاردهم، وصلت غاراتهم إلى مصب نهر الوادي الكبير والمناطق المجاورة له[١].

استيلاء النورمان على مدينة إشبيلية (٢٣٠هـ/٨٤٤م) :

بدأ هجوم النورمان على إشبيلية عن طريق نهر الوادي الكبير يوم الجمعة ٨ محرّم سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م[٢]، ويصف ابن عذاري الهجوم بقوله : "فخرج المجوس في ثمانين مركبًا كانما ملأت البحر طيرًا جونًا[٣]، كما ملأت القلوب شجوًا وشجونًا، فحلوا بإشبونة ثم أقبلوا إلى قادس، ثم إلى شذونة، ثم قدموا إشبيلية فاحتلوا بها احتلالا..."[٤].

وتقع في بداية مدخل الوادي الكبير جزيرتان؛ إحداهما كبيرة تسمّى الجزيرة الكبيرة (isla mayor) والثانية تسمّى الجزيرة الصغيرة (isla menor) أو قبطيل (captel)، وهذه الجزيرة اتخذها النورمان معسكرًا لهم كما أورد ذلك الحميري بقوله "ويعرف أيضًا بالعسكر لأنه موضع عسكر في المجوس"[٥].

أقام النورمان في جزيرة قبطيل ثلاثة أيام، ثم انطلقوا لمواصلة الهجوم نحو إشبيلية، ففي يوم الاثنين ١٢ محرم من السنة نفسها تقدموا نحو قرية قورة (cariaderi) التي تبعد ١٢ ميلا عن إشبيلية، فدارت معركة شديدة بين النورمان والقوات الأندلسية المتحصّنة في تلك القرية، استشهد فيها الكثير من أهالي القرية، وأقام النورمان بقية يومهم فيها[٦].

وفي يوم ١٣ محرم هاجم النورمان مدينة طلياطة[٧](Tejada)، وتمكنوا من دخولها في الليل، وفي الصباح ظهروا في مدينة إشبيلية، وتحصّنوا في موضع يقال له الفخارين[٨]، فخرج اليهم أهل المدينة وقاتلوهم قتالا شديدًا، انسحب الأهالي على إثره ومضت مراكب النورمان حتى نزلوا شمالا من مدينة إشبيلية، ومن ثم استولوا على المدينة[٩].

---

(١) مؤنس، حسين، غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي (٢٢٩ – ٢٤٥هـ - ٨٤٤ - ٨٥٩م)، المجلة التاريخيّة، مجلد ٢، عدد١، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٣١، سيشار إليه في ما بعد: مؤنس، غارات النورمانيين.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٤ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩ .

(٣) الجون: وهو ضرب من القطا سود البطون والاجنحة. انظر ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٨٣٣هـ-١١٧١م)، لسان العرب، المطبعة الأميرية، القاهرة،١٩٧٦ م، ج١٣، ص١٠٣ وسيشار إليه في ما بعد: ابن منظور، لسان العرب

(٤) قبطيل، جزيرة مشهورة تقع على نهر الوادي الكبير عند مدخل مدينة إشبيلية، وكانت هذه الجزيرة آنذاك عامرة بالمزارع والقرى والمواشي. انظر العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٨-٩٩.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٤ .

(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩.

(٧) طلياطة : وهي قرية صغيرة بالأندلس تقع غرب مدينة إشبيلية وبينها وبين إشبيلية مسافة عشرين ميلا ؛ انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٩٠.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٧، انظر بروفنسال، الاسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود عبد العزيز وآخرين، مراجعة لطفي عبد البديع، مطبعة مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٦ م، ص٦٦، وسيشار إليه في ما بعد: بروفنسال، الإسلام في المغرب.

(٩) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٠.

يبدو أنّ سكان شمال مدينة إشبيلية قد فروا منها ذعرًا، ممّا مكّن المجوس من النزول من مراكبهم ودخولهم هذا الجزء من المدينة من غير مقاومة تذكر[(١)]. وربما هذا هو الذي جعل ابن القوطية يقول: "فروا بين أيديهم، وأخلى أهل إشبيلية، إشبيلية وفروا منها إلى قرمونة وإلى جبال إشبيلية، ولم يتعاط أحد من أهل الغرب مقاتلتهم، فاستنفر الناس بقرطبة وما وراءها من الكور"[(٢)]. غير أنّ القسم الأكبر من سكان إشبيلية قد ثبتوا فيها وآثرو المقاومة على الفرار، ووقعت بينهم وبين الغزاة معركة عنيفة يوم الأربعاء ١٤ محرم؛ إذ استشهد وسبي الكثير من أهل إشبيلية[(٣)]. وبعد هذه المعركة استباح النورمان المدينة "ولم يرفعوا السيف عن كل ذي روح ظفروا به من الرجال والنساء والصبيان والدوابّ والأنعام والطيور وكلّ ما تناولته سيوفهم وسهامهم"[(٤)].

أقام النورمان في مدينة إشبيلية بقيّة يومهم وليلتهم، ثم عادوا إلى مراكبهم غداة الخميس[(٥)]، متوجّهين نحو جزيرة قبطيل ليضعوا غنائمهم وأسراهم بها، وعندما تمّ لهم ذلك عادوا إلى مدينة إشبيلية ثانية[(٦)]، فلم يجدوا فيها أحدًا باستثناء جماعة من أتقياء الشيوخ كانوا موجودين في أحد مساجدها، فقتلوهم فيه، فسمّي ذلك المسجد بمسجد الشهداء[(٧)]. ولم يكتفوا بذلك وإنما أقدموا على حرق المسجد، وفي ذلك يقول ابن القوطية: "كانوا يحمّون سهامهم في النار ويرمون بها سماء المسجد، فكان إذا احترق ما حول السهم سقط ...، فلما يئسوا من إحراقه جمعوا الخشب والحصر من إحدى النفاطات ليدخلوا النار وتتصل بالسقف"[(٨)]. ولا يحتاج هذا النص، والنصوص التي سبق ذكرها إلى توضيح، فهي تصوّر الأسلوب الدموي والتخريبي الذي استعمله النورمان مع أهل إشبيلية وكل ما فيها ومنها مساجدها، فقد طالت سيوفهم ورماحهم وشرورهم أهل المدينة وكلّ ما فيها من أحياء وممتلكات.

وقد تعددت الأسباب التي أدت إلى احتلال مدينة إشبيلية، وهي:

---

(١) الكبيسي، غزوات النورمانيين، ص١٤٦ .

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٤.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩، انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٨٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٠

(٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩، انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٨٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٨ ؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٤ .

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥، انظر العذري، نصوص عن الاندلس، ص٩٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٤

(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩، انظر النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٤ .

(٧) مؤنس، غارات النورمانيين، ص٣٤.

(٨) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٧.

١- لم تكن في مدينة إشبيلية تحصينات تساعد أهلها على المقاومة مدة طويلة من الزمن؛ إذ لم تكن مسوّرة، و لم يكن فيها قوة عسكرية مهيئة للدفاع عنها، وبذلك سهل على الغزاة النورمان اجتياحها وإعمال السيف في أهلها، وتدمير ممتلكاتهم، والاستيلاء عليها. يقول ابن سعيد: حلت القوات الغازية على إشبيلية "وهي عورة فدخلوها واستباحوها"[١].

٢- السرعة التي وصل بها النورمان إلى إشبيلية، حالت دون اتخاذ الإجراءات اللازمة للدفاع عن المدينة؛ إذ لم يتوقع أهلها وصول النورمان إليها بهذه السرعة، ولمعرفتهم أيضًا بأن الأمير عبد الرحمن الثاني أوصى عمال السواحل بالتحفظ، والاحتراس[٢].

٣- سرعة تحرك النورمان وقساوتهم تجاه المدن وأهلها، ممّا أثر في الأهالي وأشاع في نفوسهم الرعب والاضطراب، كما عبّر عن ذلك ابن عذاري بقوله: كما ملأت هجماتهم "القلوب شجوًا وشجونًا"[٣].

وفي هذا السياق، يصوّر ابن القوطية حال أهل إشبيلية قبل وصول النورمان إلى مدينتهم بقوله "وأخلى أهل إشبيلية، إشبيلية وفروا منها إلى قرمونة وإلى جبال إشبيلية"[٤]. ولذلك لم يتخذ سائر أهالي إشبيلية الأهبّة والاستعداد للدفاع عن مدينتهم، وإنما فضل سائرهم الإنسحاب عنها إلى المناطق التي اعتقدوا أن لهم فيها أمانًا أو يمكنهم فيها الدفاع على نحو أفضل عن أنفسهم. غيرَ أنّ قلة من أهل إشبيلية، كما سلف، قرروا الثبات في مدينتهم والدفاع عنها.

٤- تفوّق النورمان البحري والعسكري وشدة بأسهم وتمرّسهم في القتال، كانت سببًا مهمًا في ظهورهم على أهل إشبيلية وسواها من بلاد الأندلس التي أغاروا عليها في هذا الهجوم، فقد وُصفوا بأنّ "لهم شدة وبأس وقوة وجَلَد في ركوب البحر". وعلل ابن القوطية عدم مقدرة أهل إشبيلية على التصدي لهم بقوله: "لم يقدروا على مقارعة القوم – النورمان – لشدة شوكتهم"[٥].

ومع كلّ ما ذكر عن قوة النورمان، فإنّ أهل إشبيلية لم يتخيّروا الموقف الأفضل الذي يتمثل في ضرورة بقائهم كلهم للدفاع عن مدينتهم، وكان بإمكانهم إخلاؤها من النساء والأطفال والشيوخ حَسْبُ، أما الشباب فكان واجبهم أن يشتركوا جميعًا في تنظيم الدفاع عن المدينة ولا يتركوا أمر الدفاع عنها لقلة من شبابها الشجعان الذي روت دماؤهم أرض إشبيلية ونهرها.

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٩ .
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩ .
(٣) البيان المغرب، ج٢، ص٨٧ .
(٤) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٧٨ – ٧٩ .
(٥) المصدر نفسه، ص٨٦-٨٧ .

إضافة إلى ما تقدم، فقد أنشأ النورمان قوة من الخيالة، ركبت الخيول التي غنموها من المسلمين وجمعوها في جزيرة القبطيل، وأخذوا يغيرون وهم على ظهورها على المناطق المجاورة لمدينة إشبيلية[١].

دور الإمارة الأمويّة في صدّ هجوم النورمان الأول:

لم تقف الإمارة الأموية مكتوفة الأيدي أمام خطر النورمان الذي اجتـــــاح مناطق مهمة من غرب الأندلس وجنوبها الغربي، فقد أعلنت حالة الاستنفـــــــار منذ أول نزولهم على شواطئ الأندلس[٢]، وبعث الأمير عبد الرحمن الثاني جيشا بقيـــــــادة الحاجب عيسى بن شهيد[٣] الذي كان على فرقة الخيالة بجيش قرطبة، ثم أردفه بجيوش أخرى عهد بقيادتها إلى عبد الله بن المنذر بن عبد الرحمن الأوسط وعبد الواحد بن يزيد الإسكندراني[٤] وعبد الرحمن بن كليب بن ثعلبة[٥]. فشكلوا مع قوة الفرسان جيشًا واحدًا واتخذوا من جبل الشرف معسكرًا لهم.

قسّمت القوات المتجمعة للقيام بواجبات محددة، خُصّص قسمٌ منها للدفاع عن الحاضرة قرطبة، والقسم الأعظم من هذه القوات تمّ تخصيصه لتخليص مدينة إشبيلية من الغزاة النورمان[٦]. وواضح من هذه التقسيمات أن القيادة العسكرية الإسلامية الأندلسية كانت قد استشعرت عظم الخطر الذي داهم البلاد، وأنّه قد يكون شاملا ولا يستهدف مناطق محدودة، وأن وصول هذا الخطر إلى إشبيلية لا يمكن معه استبعاد وصوله إلى قرطبة حاضرة البلاد، التي تقع أيضًا على نهر الوادي الكبير، وهو نفسه النهر الذي تقع عليه مدينة إشبيلية.

وما إن أحسّ النورمان بتجمّع القوات الإسلامية حتى بدأوا بقتالهم، وقد أبلى الجيش الأندلسي بلاءً حسنًا في هذه المعركة، وقتلوا من النورمان نحو سبعين رجلا، وطاردوهم حتى أدخلوهم مراكبهم[٧]، وتوقفوا عن قتالهم. وبذلك أضاعوا فرصة ثمينة في النصر الحاسم عليهم، وسمحوا لهم بالتجمّع والاستعداد لجولة ثانية، ممّا أغضب الأمير عبد الرحمن الثاني حينما سمع بذلك، فاستدعى قادة الجيش وسألهم عن مجريات المعارك مع النورمان، وأجرى بعد هذا اللقاء

---

(١) مؤنس، غارات النورمانيين، ص٣٤ .

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٧.

(٣) عيسى بن شهيد، أسرته من أكابر الأسر الأندلسية، يلقبون بآل شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح الأشجي، جدهم مولى معاوية ابن مروان بن حاتم، واشترك في مرج راهط، وأما شهيد فدخل أيام الداخل إلى الأندلس وتولى قيادة الجيش أيام هشام بن عبد الرحمن وتوفي سنة ١٨٨هـ، وأما عيسى فتولى الحجابة أيام الأوسط سنة(٢١٧هـ/٨٥٧م) ابن الأبار، الحلة السيراء، ص٢٣٧.

(٤) عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني كان يشدوا بالغناء، وأوصله عيسى بن شهيد بالأمير عبد الرحمن الاوسط لكفاءته وولاه على مدينة قرطبة، حمدي، التاريخ السياسي، ص٤٩.

(٥) عبد الله بن كليب بن ثعلبة بن عبيدالله الجذامي، جده من وجوه أهل فلسطين، أما عبد الله ولاه عبد الرحمن الأوسط على سرقسطة ومن ثم تخليه، ثم أرسل إلى إشبيلية في غزو النورمان، ابن الأبار، الحلة السيراء، ص١٦١.

(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٧ ؛ الكبيسي، غزوات النورمانيين، ص١٤٧.

(٧) الكبيسي، غزوات النورمانيين، ص١٤٧.

تغييرًا لقيادة جيشه، فأسند القيادة العامة للجيش إلى محمد بن سعيد بن رستم[١]، الذي مضى في من ضمّ إليه من الجيش فورًا حتى نزل مدينة إشبيلية[٢].

ولم تقف جهود الأمير عبد الرحمن الثاني عند هذا الحدّ، بل واصل العمل من أجل حشد أكبر قدر ممكن من القوات لمواجهة الغزاة[٣]. حتى إنه اضطر إلى استنفار الثغر الأعلى بقيادة زعيمهم موسى بن قسي[٤] الذي كان خارجًا عن الإمارة، بعد استلطاف الأمير وتذكيره له بولائه للخليفة الوليد بن عبد الملك "وإسلام جده على يديه، فلانَ بعض اللين وقدم في جيش كثيف"[٥] إلى مشارف إشبيلية، إلا أن موسى بن موسى لم يشترك مباشرة مع القوات الإسلامية بقيادة محمد بن سعيد بن رستم، مما يشير إلى أنه لم يرغب في أن يكون تحت قيادة غيره، وإنما آثر الانفراد والقيام بأعمال حربية مستقلة ضد النورمان تمثلت في نصب الكمائن لهم في أماكن تحركاتهم على البر[٦].

بدأ جيش موسى بن موسى بوضع الكمائن للنورمان في قرية "كنتش معافر" الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من إشبيلية في جنح الظلام، واتخذوا لهم مرصدًا في كنيسة قديمة لرصد تحركات العدو، وفي الصباح خرجت طائفة من النورمان يريدون التقدم نحو موزور، فلما وصلوا القرية أشار الراصد إلى الكمائن الإسلامية بعدم مهاجمتهم حتى يبتعدوا عن القرية، فلما ابتعدوا، نهضت الكمائن عليهم "وحملوا السيف على جميعهم"[٧].

وواضح أن النورمان لم يكتفوا باستباحة إشبيلية، وإنما أرسلوا منها سرايا لتهاجم بعض القرى والمدن الأندلسية، ومنها مورور وكنتش معافر، فمارسوا القتال البري بعيدا عن السواحل طمعا بمكاسب أخرى[٨]، ولا سيّما بعد استيلائهم على مدينة إشبيلية. لكنّ التعاون الواضح ما بين موسى بن موسى صاحب الثغر الأعلى وقوات الإمارة الأموية بقيادة محمد بن سعيد رستم، أدى إلى اضعاف قوة النورمان داخل إشبيلية وقطع الاتصال بينها وبين السرايا التي أرسلت إلى المدن والقرى الأندلسية الواقعة على ضفة نهر الوادي الكبير[٩]. وعلى أثر الهجمات المتواصلة

---

(١) محمد بن سعيد بن محمد بن رستم، كان أديبًا حكيمًا، ولديه حظوة لدى الأمير عبد الرحمن، ولاه شذونة ثم قلده الحجابة والوزارة، ثم أرسله مددا للقوات الأندلسية التي أرسلها إلى إشبيلية للقضاء على النورمنديين، تولى حكم الدولة الرستمية بعد والده، وقد ازدهرت الدولة وخصوصًا تاهرت في عهده، حكم ٥٠ عاما، واستمرّ أفراد أسرته بالأندلس، انظر ابن الأبّار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٧٥.

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٠

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩.

(٤) موسى بن قسي: هو قائد الثغر الأعلى، هزم العدو عندما خرجوا من إشبيلية متجهين إلى مورور، وقتل منهم العديد، وحرر عامل إشبيلية، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٤.

(٥) عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني، كان يشدوا بالغناء، وأوصله عيسى بن شهيد بالأمير عبد الرحمن الأوسط لكفاءته، وولاه على مدينة قرطبة، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٤٩.

(٦) مؤنس، غارات النورمانيين، ص٣٤ .

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٦ .

(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥، انظر العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٧ – ٨٨.

(٩) القوطيّة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٥، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٨.

اضطر النورمانديون إلى طلب الصلح و قالوا للناس "إن احببتم الفدا، فكفوا عنا، فكفوا عنهم و اباحوا الفدا، فيمن كان عندهم من الأسرى، ففدي الأكثر منهم، ولم ياخذوا في فدائهم ذهبا ولا فضة، وإنما اخذوا الثياب والماكول"[١]، لم يكتفِ الأمير عبد الرحمن الثاني بما حشده من قوات لمجابهة مخاطر النورمان وإلحاق أكبر الخسائر بهم، وإنما جهّز جيشًا جديدًا من المجاهدين من أهل قرطبة[٢]، أوكل قيادته إلى نصر الفتى[٣].

وقد قام بإسهام كبير في مجاهدة النورمان، حتى قال فيه الشاعر عثمان بن المثنى شعرًا:

يقولون إن الأردَمانين أقبَلُوا   فقلتُ إذا جاءوا بَعَثْنا لَهم نَصْرَا[٤]

ونهض الأندلسيون لمقاتلة النورمان من كل جهة، وألحقوا بهم خسائر كبيرة، ومع ذلك كادت الهزيمة تحلّ بالجيش الإسلامي في تلك المواجهات لولا الخطة التي وضعها القائد محمد بن سعيد بن رستم، التي حالت دون وقوع الهزيمة، فقد أمر القائد محمد بقطع الطريق على النورمان الذين خرجوا من النهر بمنعهم من العودة إلى مراكبهم، ففرض عليهم بهذا التدبير العسكري معركة برية تنسجم مع قدرات العرب ومهارتهم في المعارك البرية، فقتل لهم ما يقرب من خمسمائة رجل ومن ضمنهم قائد أسطولهم، واستولى المسلمون على أربعة مراكب منهم، أحرقوها بعد أن أخذوا ما فيها من المؤونة وآلات الحرب[٥].

وقعت مواجهات عدّة بين الأندلسيين المدافعين عن بلادهم والنورمان الغزاة أسفرت عن تكبيدهم خسائر بالأرواح وبالمراكب، بدليل ما أورده ابن عذاري قائلاً: "وقتل منهم خلق كثير، وأحرق من مراكبهم ثلاثون"[٦].

انجلت المواجهات بين الطرفين عن خسائر كبيرة تكبّدها النورمان، اضطرّ معها الناجون إلى العودة إلى سواحل غرب الأندلس مدحورين، ولجؤوا إلى مراكبهم التي كانت تنتظرهم في مدخل نهر الوادي الكبير، غيرَ أنّ المسلمين لم يصلوا اليهم لقول ابن الأثير: "وبقوا أيامًا لا يصلون إلى المجوس لأنهم في مراكبهم"[٧]. وكذلك قول العذري: "وبقوا أيامًا بين طلياطة وقبطيل لا يتمكن المسلمون منهم"[٨].

---

[١] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٦ .
[٢] العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٩، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٨ .
[٣] نصر الفتى، هو كبيرخصيان القصر، وكان يبرم الأمورمع طروب جارية الأميرعبد الرحمن الثاني وأم ولده عبد الله، ويسميه ابن سعيد نصرالخصي، انظر ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١١٤؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٩ .
[٤] ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٩ .
[٥] العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٠، انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٠٤؛ ابن دحية، المطرب، ص١٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٤ .
[٦] البيان المغرب، ج٢، ص٨٨ .
[٧] الكامل في التاريخ، ج٥، ص٥٠٣-٥٠٤ .
[٨] العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٠ .

وبهذا انتهى هجوم النورمان على إشبيلية عبر النهر الذي تقع عليه، وهو نهر الوادي الكبير، غيرّ أن الناجين من النورمان اتجهوا بمراكبهم المتمركزة في الجزيرتين عند مدخل نهر الوادي الكبير جنوبًا بهدف الإغارة إن استطاعوا على سواحل أندلسية اخرى، بدليل ما أورده العذري بقوله: "حتى خرج المجوس من جهة النهر الذي يلي لبلة وأمعنوا في الترف وأصابوا سبيًا وأمتعة"[١].

وواضح من النصوص السابقة أنّ المسلمين لم يكن لهم في سنة (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، في نهر الوادي الكبير، وعند مصبّه، وعلى سواحل الأندلس الغربية منه مراكبُ أو قوارب حربية يمكنهم استعمالها لمطاردة النورمان الذين نجوا أو عادوا إلى مراكبهم الراسية في مدخل الوادي الكبير المفضي إلى مدينتي إشبيلية وقرطبة.

استمرّت القوات الإسلامية بمراقبة النورمان، فإذا حاولوا الإغارة على أية منطقة جديدة وجدوا الجيش الإسلامي بالمرصاد؛ إذ يذكر أنهم حاولوا النزول على السواحل الشرقية، فتصدى لهم أمير الجيش عبد الله بن ثعلبة، تعاونُه فرقة من الخيالة بقيادة عبدوس بن مقبل "فاضطرّهم إلى العودة إلى مراكبهم"[٢]. وبعد ذلك تحرّكوا إلى جزيرة بالقرب من قتب قوريش[٣] أو قوريس[٤]، فنزلوا بها ليقتسموا الغنائم والسبي في ما بينهم، ثم اضطروا إلى مغادرتها بعد أن هاجمهم الجيش الأندلسي وقتل منهم اثنين وأدخلوهم إلى مراكبهم[٥].

أراد النورمان التوجّه صوب جزيرة القبطيل، فحاصرهم الجيش الأندلسي ومنعهم من النزول على أحد جانبي النهر[٦]، فاضطروا إلى التوجّه نحو شذونة فأقاموا بها يومين[٧]. استمرت الإمارة الأموية بإرسال التعزيزات والإمدادات، مما أخاف النورمان وجعلهم يتجهون صوب لبلة ثم إلى جزيرة شلطيش[٨] (saltis) ثم إلى لشبونة (ocsonoba)؛ إذ نزلوا وادي آنه (cuadian)، ثم مضوا إلى باجة ونزلوا في موضع يقال له سعس[٩]، ثم إلى حصن المعدن[١٠]،

---

[١] العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٠ .
[٢] العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٠ .
[٣] المصدر نفسه، ص١٠٠ .
[٤] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٨٤، انظر النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ٣٨٤ .
[٥] العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٠، انظر النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٨٤ .
[٦] المصدر نفسه، نصوص عن الأندلس، ص١٠٠ .
[٧] النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ٣٨٤ .
[٨] شلطيش: جزيرة بالأندلس قريبة من مدينة لبلة، غربي إشبيلية، وهي مرسًى للسفن. انظر الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٣ – ٣٤٤ ؛ بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٦٠.
[٩] العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٠ .
[١٠] حصن المعدن: وهو حصن يقع إلى الجنوب من مدينة إشبونة على نهر تاجة، انظر الحميري، الروض المعطار، ص١٦

ومنه إلى مدينة أشبونة، وتحركوا منها وانقطع خبرهم[١]. كانت مدة بقاء النورمان بالأندلس منذ دخولهم إلى إشبيلية حتى خروجهم منها اثنين وأربعين يومًا، فقدوا خلالها أعدادًا كبيرة من رجالهم بما فيهم قائد الأسطول[٢]. ويلحظ أن أعدادًا ليست بالقليلة من النورمان وقعوا أسرى بيد المسلمين اعتنقوا الإسلام وأقاموا في الوادي الكبير واشتغلوا بتربية الحيوانات وصناعة المجبنات[٣].

بعد هزيمة النورمان خرجت الكتب عن الإمارة إلى أطراف الأندلس تخبرهم بالنصر العظيم، كما كتب الأمير عبد الرحمن الثاني "إلى من بطنجة من صنهاجة يعلمهم بما كان من صنع الله بالمجوس، وبما أنزل بهم من النقمة والهلكة، وبعث إليهم برأس أميرهم وبمائتي رأس من أجنادهم"[٤].

نتائج غزو النورمان الأول على السواحل الأندلسيّة:

أسفرغزو النورمان الأول على السواحل الأندلسيّة الغربية سنة (٢٢ – ٢٣٠ هـ/٨٤٤– ٨٤٥ م)، عن نتائج مهمّة تمثلت في ما يأتي:

١. تطور البحرية الأندلسيّة:

وقد أشار إلى ذلك ابن القوطيّة بقوله: "واستعد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فأمر بإقامة دار صناعة في إشبيلية، وأنشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس، فالحقهم ووسع عليهم"[٥]. وقد عدَّ مؤنس هذه الرواية على جانب كبير من الأهمية؛ إذ تعيّن برأيه ميلاد البحرية الرسمية لإمارة قرطبة [٦].

وهناك رأي آخر يرى أن البحرية الأندلسية وجدت منذ أيام الأمير الحكم الربضي (١٨٠– ٢٠٦ هـ/٧٩٦– ٨٢٢م)، ولكن العمل الذي قام به الأمير عبد الرحمن الثاني يسجل تقدّمًا كبيرًا لها [٧].

ولعلّ البحرية الأندلسية كانت موجودة قبل غارات النورمان على الأندلس سنة (٢٢٩هـ/ ٨٤٣ م)، غير أنّ السواحل الغربيّة لم تكن بها قوّة بحريّة تدافع عنها بسبب تصوّر

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٨، انظر النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٨٤ .
[٢] ابن دحية، المطرب في أشعار المغرب، ص١٣٨ .
[٣] العبادي، تاريخ المغرب، ص١٠٨.
[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٨ .
[٥] تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٨ .
[٦] غارات النورمانيين، ص٤١، انظر مؤنس، حسين، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الدار المصريّة، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٩٥، سيشار إليه في ما بعد: مؤنس، تاريخ المسلمين.
[٧] سالم والعبادي، عبد العزيز، احمد مختار، تاريخ البحريّة الإسلاميّة، دار الأحمد، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٦٠، سيشار إليه في ما بعد: سالم والعبادي، تاريخ البحريّة.

المسلمين في الأندلس أنّ السواحل الأندلسيّة الغربيّة والشماليّة الغربيّة آمنة ولا يمكن أن تهددها أيّة مخاطر خارجيّة، ولكن بعد أن داهم النورمان السواحل الغربيّة أصبح لزامًا على الإمارة أن تغيّر من تصوّراتها، ولذلك انشأت في مدينة إشبيلية قوّة بحريّة قادرة على مواجهة المخاطر التي تهدد السواحل الأندلسيّة الغربيّة ومداخل الأنهار التي تصبّ في المحيط الاطلسيّ، سواء أمن النورمان جاءت أم من سواهم، وبذلك أصبحت البحريّة الأندلسيّة في زمن الأمير عبد الرّحمن الثاني ذات قوّة كبيرة تمتلك المئات من المراكب، وقد جعلت من مدينة إشبونة قاعدة لها. وبفضل ذلك التطوّر الكبير استطاع الأسطول الأندلسيّ أن يكون حرسًا ليس فقط لسواحل الأندلس، بل أصبح يجوب في مياه المحيط الأطلسيّ حتى خليج بسكاي في الشمال الغربيّ [١].

٢. دور الأمير عبد الرحمن الأوسط في بناء سور إشبيلية:

أبدى الأمير عبد الرحمن الثاني عناية كبيرة بمدينة إشبيلية التي تعرّضت لغزو النورمان وتخريبهم، فأمر ببناء سور إشبيلية، بناءً على مشورة الوزراء وأهل الرأي في الأندلس، وكان في مقدمة الذين أشاروا عليه ببناء السور، العالم والفقيه الأندلسي المعروف عبد الملك بن حبيب السلميّ (ت ٢٣٨ هــ/٨٥٢م)، الذي أفتى بأولويّة بناء سور إشبيلية على إتمام الزيادة في مسجد قرطبة [٢]، بدليل قول ابن حيان: "كتب عبد الملك بن حبيب إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم إثر محنة أهل إشبيلية وتحصينها، ووافق ذلك أيام شروع الأمير عبد الرّحمن في بنيان زيادة بالجامع بقرطبة المشهور بها، وذكر له في كتابه أنّ بنيان سور إشبيلية وتحصينها أوكد عليه من بنيان الزيادة في المسجد الجامع، فعمل برأيه في بنيان سور إشبيلية"[٣]. وذكر البكري أن بناء السور كان بأمر من الأمير عبد الرحمن الثاني لقوله: "وكان سور إشبيلية من بناء الإمام عبد الرّحمن بن الحكم بناه – بعد غلبة المجوس عليها – بالحجر أحكم بناء، وكذلك جامعها اليوم من بنائه" [٤].

أوكل الأمير عبد الرّحمن الثاني مهمّة بناء سور إشبيلية إلى عبد الله بن سنان، أحد الموالين الشاميين المقربين إلى الأمير عبد الرحمن الثاني، و قد نقش ابن سنان اسمه على سور

---

[١] الحجي، عبد الرحمن، جوانب من الحضارة الإسلاميّة، مكتبة الصحوة، الكويت،١٩٧٩م، ص٤٦ وسيشار إليه في ما بعد: الحجي، جوانب من الحضارة؛ مؤنس، تاريخ المسلمين، ص١٠٩ – ١١٠.

[٢] ابن القوطيّة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨١، انظر ابن حيّان، أبو مروان حيّان بن خلف حسين القرطبيّ،(ت٤٦٩هــ - ١٠٧١م)، المقتبس من انباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٧٣م، ص٢٤٤، سيشار إليه في ما بعد: حيّان، المقتبس؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٩.

[٣] مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، ص١٠٩-١١٠.

[٤] جغرافية الأندلس وأوربا، ص ١١٢ .

المدينة [١]. إضافة إلى بناء السور أنشأ الأمير عبد الرحمن الثاني الرباطات[٢]، أو المحارس على السواحل الغربيّة وجعلها مراكز للجهاد[٣]، يقيم فيها المرابطون والحراس، وكانت تلك المحارس مزودة بالمنائر أو المنارات التي عرفت بالطوالع[٤]، فأصبحت هذه المحارس أماكن لرباط المسلمين على السواحل الأندلسيّة تحسّبًا لأيّ أعمال هجوميّة أخرى [٥].

الأمير محمد بن عبد الرّحمن:

ولد محمد في ذي الحجة (٢٠٧هـ ٨٢١م) في قرطبة [٦]، وتولى أمر الدولة الأموية في الأندلس وله من العمر ثلاثين سنة، بعد وفاة أبيه عبد الرحمن الأوسط في الآخر من صفر سنة (٢٣٨هـ-٨٦٢م)، بعد أن دامت ولايته إحدى وثلاثين سنة وشهرين، وله من العمر اثنان وستون سنة [٧]، تمرّس الأمير محمدعلى إدارة البلاد فولاه والده على سرقسطة الإقليم الشمالي في الأندلس، وشارك في حملات عسكرية هيئت لولاية العهد على الرغم من أنه لم يكن أكبر إخوته [٨].

غزو النورمان الثاني للسواحل الأندلسيّة (٢٤٥هـ-٨٥٩م):

كان غزو النورمان الثاني للسواحل الأندلسية أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢–٨٨٦م)؛ إذ عاد النورمان إلى غزو الأندلس سنة (٢٤٥هـ /٨٥٩م)[٩]، بعد مدة من الهدوء والأمن الذي ساد بين البلدين، على إثر هزيمتهم في سنة ٢٣٠ هـ/٨٤٤م، وتوقيع معاهدة السلام بين الإمارة الأموية ومملكة الدنمارك[١٠]، حينذاك حدثت أمور في كلتا الدولتين حالت دون استمرار هذه المعاهدة؛ إذ توفي الأمير عبد الرّحمن الثاني سنة (٢٣٨هـ/٨٥٢م)، وفي سنة (٢٣٩هـ/٨٥٣م) توفي ملك الدنمارك هوريكو؛ فسادت الفوضى

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨١ .
(٢) الرباطات: وهي منشآت عسكرية لملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفرقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا ؛ انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ٣٠٢ (مادة ربط) .
(٣) مؤنس، غارات النورمانيين، ص٤١.
(٤) العبادي، تاريخ المغرب، ص ١٥٠.
(٥) مؤنس، غارات النورمانيين، ص٤١، انظر الكبيسي، غزوات النورمانيين، ص ١٤٧.
(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣١.
(٧) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: (مكي)، ص٦، انظر ابن الأبّار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٣١.
(٨) ابن خلدون، العبر، ص٢٨٣ انظر سعدون، تاريخ العرب ص٩٢.
(٩) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١١٨، انظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص ٣٠٧-٣٠٩؛ ابن غذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠؛ في حين يذكر ابن القوطية الهجوم، سنة ٣٤٤هـ، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٣
(١٠) الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا، ص٣٥.

وانتشر عدم الاستقرار في المملكة، وعاد النورمان إلى ممارسة القرصنة والغزو ونشر الدمار والخراب في المناطق التي يصلون إليها[١].

ظهر النورمان في بادئ الأمر عند سواحل إشتوريش وجليقية [٢]، ولكن الكونت بدرو أبدى مقاومة كبيرة ضدّ هؤلاء الغزاة ومزقهم إربًا [٣]. وهذا الأمر جعلهم يتوجّهون إلى سواحل الأندلس الغربية، فألفوها محروسة لقول ابن حيان: "خرجوا في اثنين وستين مركبًا فألفوا البحر محروسًا ومراكب الأمير محمد فيه جارية ما بين حائط إفرنجة في الشرق إلى أقصى غليسية في الغرب"[٤]. ويذكر ابن عذاري بشأن عدد المراكب التي هاجمت السواحل الأندلسية [٥]، ولكنّ العذري جعل عدد المراكب ثمانين، فقال: "خرجت المجوس في ساحل الغرب في ثمانين مركبا"[٦].

كان الأمير محمد قد أنشأ في البحر سبعمائة سفينة حربية، وبلغ تعداد الجيش على عهده مائة ألف فارس، منهم عشرون ألفًا بدروع الفضة[٧]، وقد أسند قيادته إلى الحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبدة؛ لمواجهة خطر النورمان[٨].

وفي الوقت نفسه أرسل الأمير جيشًا آخر بقيادة لبّ بن موسى لمجاهدة النورمان، "وكان لبّ بقرطبة رهينًا عند السلطان حتى خرج المجوس إلى إشبيلية في المرة الثانية من خروجهم إليها، فأطلق السلطان لبّ بن موسى وقيّده وأخرجه إليهم فانهزم المجوس" [٩].

وواضح من هذا النص أن الأمير محمد بن عبد الرحمن استعان بأسرة بني قسي المتمثلة بلبّ بن موسى لمهاجمة النورمان، كما استعان والده الأمير عبد الرحمن الثاني بموسى بن موسى والد لبّ؛ إذ كان بنو قسي يمتلكون مقدرة حربية كبيرة وتمرّسوا في حرب العصابات التي يشهدها الثغر الأعلى على الدوام[١٠]، ولذلك كان لقيادة لبّ بن موسى هذا الجيش دور كبير في انصراف النورمان عن مدينة إشبيلية وبقية سواحل الأندلس الغربية، فكافأه الأمير محمد على ذلك وقرّبه إليه وأهدى له جارية جميلة تسمّى عجب، وأمره بالتوجّه إلى الثغر[١١].

---

(١) مؤنس، غارات النورمانيين، ص٦٤ – ٦٥، انظر سالم والعبادي، تاريخ البحريّة، ص ١٦٢؛ الكبيسي، غزوات النورمانيين، ص١٥١

(٢) جليقية: مدينة تقع في الشمال الغربي من شبة جزيرة ايبريا، حدودها من الجهة الغربية المحيط الأطلسي، وخليج بسكاي من جهة الشمال، وهي منطقة جبلية صعبة المسالك، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٢٩٥.

(٣) مؤنس، غارات النورمانيين، ص ٦٧ .

(٤) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص٣٠٨ .

(٥) البيان المغرب، ج٢، ص٩٦.

(٦) نصوص عن الأندلس، ص١١٨ .

(٧) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٥٧.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦.

(٩) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣١

(١٠) السامرائي، خليل إبراهيم، الثغر الأعلى دراسة الأحوال السياسيّة، مطبعة أسعد، بغداد،١٩٧٦م، ص٣٤٧ وما بعدها، وسيشار إليه في ما بعد: السامرائي، الثغر الأعلى.

(١١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٣١ .

انحدر النورمان نحو سواحل الأندلس الغربية، فهاجموا وادي تاجة والمنطقة الواقعة إلى الجنوب منه[١]، فتصدى لهم سعدون بن الفتح السرنباقي الذي كان متمرّدًا بأحد الحصون الجنوبية في الأندلس، ما بين وادي تاجة ومدينة قلمرية، فكانت له معارك حاسمة وخطوب عظيمة في جهاد النورمان، انتهى الأمر بأسره، ثم اطلق سراحه لقاء مبلغ من المال[٢].

واصل النورمان غزوهم حتى وصلوا إلى مدينة باجة، ولكن هذه المرة تصدّى لهم الأسطول الأندلسي "وتقدم من مراكبهم مركبان تلقتها المراكب المنصوبة الجارية من حائط جليقية مغافصة (أي على غرّة) في بعض مراسي كورة باجة، فغنمتها بما كان فيها من مال ومتاع وعدة وسبي" [٣]. وواضح من هذا النصّ أنّ الأسطول الأندلسي كان يجوب السواحل الأندلسية الشرقية والجنوبية والغربية؛ بهدف المعرفة المبكرة لظهور أي خطر من جهة البحر على السواحل الأندلسية.

ومضت سائر مراكب النورمان في الريف حتى انتهوا إلى مصب نهر الوادي الكبير كما ذكر ابن حيان: "ومضت مراكب المجوس في الريف حتى انتهت إلى مصب نهر إشبيلية وما يليها، وذهب الرعب بهم كل مذهب، وبادر الأمير محمد بإخراج الجيش إلى الغرب واستنفار الناس إلى العدو الطارق، فنفروا من كل أوب، وكان القائد بجيش السلطان نحوهم عيسى بن الحسن بن أبي عبده الحاجب، وتقدمت مراكب الكفرة عن إشبيلية" [٤].

يظهر أنّ معظم الروايات الخاصة بهذا الهجوم لا تقدم معلومات وافية عن المواجهات التي حدثت بين النورمان والقوات الأندلسية في مدينة إشبيلية، باستثناء بعض الإشارات التي سبق ذكرها التي أوردها العذري في معرض كلامه عن لبّ بن موسى، وما ذكره ابن القوطية من التقاء بين الطرفين في مدخل نهر إشبيلية وهزيمة النورمان في ذلك اللقاء وتمزق مراكب لهم وانصرافه "تلاقوا في مدخل نهر إشبيلية في البحر، فهزموا، فحرقت لهم مراكب، فانصرفوا"[٥].

انسحب النورمان بعد هذه الموقعة من مدخل نهر الوادي الكبير (نهر إشبيلية)، الذي يصبّ في المحيط الأطلسي على أمل الحصول على فرصة أفضل لتحقيق أطماعهم وأهدافهم في مكان آخر، فاتجهوا نحو الجنوب إذ الجزيرة الخضراء، وهاجموا في طريقهم سواحل شذونة،

---

[١] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص ٣٠٧- ٣٠٨، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٣٦ .

[٢] ابن حيّان، المقتبس في تاريخ رحال الأندلس، تحقيق (ملشور أنطونيا)، بولس كتزالكتبي، باريس، ١٩٣٨م، ص٢٣، سيشار إليه فيما بعد ابن حيان، المقتبس.

[٣] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص ٣٠٧ – ٣٠٨ . قارن ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦، ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣١، المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥١ .

[٤] المقتبس، تحقيق (مكي) ص ٣٠٨.

[٥] تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٦ .

فتصدى لهم الأسطول الأندلسي، وأصاب منهم مركبين من مراكبهم بريف شذونة [١]، وانحدرت بقية مراكب النورمان نحو الجزيرة الخضراء، لقول ابن حيان: "وتقدمت مراكب الكفرة عن إشبيلية، فاحتلت الجزيرة الخضراء وتغلبت على الحاضرة فاستباحتها وأحرقت المسجد الجامع" [٢]، ولكن سرعان ما انسحبوا منها خشية الأسطول الأندلسي[٣]، ففروا إلى العدوة المغربية[٤]، فهاجموا مدينة أصيلة (Arzila) المغربية [٥].

بعد احتلال النورمان مدينة أصيلة المغربية، اتجهوا نحو الشرق إذ مدينة ناكور[٦] (Nagor) "وتغلبوا عليها وانتهبوها وسبوا من فيها إلا من خلصه الفرار، وأقامت المجوس بمدينة ناكور ثمانية أيام"[٧]، عادوا بعدها إلى ساحل الأندلس الشرقي، لقول ابن حيان: "وتوافت (مراكبهم) بساحل تدمير؛ (إذ انهزم أهل تدمير ودخلوا حصن إريولة)[٨]، ثم تقدموا شمالا إلى إفرنجة، فشتوا بها وأصابوا بها الذراري والأموال، وتغلبوا بها على مدينة سكنوها، فهي منسوبة إليهم إلى اليوم"[٩].

وبعد قضاء مدة الشتاء في سواحل الإفرنجة، بدأ النورمان رحلة العودة التي أصابتهم فيها عاصفة شديدة، أضعفت شوكتهم وكسرت موجة تقدمهم، ممّا أدى إلى إسراعهم في الانصراف نحو ريف بحر الأندلس، وبعد معركة شديدة مع الأسطول الأندلسي بقيادة أمراء البحر ابن شكوح وخشخاش البحري[١٠]، استطاع الأسطول الأندلسي إصابة مركبين من مراكبهم فيها الكثير من الأموال والأمتعة، وأحرقوا مركبين آخرين بمن كان فيها[١١]، وقد استشهد في هذه المعركة قائد الأسطول الأندلسي خشخاش[١٢].

---

(١) المقتبس، تحقيق (مكي) ص ٣٠٩.

(٢) المقتبس، تحقيق (مكي) ص ٣٠٩. وهو المسجد المعروف بمسجد الرايات، وذلك لأنّ رايات المسلمين اجتمعت في هذا المسجد عند فتح الأندلس. انظر الحميري، الروض المعطار، ص٢٧.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣١، انظر الكبيسي، غزوات النورمانيين، ص١٥٠.

(٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٩، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٧ .

(٥) أصيلة: مدينة تقع بقرب طنجة وهي اول مدن العدوة المغربية من جهة الغرب، كان موضعها يعرف بباب المجوس، واتخذ المسلمون منها رباطا للجهاد، الحميري، الروض المعطار، ص٤٢.

(٦) ناكور: مدينة كبيرة في الغرب بينها وبين البحر عشرة أميال، ولها أربعة ابواب، وبها نهران إحداهما يسمّى نكور، ولهـذا جـاءت تسمية المدينة بـ (ناكور) . الحميري، الروض المعطار، ص٥٧٦ – ٥٧٧ .

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٧ .

(٨) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٩ .

(٩) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص ٣٠٨ . وتعرف هذه المدينة (نورماندي)، وهي تقع شمال غرب فرنسا، ويطلق على النورمان الذين سكنوها اسم النورماندين، انظر الشيخ، محمد مرسي، دولة الفرنجة وعلاقتها بالدولة الأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلاديّ، مؤسسة الثقافة الجامعيّة، الإسكندريّة،١٤٠١ه-١٩٨١م، ص١٨٠، وسيشار إليه في ما بعد: الشيخ، دولة الفرنجة.

(١٠) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص ٣٠٨-٣٠٩ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص١١٩ .

(١١) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص٣٠٩ .

(١٢) خشخاش: بحار عربي أندلسيّ اكتشف جزيرة مأهولة بالسكان، وأخذ منها الهدايا إلى عبد الرحمن الثاني الذي كافأه وعينه أميرًا للبحرية الأندلسيّة، انظر ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص٣٠٩ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٩ .

بعد هذه المعركة عاد النورمان إلى بلادهم "ثم مضت مراكب المجوس مصعدة حتى انتهت إلى حائط بنبلونة وأسروا ملكها غرسيه، ولم يطلقوا سراحه إلا بفدية كبيرة"[١]. لم تذكر المصادر للنورمان بعد تعرّضهم لبنبلونة نشاطًا آخر في إحداث هجومهم الثاني، وواضح أنهم قفلوا إلى بلادهم بعد أن تعرّضوا للسواحل الفرنجية والأندلسية الشرقية وللسواحل الشمال الغربي للمغرب وللسواحل الأندلسية القريبة. وفي طريق عودتهم كانت لهم وقائع بالقرب من السواحل الأندلسية وسواحل بنبلونة[٢].

لم يخسر المسلمون في تصديهم لهذا الهجوم ما خسروه في الهجوم الأول، ولم يفلح النورمان في الحصول على ما حصلوا عليه في الهجوم الأول، غير أنهم، كما ظهر لنا جابوا بلادا واسعة في هذا الهجوم خلاف الهجوم الأول، ولأول مرة، على ما يبدو، تعرّضوا للسواحل العربية المغربيّة.

٣- غزو النورمان الثالث للسواحل الأندلسيّة (٢٤٧ هـ / ٨٦١م) :

عاد النورمان من جديد لغزو السواحل الأندلسية بعد سنتين من غزوهم الثاني سنة ٢٤٥هـ، ويعلل الكبيسي سبب عودتهم بقوله: كان الطابع العام لغزوات النورمان هو النهب والتخريب مع تحين الفرص للإستيطان في الأماكن التي يغزونها، وإذ كانت الظروف قد هيّأت لهم الاستقرار في بعض الأجزاء من أوروبا، فإن الأندلس كانت أبعد من أن ينالوا منها لحكمة قيادتها وتصميم شعبها على مقارعة الغزاة والتصدي لهم[٣].

ظهر النورمان أمام سواحل الأندلس الغربية سنة (٢٤٧ هـ / ٨٦١م) في أسطول يتكوّن من ستين مركبًا[٤]، يبتغون فرصة سانحة للنزول إلى السواحل الأندلسية "فلم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط في البحر والإضرار بأهل السواحل ما جرت به عادتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمعا لشدة ضبطها"[٥]. فقد اتخذ أهل الأندلس، كما وُضّح سابقًا، الاحتياطات اللازمة لحماية السواحل الأندلسية من غارات النورمان، ممّا أدى إلى إخفاق الحملة الثالثة في تحقيق أهدافها في السلب والنهب والاستيطان، وهذا ما أكدته رواية ابن حيان : "فألفوا البحر محروسًا والمراكب تجري ما بين حائط إفرنجة في الشرق وحائط جليقية في الغرب"[٦]. وما إن وصل

(١) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص٣٠٩ . (وقد ذكر العذري المبلغ وقدره ٧٠ ألف دينار، العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٩ . في حين ذكر النويري المبلغ وقدره ٩٠ ألف دينار، نهاية، ج٢٣، ص٣٨٩ .

(٢) العذري، نصوص عن الاندلس، ص ١١٨، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٧ .

(٣) غزوات النورمانيين، ص١٥٣.

(٤) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص٣١١ .

(٥) المصدر نفسه، ص٣١١ .

(٦) العذري، نصوص عن الاندلس، ص ١١٩.

خبر غزو النورمان إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن حتى كتب إلى جميع عمال السواحل بالاستعداد والاحتراس والتأهب[١]، وفي الوقت نفسه بدأ الأمير محمد باستنفار الثغور الأندلسية وتجريد الجيوش نحوهم، "واستنفر الناس اليهم وقدم كليب بن محمد بن ثعلبة القائد في كثيف من الرجال إلى الجزيرة (الخضراء)، وأخرج أثيره الحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبدة إلى إشبيلية، كما أخرج عبد السلام بن عبد الله بن ثعلبة إلى رية وأكثف بهم العدد"[٢].

فوّتت الاستعدادات التي أعدتها الإمارة الأموية لحماية السواحل الأندلسية الفرصة على النورمان، فعندما تقدم أسطولهم إلى جهة إشبيلية وانتهى عند مصبّ نهر الوادي الكبير لأجل التوغل نحو إشبيلية، تصدى لهم الأسطول الأندلسي وأجبرهم على الفرار "فذادهم عنها الحاجب عيسى بن الحسن بمن معه في الأسطول عن إشبيلية"[٣]. انحدر النورمان بمحاذاة الساحل باتجاه الجزيرة الخضراء بغية البحث عن ثغرة ينفذون منها إلى الساحل الأندلسي، إلا أنهم وجدوه محروسًا[٤]، فاتجهوا صوب البحيرة، وما إن وصلوا اليها حتى تعرّضت مراكبهم إلى عاصفة شديدة أعطبت لهم أربعة عشر مركبًا[٥]، ممّا أضعفهم وحدّ من اندفاعهم، فكتب عامل الجزيرة مطرف بن نصير إلى الأمير محمد يخبره بما حدث لهم[٦].

لم يحقق النورمان أيّ شيء من أهدافهم تجاه الجزيرة الخضراء وسواحل الأندلس الأخرى، بدليل قول ابن حيان: "فنكبوا عن حائط الأندلس واعتلوا إلى جهة الفرنجة، فلم يلقوا ظفرًا، وأسرعوا الانصراف إلى بلدهم بالخيبة"[٧] .

ممّا تقدّم من عرض للعلاقات الحربية بين الدولة الأموية والنورمان، يتبيّن ما يأتي:

١- فرار الكثير من الناس الموجودين في المدن أمام الغزاة فسح لهم المجال بالتحرك السريع، إلى ما كانوا يصبون إليه من السلب والنهب وحتى الاستيطان في بعض الأماكن.

٢- أبدى الأمير عبد الرحمن الثاني اهتمامًا بالبحرية الأندلسية وتطوّرها، وأمر بإقامة المحارس على الشواطئ الأندلسية، وكذلك أمر ببناء سور حول مدينة إشبيلية، وتبادل السفارات بين الأمير عبد الرحمن الثاني وملك الدنمارك، كل ذلك أدّى إلى إيقاف الهجمات في السنوات اللاحقة .

---

[١] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي) ص٣١١ – ٣١٢ .
[٢] المصدر السابق، المقتبس، تحقيق (مكي) ص٣١١ – ٣١٢ .
[٣] المصدر نفسه، ص٣١٢.
[٤] العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٩.
[٥] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق (مكي)، ص٣١١ .
[٦] العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٩.
[٧] المقتبس، تحقيق (مكي)، ص٣١١ .

٣- فقد النورمان عنصر المباغتة الذي يمتاز به رجالهم، بعد الاستعدادات الحربية التي أجرتها الإمارة الأموية بشأن حركة الاستطلاع والتهيّؤ لأي طارئ، ممّا حرمهم من مقدرتهم العسكريّة.

وتجدر الإشارة إلى أن الفترة الممتدة ما بين (٢٣٨-٣٠٠هـ/ ٨٥٢-٩١٢م) تعرف بعصر دويلات الطوائف الأولى، وهي ما بين انتهاء حكم عبد الرحمن الأوسط وحتى مجيء عبد الرحمن الناصر، توالى على الحكم فيها أمراء ضعاف، هم: محمد بن عبد الرحمن (٣٢٨ - ٢٧٣ هـ ٨٥٢ - ٨٨٦م)، والمنذربن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨ م)، وعبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢)م[١].

اتسم الحكم الأمويّ آنذاك بعدم الاستقرار السياسي، وكثرة الفتن والثورات، وقيام بعض المدن وانفصالها حتى عُدّت دولاً مستقلة رفعت أعلام الخروج على السلطة، كما كانت مراكز المدن أول الثائرين ضدّ الحكم الأموي، ساعدهم على ذلك حصانة البلاد، وقوتها وشدة بأس أهلها؛ إذ كانت مناطق كثيفة السكان، وهي خليط من العرب والمولدين والبربر، وكان هؤلاء من السادة والأشراف، وليس لديهم القدرة على الإذعان والخضوع للطاعة[٢].

الأمير المنذر بن محمد:

توفي الأمير محمد سنة (٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، وتولى الإمارة ابنه الأمير المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ/ ٨٨٦- ٨٨٨م)، ولد سنة (٢٢٩هـ-٨٦١م)، يكنى بأبي الحكم، وبويع يوم الأحد لثمان خلون من ربيع الأول سنة (٢٧٣- ٢٧٥هـ/ ٨٨٦- ٨٨٨م)، وهو ابن اربع وأربعين سنة، نشأ على حبّ الجهاد، وكان والده يرسله في معارك كثيرة، فتولدت له الخبرة والدرايه العسكرية في مواجهة الحروب والثورات، ومن أخطر الثورات التي عصفت بالأندلس في عهده ثورة ابن حفصون[٣]، ولم تشكل مدينة إشبيلية أية خطورة على الإمارة في عهده، كما لم يطل عهده سوى عامين[٤].

الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ /٨٨٨-٩١٢م):

---

(١) العبادي، تاريخ المغرب، ص١٦٧

(٢) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢١٩-٢٢٠، انظر زكار، سهيل، وآخرون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي، منشورات جامعة دمشق، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ص٧٨، وسيشار إليه في ما بعد: زكار، تاريخ الأندلس.

(٣) ابن حيّان، المقتبس تحقيق (ملشور أنطونيا)، ص٧٠، انظر أدهم، علي، دراسة لحياة الأمير عبد الرحمن الملقب بالداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة، ١٩٣٨م، ص٣٢، وسيشار إليه في ما بعد: أدهم، عبدالرّحمن الداخل، ابن حفصون هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن إذفنوش، كان من المسالمة وكبير الثوار في الأندلس منذ أيام الأمير محمد حتى مستهل الناصر، بدأ ثورته ٢٧٦هـ؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٦٨-٦٩.

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٠.

ولد بقرطبة في عام (٢٢٩هـ-٨١٤م)، وأمه تدعى بهار، ولِي عرش الإمارة بعد وفاة أخيه المنذر، وذلك في منتصف صفر (٢٧٥هـ-٨٨٨م)، وكان في السادسة والأربعين من عمره، وجاء إلى الحكم في ظلّ ظروف صعبة لكثرة الثورات والفتن التي عصفت بمدن الأندلس؛ إذ خرج (بنوحجاج)[١] و(بنو خلدون)[٢] في إشبيلية، وعبد الله بن أبي الجواد في باجة وغيرها من المناطق، ولم يكن هناك انسجام حتى بين فئات السكان من مولدين وعرب وبربر، فدبّ الصراع بينهم؛ حيث إنّ كلاً منهم يريد الاستقلال وتدعيم سلطانه على حساب العاصمة قرطبة التي لم تعد تسيطر إلا على نفسها وضواحيها، فاتسم عصره بعدم الاستقرار السياسي[٣]، ووصف ذلك النويري قائلاً: "كانت في أيام الأمير عبد الله أيام عظيمة، وكثر قيام الثورات، حتى لم يبق في يده إلا مدينة قرطبة وحدها، وخالف عليه أهل إشبيلية وشذونة...." [٤].

وفي عهده انتشرت الثورات في جميع أنحاء الأندلس، وشقت عصا الطاعة عن قرطبة، بالرغم من إرسال الأمير عبد الله الجيوش إلى أنحاء مختلفة من أجل القضاء على تلك الثورات، إلا أنه لم يستطع لكون الأحداث في الأندلس قد خرجت عن نطاق السيطرة. ومن تلك المدن التي نشبت فيها الثورات المختلفة مدينة إشبيلية، التي بقيت تتمتع بالهدوء والاستقرار حتى مجئ الأمير عبد الله، فانتشرت الفتنة التي عمّت هذه المدينة، فبدأت القبائل العربية اليمانية تثير عوامل الثورة والعصيان، وتطمع بالرئاسة والاستقلال بها، وكانت إشبيلية محط عدد كبير من البيوتات العربية ذات الثراء والعصبية القبلية، وقد كادت هذه العصبية أن تشعل نار الفتنة فيها عام (٢٧٦هـ-٨٨٩م)، بقيادة كريب بن عثمان بن خلدون، وهو من رجالات العرب اليمانية[٥].

ثورة العرب اليمانية في إشبيلية:

أعلن كريب العصيان (٢٧٦هـ-٨٨٩م)، وأخذ يدعو قومه العرب اليمانية في إشبيلية إلى الثورة والانضمام حوله، وقد استغل الظروف التي سادت في الأندلس آنذاك؛ من فتن

---

(١) بنو حجاج: هم من القبائل الحضرمية من قبيلة لخم، ومنهم عبد الله بن حجاج بن عمر بن حبيب بن عمير بن سعيد وهو الداخل إلى الأندلس (زعيمهم) بن مرة بن ديسم بن سليمان بن محمد بن وائل بن جزيلة بن لخم، انظر ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ - ١٠٦٩م)، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٤٥٩-٤٦٠، سيشار إليه في ما بعد: ابن حزم، جمهرة.

(٢) بنو خلدون: هم من قبائل اليمنية من حضرموت، ومنهم كريب بن عثمان بن بكر بن خالد بن بكر بن خالد بن عثمان بن حسان، بن كريب بن معد بن يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر، وهذا يتصل بنسبه بالعرب الحضارمة القحطانيين، وينسب إلى هذه الأسرة المؤرخ ابن خلدون بن عبد الرحمن بن محمد، انظر ابن حزم، جمهرة، ص٤٦٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٠-١٢١، انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مجلد١، طبعة٢، الخانجي، القاهرة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص٢٠، وسيشار إليه في ما بعد: ابن الخطيب، الإحاطة؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٣١٨-٣١٩، سعدون؛ تاريخ العرب،ص١٠٠.

(٤) النويري، نهاية الأرب،ج٢٢،ص ٥٩.

(٥) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٦٨، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٢٧.

وثورات طامعًا في حكم إشبيلية مسقلاً عن الإمارة في قرطبة، لكنهم رفضوا ما دعا إليه، وأبوا أن يستغلوا من قبله ليصل إلى ما يطمع إليه في حكم إشبيلية، وعندما فشل في تحريك هؤلاء العرب عمد على الاتصال مع الثوار المجاورين بإشبيلية[١].

بدأ كريب يعمل على تشكيل حلف يضمّ العرب اليمنية، وتحالف مع سليمان بن محمد بن عبد الثائر بمدينة "شذونة"، وهو من قبيلة لخم، وعثمان بن عمرو في لبلة من قبائل خشين وجنيد بن وهب القرموني بمدينة قرمونة، وهو من البربر البرانس[٢].

وفي مقابل هذا الحلف تشكل حلف من العرب المضرية والموالي والمولدين من أهل إشبيلية والبربر من البتر من كورة مورور، وإلى جانب هذين الحلفين المتعاديين طرف ثالث محايد متمسك بطاعة الأمير عبد الله، وهم من رجال قريش ومواليهم من العرب والبربر، ومنهم قريش بن عبد الله بن الأشعث ووليد وحكم ابنا هشام بن وثان، ومن الموالي عثمان بن العمر بن أبي عبيدة وواضح بن يحيى بن فهر، أمّا العرب من زعماء اليمنيين فمنهم عبد الله بن مذحج الزبيدي وزيد عباس ابنا عبد الله الألهاني، وأما زعماء المضرية فمنهم وليد وإبراهيم ابنا عمر بن عبد الله بن قيس البصري[٣].

وقد وجد الحلف اليمني بزعامة كريب أنه ليس بمقدرته مواجهة المضرية في السطيرة على إشبيلية؛ لكثرة المعارضين له والمواليين للحكم الأموي؛ فخرج بمن معه إلى ضواحي إشبيلية ونزل في قرية الشرف تدعى بـــ (البلاط)، وأخذ يدعو أهل الشرف من قومه (حضرموت)، وفي تلك الأثناء علم الأمير بتحركات كريب فأرسل واليه على إشبيلية، وهو موسى بن العاص بن عبد الله بن ثعلبه لمتابعة الأوضاع. ولكثرة خيرات مدينة ماردة وقلة المدافعين عنها، فقد حرّض كريب وزعيم البربر جنيد البربرَ على شنّ هجوم على إشبيلية[٤].

ويُلحظ أنّ ما قام به كريب كان من أجل الانتقام من الذين امتنعوا عن الوقوف إلى جانبه في ثورته، وأن الأمير عبد الله لم يكن قادرًا على حمايتهم.

---

(١) أدهم، عبد الرحمن الداخل، ص٣٠.

(٢) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطونيا، ص٦٨، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٦٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٧٠؛ أبو ضيف، مصطفى، القبائل العربيّة في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأمويّة، الدار البيضاء، (د.ت)، ص٢٦٣، وسيشار إليه في ما بعد: أبو ضيف، القبائل. البرانس:هم من البربر، جدهم برنس، انظر القلقشندي، أحمد بن علي، قلائد الجمان في تعريف عرب زمان، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٣٥، وسيشار إليه في ما بعد: القلقشندي، قلائد الجمان.

(٣) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٦٨، ملقب بالأبتر، وهم من البربر، جدهم مادغيس، انظر ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١١٧؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص٣٥.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص٣٠٤.

وكانت النتيجة أنهم غنموا كثيرًا، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى إحدى قرى إشبيلية (طلياطة)، فقتلوا رجالها وسبوا النساء والأطفال[١]، فدعا ابن العاص كلَّ من يستطيع حمل السلاح من أهل إشبيلية لمواجهة البربر في طلياطة، وأظهر كريب أنه مع جيش الوالي ودعا البربر للصمود، وأنه عند المواجهة سوف ينسحب لإرباك جيش ابن العاص، فالتقى الجيشان وانهزم الوالي وطاردته البربر إلى أن وصل إلى قرية وبر من إقليم البرّ وتحصّن فيها[٢]، ورجع البربر إلى طلياطة وأقاموا فيها ثلاثة أيام عاثوا فيها فسادًا، وأخذوا ما استطاعوا حمله ومن ثمَّ عادوا إلى مراكبهم.

وبعد هجوم البربرعلى إشبيلية، سار الثائر في بطليوس (غرب الأندلس) عبد الرحمن من مروان الجليقي نحو إشبيلية، وأقام في قرية مورة التي تبعد عن الحاضرة إشبيلية ثلاثة أميال، من إقليم البرّ، وسلب ونهب فيها ثلاثة أيام، ثم رجع بغنائم كثيرة[٣].

ونتيجة لهذه الأوضاع التي تشير إلى عدم الاستقرار في إشبيلية، وزعزعة الأمن فيها، عزل الأمير عبدُ الله ابنَ العاص عن إشبيلية، وعيّن حسين بن محمد الموري واليًا عليها[٤].

تولى حسين الموري ولاية إشبيلية، وعمل على تهدئة الأوضاع مدّة قصيرة من الزمن، وقام في عهده رجل من بربر قرمونة يعرف ب "طماشكه " يرأس مجموعة من قطاع الطرق الذين عملوا على قطع الطريق الواصل بين إشبيلية وقرطبة، وهذا ما كان يسعى إليه كريب، ولم يستطع الوالي القضاء عليهم بعد أن أشاعوا الخوف والذعر في المِنطقة، ونهبوا المارّين بها[٥]، عندئذ اقترح المولدي محمد بن غالب، وهو من رجال إستجة، أن يستأذن الأمير ببناء حصن شنت طرش على الطريق بين إشبيلية وقرطبة؛ لبسط الأمان للمسافرين وتأمين المواصلات، فردّ عليه الأمير عبد الله بالقبول[٦]، أمّا العذري فيشير أن الذي بنى الحصن هو عبد الله بن الأخرس، وهو من موالي الأمير[٧].

يتبيّن ممّا سلف أن الأمير لم يعارض في بناء الحصن؛ إذ ليس بمقدرته ضبط البلاد بسبب الضعف والانحلال الذي عمّ أرجاء الأندلس، كما أنّ اشتعال الفتنة في إشبيلية يمثل خطرًا كبيرًا على العاصمة قرطبة؛ إذ يعدّ هذا الطريق المغذي الرئيس من الناحية الاقتصادية بين إشبيلية وقرطبة، وقد يؤثر سلبًا في الناحية التجارية من حيثُ نقل السلع والبضائع والمسافرين.

---

(١) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٦٥.
(٢) حمدي، التاريخ السياسي، ص٦٦.
(٣) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور انطوانيا، ص٦٩، انظر أدهم، عبد الرحمن الداخل، ص١٣١.
(٤) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور انطوانيا، ص٦٩، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٦٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٠٤.
(٥) حمدي، التاريخ السياسي، ص٦٨.
(٦) ابن حيّان، المقتبس، ص٧٠، انظر أدهم، عبد الرّحمن الداخل، ص٣٢.
(٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٤.

وفي ذلك الحصن، حشد ابن غالب عددًا من الموالي والمولدين أنصاره، فانتشرت سمعته بين الناس لقوته في التصدي لطماشكة، ولم يرضَ زعماء العرب من بني خلدون وبني حجاج ما وصل إليه ابن غالب من قوة، فشنوا على الحصن هجومًا في الليل، ويعدّ هذا أول تحالف بينهم، فتصدّى لهم من بالحصن، فاندلعت حرب بينهم، قتل على إثرها رجل من بني حجاج، فأخذ زعماء العرب الجثة إلى والي إشبيلية لإقناعه بأنه قتل بلا ذنب، مدلين بشهادتهم أمامه، لكنه لم يستطيع حسم هذا الأمر، فأحال قضيتهم إلى الأمير عبد الله في قرطبة[١] .

وعندما وصل الخصمان إلى قرطبة أمر الأمير عبد الله بدخولهم عليه، فقام العرب بإدلاء أقوالهم أمام الأمير عبد الله بأنّ ابن غالب خائن، وأنّ أعوانه لصوص، واتهموه بأنه على اتصال بالثائر من ابن حفصون[٢].

وأمّا بالنسبة لردّ المولدين على خصومة العرب، فقد قالوا للأمير: إنّ زعماء العرب هم الذين دبّروا اقتحام الحصن في أثناء الليل، وأنّ ابن غالب ردّ على هذا الهجوم دفاعًا عن نفسه، وهم الذين يتحمّلون وزر قتل أحد رجالاتهم، وكلّ ما نسبوه إلى ابن غالب كان أ كاذيبًا، وأنه من أصدق الناس وأكثرهم ولاء للأمويين[٣].

لم يصدر حكم في أمر المختصمين (العرب والمولدين) لحين استكمال الأدلة لدى الأمير، فأرسل الأمير ابنه محمد إلى إشبيلية وأمر بحضور الطرفين المتنازعين إلى بلاط إشبيلية لسماع شهادتهم، ثم عرضها على أهل العلم؛ حيث يقومون على إنصافهم[٤].

وبذا، يتبيّن أنّ مقتل الرجل العربي لا يستدعي كل هذا التحقيق، لكنّ الأمير عبد الله يريد كسب الطرفين إلى جانبه؛ لأنه إذا حكم لأحدهما فستشتعل الفتنة مرة ثانية في إشبيلية.

وفي صدد هذه الأحداث عَزل والي إشبيلية وَعيّن بدلاً منه محمد بن خالد الخالدي، وهو المعروف بالأعرج، ثم عزله بعد مدّة قصيرة، وولي على إشبيلية أميّة بن عبد الغافر الخالدي ابن عمّ الأعرج، فطلب ابن الأمير من الخالدي الحضور لسماع أدلة الطرفين، وبعد سماع أقوالهما التي تعصّب فيها كلّ منهما لحزبه، سواء بني حجاج (العرب) أو الموالين لابن غالب، فشل محمد في القضاء على تلك الفتنة، فأمر بتأجيل الحكم وأعاد ابن غالب إلى حصنه[٥].

---

(١) أبو ضيف، قبائل، ص٢٦٤-٢٦٥، انظر الرويضان، سعد سالم مرشد، ثورة ابن حفصون وأولاده في جنوب الدولة الأموية في الأندلس، رسالة نوقشت في الجامعة الأردنيّة، الأردن، ١٩٩٨م، ص١٨٠، وسيشار إليه في ما بعد: الرويضان، ثورة ابن حفصون.

(٢) ابن حيّان، المقتبس، ص٧٠، انظر أدهم، عبد الرحمن الداخل، ص٣٢؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٦٨-٦٩.

(٣) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٧١، انظر حتاملة، الأندلس، ص٣٠٥؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢١٥؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٦٩.

(٤) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص ٧١، انظر أدهم، عبد الرحمن الداخل، ص٣٣.

(٥) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق ملشور أنطوانيا، ص٧١، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٧٠؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٦٥.

ردّة فعل اليمانيّة على الإمارة في قرطبة:

رحل عرب إشبيلية عن حاضرتهم إشبيلية نتيجة السياسة المجحفة في حقهم، كما يرون ذلك؛ لعدم قدرة السلطة الأموية على حسم النزاع؛ لأنها قامت على تأجيل القضية إلى حينها، وشعروا أن السلطة الأموية تقف في صف ابن غالب.

وقد أدّى ذلك إلى أن ينزل بنو حجاج في باديتهم في السند الواقعة بين إشبيلية ولبلة، وكان زعيمهم عبد الله بن حجاج المكنى (بأبي زيد)، وخرج بنو خلدون إلى قريتهم بالشرف، وكان أغلب سكانها من حضرموت، وشكل كلا الطرفين تحالفات من العرب اليمانية والبربر، وأعلنوا الثورة والعصيان على الأمير عبد الله، وانقسم العرب إلى قسمين؛ قسم بزعامة ابن خلدون بمساعدة سليمان الشذوني، وسيطروا على حصن قورة الواقع على نهر الوادي الكبير إلى الجنوب من مدينة إشبيلية، أمّا القسم الثاني الذي تزعمه ابن الحجاج فقد استولى على قرمونة بمساعدة جنيد، وطردوا عاملها محمد بن عبد الله بن بزيغ[١].

ردّة فعل المولدين إزاء الثوار العرب:

خاف المولدون على أنفسهم في إشبيلية من الثوار العرب، فاستكملوا بناء سور إشبيلية وحصّنوه، وطلبوا من ابن غالب أن يمدهم بقواته وأن يأتي للدفاع عن المدينة، وكان الأمير محمد قد أرسل إلى والده في قرطبة يعلمه بتطورات الأحداث في إشبيلية على الصعيد العربي والمولدي، وعلى إثر الكتاب الذي وصل من الابن محمد عقد الأمير اجتماعًا عاجلاً، دعا إليه وزراءه؛ لمناقشة الأوضاع المضطربة في إشبيلية، ولم يصلوا إلى حل جذري في الأوضاع المستجدة هناك، فخلا به أحد وزرائه واقترح عليه قتل ابن غالب لإرضاء العرب، وبهذا سيخرجون من المناطق الجنوبية قرمونة وحصن قورة.

وخلال الاجتماع وردت إلى الأمير أنباء بتآمر المولدين مع ابن غالب، فقرّر الأمير قتله، فأرسل الخالدي أخا أميّة بن عبد الغافرعامل إشبيلية في ذلك الوقت لهذه المهمّة على رأس قوة، مقنعًا ابن غالب بأنه يريد قتال العرب، فاستعدّ ابن غالب للسير معه لقتال العرب[٢].

---

(١) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق ملشور انطوانيا، ص٧٢، انظر حمدي، التاريخ السياسيّ، ص٧١؛ أدهم، عبد الرّحمن، ص٣٣؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٦٦.

(٢) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٧٣، انظر العذري، نصوص عن الأندلس،ص ١٠٢-١٠٥؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٧٢.

وهذا يؤكد أنه كان ينوي الانتقام من العرب؛ إذ دخل الشك إلى قلب ابن غالب، وكان مصدره الخوف من الأمير عبد الله الذي يريد معاقبته لأنه لجأ إلى ابن حفصون، وأنه كان على علم باتفاقه السري مع المولدين، وكانت هذه الشكوك في محلها؛ إذ ما أنْ عسكر الجيش في قرمونة حتى قام جعد بمراسلة عبد الله بن حجاج سرًّا وأخبره بما نواه الأمير حيال ابن غالب مقابل العودة إلى الطاعة، وفي تلك الأثناء قتل ابن غالب على يد محمد بن مسلمة الباجي بأمر من القائد جعد، ثم هدم حصن ابن غالب وانسحب ابن حجاج من قرمونة بعد تسليم رأس ابن غالب له[١].

موقف المولدين إثر مقتل ابن غالب:

ثار المولدون والموالي بقيادة محمد بن عمر بن الخطاب بن أنجلني في إشبيلية لمقتل ابن غالب، فطلبوا من الأمير عبد الله أن يكونوا هم حراس مدينة إشبيلية، وأن تسلم مفاتيح المدينة لهم، فاستجاب الأمير لمطالبهم[٢].

وهذا يدلّ على عدم مقدرة قوّاته على مواجهتهم، وأنّ العرب في إشبيلية قد أعلنوا العصيان عليه لتقرّبه من المولدين.

وعندما أصبحت مدينة إشبيلية تحت تصرّف المولدين وإمرتهم، قتل أميّة كونه أخا جعد الذي أمر بقتل محمد بن غالب، فطلبوا من ابن مولود، وهو أحد المتمردين على الدولة الأموية في كورة شذونة أن يمدّهم بقواته، فأرسل إليهم فرسانه، وعندما أعلنوا الثورة تقدموا إلى دار الوالي في إشبيلية، فلما علم أميّة بذلك فرّ مسرعًا إلى قصر الأمير مستنجدًا به، فنهب الثوار دار أمية ثم لحقوا به إلى قصر الأمير محمد، وقد انضمّ إليهم أهالي مدينة إشبيلية، وأعلنوا الخروج عن طاعة الأمويين، فلم يستطيع الأمير محمد مواجهة هؤلاء الثوار، فأرسل رسولاً إلى زعيم الثورة وأعوانه؛ ابن شبرقة وابن الجريح للتفاهم عنده[٣]، واحتاط المولدون فلبسوا دروعهم متجهين إلى القصر، وطلبوا من أعوانهم (العرب والبربر) وأهالي المدينة إذا جاء وقت آذان الظهر ولم يخرجوا عليكم أن يهجموا على من في القصر، وخلال التفاوض هاجم الثوار القصر

---

(١) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطونيا، ص٧٢-٧٣، انظر أبو ضيف، القبائل، ص٢٦٧؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٢٧٢.

(٢) ابن، حيّان، المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص٧٤، انظر أدهم، عبد الرحمن الداخل، ص٣٤-٣٥؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٦٧؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٧٢.

(٣) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق ملشور انطوانيا، ص٧٤، انظر أدهم، عبد الرحمن الداخل، ص٣٥.

ونهبوا وسلبوا ما فيه من خيل ودواب، فقبض أمية على زعيمهم ابن أنجلين، وأمر حراس القصر بالدفاع عنه، وكان ذلك في يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الأولى (٢٧٦هـ-٨٨٩م) [١].

وفي أثناء ذلك الهجوم المباغت أرسل الأمويون محمد بن زيد بن عبد الله إلى جعد يطلب المساعدة وإنقاذ الأمير وأخيه أمية، فاستجاب جعد لهذا النداء ودخل إشبيلية من جهة الجنوب، وسهّل يهود المدينة له الدخول، واستنجد بزعماء العرب الذين وقفوا موقف الحياد منذ ظهور رايات الاستقلال في إشبيلية، أمثال: عبد الله ابن الأشعث القرشي[٢].

وبذا، فقد اقتحم جعد وأعوانه القصر، واستمرّت الحرب قائمة مدة يومين، سيطر عليها الجيش القادم لنجدة الأمير محمد ومن في القصر، وقتل فيها عدد كبير من المولدين، وغرق كثير منهم في النهر، وأمر الأمير محمد فنهبت دور الثوار، وقتل زعماؤهم، وصودرت أملاكهم، فانكسرت شوكة المولدين، وقد أبادت هذه الفتنة المولدين في إشبيلية، وعلم الأمير بهذه الأوضاع المضطربة فطلب من ابنه محمد الرجوع إلى قرطبة وترك حكم مدينة إشبيلية بيد أميّة بن عبد الغافر[٣].

مقتل زعيم بني حجاج (عبد الله):

اتبع والي إشبيلية أميّة سياسة لكسب ودّ العرب، فقرّب إليه زعيميهما: ابن حجاج وكريب، واقنعهم أنه قمع المولدين من أجلهم، وفي تلك الأثناء طلب ابن حفصون دمّ المولدي حليفة ابن غالب من الأمير عبد الله، وعلم جعد بذلك الخبر، فحدثته نفسه بأن الأمير غيرُ قادر على مواجهة ابن حفصون.فعزم على الرحيل من العاصمة قرطبة هو وإخوانه: هاشم وعبد الغافر، متجهًا إلى أمية والي إشبيلية[٤] ونزلوا في طريقهم على حصن"شنت فيله"، وكان عليه ابن الليث العريف فاستقبلهم، وعلم بوجودهم أخو محمد بن غالب، الذي كان مع رفقة الطماشكة (قطاع الطرق)، فاستعانوا به على جعد وقتلوه هو وإخوته، وعلم أمية بذلك فحزن على مصرع إخوته، فثارت عصبيته وطلب من عرب إشبيلية وقرمونة الهجوم على المولدين في إشبيلية وحلفائهم الذين حملهم مسؤولية ذلك، وأكثروا فيهم القتل فلم يبق منهم إلا القليل[٥].

وهكذا، نلحظ ممّا تقدم أن إشبيلية أصبحت يمانية خالصة للعرب.

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٤، انظر حتاملة، الأندلس، ص٣٠٦.
(٢) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق ملشور أنطوانيا، ص٧٥، انظر أبو ضيف، القبائل، ص٢٦٨؛ أدهم، عبد الرحمن الداخل، ص٣٥.
(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٣، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٧٣؛ حمدي، التاريخ الساسيي، ص٧٤؛ صالح، الأندلس في عهد الطوائف، ص١٣٧.
(٤) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٧٣، انظر صالح، الأندلس في عهد الطوائف، ص١٣٧.
(٥) حمدي، التاريخ السياسي، ص٧٥، أبو ضيف، القبائل، ص٢٦٩، الرويضان، ثورة ابن حفصون، ص١٨٣.

قويت شوكة العرب في إشبيلية، ولم يتأقلموا مع عاملها أمية بن عبد الغافر، فتراجعت العلاقة إلى أسوأ ممّا كانت عليه، على الرغم من تعاونهم معه، وذلك من أجل القضاء على المولدين، فعادوا إلى مراكز ثورتهم، وذهب ابن حجاج إلى قرمونة وكريب إلى حصن قورة وجمعوا من حولهم من الثائرين على الإمارة، فكان موقف أميه ضعيفًا لقلة قوّاته، فلجأ إلى سياسة التفرقة(١).

أمّا شواهد هذه التفرقة، فقد تمثلت في خرق العلاقة بين ابن حجاج وابن وهب القرموني حليفه، الذي كان يشاركه في حكم قرمونة، فقتل وهب ابن حجاج وسرق أملاكه وأرسل برأسه إلى أمية، ثم قطع العلاقات بين عرب لخم والبربر متخذًا طريقًا آخر للإيقاع بين العرب أنفسهم.

وعلى أغلب الظنّ أنّ ابن وهب دخل في طاعة الأمير عبد الله، وأصبح مركز العصيان في إشبيلية دون قرمونة، وأن زعماء العرب في إشبيلية يطلبون الإمدادات من المدن المجاورة لها دون قرمونة، وهذا عائد إلى قتل ابن حجاج على يد ابن وهب صاحب قرمونة.

تزعم قبيلة لخم بعد قتل عبد الله بن حجاج أخوه إبراهيم، واتهموا أميّة بأنه قتل زعيمهم، وادّعى أميّة أنه بريء من دمه، وأظهروا أمامه بأنهم قد صدقوه لكنهم أضمروا بداخلهم عدم تصديقهم له، وقاموا بمراقبة تحرّكاته وسياسته التي تهدف إلى التخريب بينهم وبين حلفائهم بني خلدون.

ويدلّ على مدى العلاقة المتينة بين العرب اليمانية التي لم يستطع ابن أميّة خرقها، بناء أمية على قصبة بقصره (مساحة من الأرض أقام عليها أسوارًا لحماية نفسه)، فاحتجّ اليمنية على ذلك وهاجموه لكنه كان على أتمّ الاستعداد لهم؛ لأنه علم أنهم على دراية بسياسته التي يسعى إليها في التفريق بينهم، فانهزموا من أمامه وعادوا إلى طاعته وأخذ كثير من رهائنهم(٢).

وهذا يدلّ على أن العرب في إشبيلية يريدون الاستقلال، مع الاحتفاظ بطاعة الأمير، وذلك مثل بقيّة مدن الأندلس.

مقتل أميّة بن عبد الغافر:

كان ابن كريب وإبراهيم يترقبون الفرصة المناسبة للقضاء على أمية وقتله، فقاموا بدسيسة عليه من قبل أحد رجاله بعد أن جلبوه إلى حلفهم لمراقبة تصرفاته، وفي أحد الأيام أنهى

(١) حتاملة، الأندلس، ص٣٠٦، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٧٦.
(٢) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق ملشور أنطونيا، ص٧٧، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٧٦-٧٧؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٠.

عمال القصرعملهم، فمنهم من ذهب للراحة ومنهم من خرج من القصر لشراء بعض الحوائج، فعلم هذا الرجل بوجود أمية وحده في القصر، فهاجمه والعرب، غير أن أمية أحسّ بهم، فاحتمى بالرهائن المسجونون عنده بهم بعد أن أخرجهم، وهدد بقتلهم إذا ما كفوا عنه هذا الهجوم[١].

منح (العرب اليمانية) أمية الأمان، وأنهم سوف يعودون إلى طاعته مقابل فك الرهائن، فقبل بشرطهم مقابل أن يحلف كل واحد منهم يمينًا على ما عقدوا عليه كلاً من ابن كريب وابن حجاج، وما إن أطلق سراح الرهائن، حتى نقضوا عهدهم وقاموا على حربه، ولشدة كبريائه قام بقتل الجواري وحرق كل ما في القصر، وأبقى على سيفه وخرج لقتالهم، فقتل أمية وعاثت الناس برأسه، ومن بعدها ترأس العرب اليمانية مدينة إشبيلية، وأرسلوا للأمير عبد الله مبررين قتله بأنه يريد الاستقلال عن قرطبة، وإعلان العصيان عليه، وما كان على الأمير عبد الله إلا قبول أعذارهم في قتل أمية[٢].

وفي هذا دلالة على أنه ليس أمام الأمير عبد الله سوى القبول بما قال هؤلاء العرب؛ إذ إنه لا يملك قوة كافية لردعهم.

ونظرًا إلى الأوضاع المتردية في إشبيلية، عيّن الأمير واليًا جديدًا على مدينة إشبيلية؛ ليظهروا أمامه أنهم على طاعة؛ وذلك استجابة لطلب زعماء العرب.

سياسة الأمير عبد الله في مدينة إشبيلية:

لكن، ما إن استلم الحكم في إشبيلية الوالي الجديد حتى أصبح ألعوبة بيد ابن كريب وابن حجاج، فاضطر الأمير عبد الله إلى إرسال عمّه هشام بن عبد الرحمن الأوسط للتحقق من ذلك الأمر، وكان معه عمرو بن سعيد بن العباس[٣] ولشدة نفوذ العرب قاموا باعتقالهم في القصر، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بقتل المطرف ابن عمّ الأمير وهو يتنزّه في إحدى نواحي إشبيلية، فراسل هشام ابن أخيه وأخبره بقتل ابنه لمساعدته، لكنه لم يحرّك ساكنًا، وأرسل العامل الجديد رسائل يعلم فيها الأمير بأن العرب قد ملكوا زمام الأمور في إشبيلية؛ لأنه ليس لديه ما يكفي من الوسائل لمواجهة الثائرين[٤].

وقد استدعى ذلك كله أن يخطط الأمير عبد الله للحدّ من خطر العرب في إشبيلية، فأرسل إلى إشبيلية مبعوثًا هو محمد بن عبيد الله بن عثمان لدعوة أهلها إلى المشاركة في

---

(١) ابن حيّان، تحقيق: ملشور انطوانيا، ص٧٨، انظر أبو ضيف، القبائل، ص٢٧١.
(٢) ابن حيّان، تحقيق ملشور انطوانيا، ص١١٠-١١٢، انظر ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٦٤؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٢٧٢.
(٣) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق ملشور أنطوانيا، ص٧٩، انظر أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٢.
(٤) ابن خلدون، العبر،ج١٤، ص ١٦٤، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٧٤، حمدي، التاريخ السياسي، ص٨١.

الصائفة، فاستجابوا لمطلب الأمير؛ وذلك لإثبات أنهم على طاعته، فخرج إبراهيم على رأس قومه وأرسل كريب أخاه خالدًا وذهب حليفهم سليمان محمد بن عبد الملك الشذوني وأخوه مسلمة فانضموا إلى معسكر الإمارة في قرطبة[١]، وانطلقت هذه الجموع من العاصمة في ربيع الثاني من سنة (٢٨٢هـ -٨٩٥م) بقيادة الوزير عبد الملك بن أمية والمطرف ابن الأمير بهدف السيطرة على ثوار العرب في إشبيلية و "شذونة" [٢].

دور الأمير المطرف في إشبيلية:

كان أحد أبناء الأمير عبد الله المطرف، يعرف بشجاعته وإقدامه وجرأته، أما أخوه محمد فكان يتمتع بالقدرة الإدارية، وحينما عيّن الأمير عبد الله ابنه محمدًا ولي عهد له، ثار غضب المطرف الذي كان يطمع في ولاية العهد بعد أبيه، فبدأ بالدسيسة على أخيه محمد عند أبيه، متهمًا إياه بأنه يريد الثورة عليه، لكنّ محاولاته باءت بالفشل، وفي ذات يوم خرج الأمير عبدالله من قرطبة في بعض غزواته، فما كان من المطرف إلا أن قتل أخاه محمدًا، وكان ذلك في سنة (٢٧٧هـ - ٨٩٠م)، فحزن والده، ومنع المطرف من المشاركة في الأحداث السياسية والعسكرية نحو ثلاث سنوات، وفي سنة (٢٨٢هـ- ٨٩٥م) وجه الأمير عبد الله ابنه المطرف نحو إشبيلية في حملة عسكرية للقضاء على الثوار العرب، وخرج على رأس الجيش الوزير عبد الملك بن عبد الله بن أمية، فحذر الأمير عبد الله عبد الملك من ابنه المطرف، ونبه ابنه المطرف من أي فعل يقدم عليه تجاه الوزير، والسبب في ذلك العداوة التي كان يغمرها المطرف لعبدالملك؛ لأنه كان الحائل الذي منع أباه عبد الله من أن يوليه العهد بعد مقتل محمد، وبذا فقد كان المطرف يدبر للخلاص من الوزير عبد الملك الذي أصبح عثرة في طريقه[٣].

ويذكر أن كريب أوقع بين الوزير عبد الملك وابن الأمير المطرف؛ إذ كان على علم بالصراع بينهما وطلب كريب من المطرف التخلص من الوزير عبد الملك كونه المحرّض الأكبر عند أبيه ضدّ العرب؛ لِما له من كبير الأثر عند الأمير عبد الله، ولسلطته الواسعة في الدولة، فوعده كريب أنه سوف يدخل في الطاعة إذا تم القضاء على هذا الوزير، وكان المطرف

---

[١] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ٧٩-٨٠، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٢؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٢؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٨٠

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٤، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٧٤؛ صالح، الأندلس في عهد الطوائف، ص١٣٧

[٣] بني ياسين، يوسف، ولاية العهد والصراع على السلطة في عهد الإمارة الأمويّة في الأندلس (١٣٨ – ٣٠٠ و ٧٥٥ – ٩١٢م)، مجلة مؤتة، مجلد ٢١، العدد ٦، ٢٠٠٦م، ص ٢٦-٢٧، سيشار إليه في ما بعد: بني ياسين، ولاية العهد.

من المؤيدين للتخلص من الوزير عبد الملك؛ لأنه كان يقف في طريقه لعدم منحه ولاية العهد من أبيه عبد الله[١].

حينها زيّن كريب الأمر للمطرف بقتل عبد الملك، ففعل وأرسل رأسه إلى عرب إشبيلية، فنفذوا ما وعدوه وانضموا إلى المعسكر القرطبي، وعيّن أحمد بن هشام بن عبد العزيز قائدًا لمعسكره، وعلم الأمير عبد الله بمقتل وزيره فطلب من رجال قريش التحقق في أمر قتله، وأمر المطرف جنده بأن يقولوا إنّ قتله كان في محله، وذلك لتهاونه في عمله، وكتب الأقوال في محضر وأرسلها إلى العاصمة قرطبة[٢].

نلحظ، من خلال ما تقدم، أنّ ما قام به المطرف إزاء الوزير عبد الملك ما هو إلا انتقام شخصي؛ لأنه حرمه من ولاية العهد، وحتى يكسب ودّ الخارجين (عرب إشبيلية) عن الطاعة.

وبذا، فقد فتح كريب أبواب مدينة إشبيلية للمطرف، وطلب كريب مهلة ثلاثة أيام للخروج إليه، وفي الوقت نفسه أرسل إلى حلفائه في كور الجنوب: لبلة وشذونة يطلب المدد العسكري، حتى يواجه المطرف وجيشه، فوصلت استغاثته من حلفائه، وكاد كريب أن يقضي على مقدمة جيش قرطبة، لولا أن تصدى له جيش قرطبة وأرغموه على الانسحاب والرجوع إلى إشبيلية[٣]، لكنه سرعان ما هرب إلى إشبيلية، وتحصن داخل أسوارها، فزحف المطرف بجيشه إليها، وحاربها ثلاثة أيام، ثم رحل عنها قاصدًا قرطبة ومعه إبراهيم بن حجاج وخالد بن عثمان ومسلمة[٤].

تلا ذلك أن أمر الأمير عبد الله أعوانه بحبسهم، وقتل المطرف لأنه أقدم على قتل وزيره عبد الملك، وكان ذلك في ٢١ من شعبان سنة (هـ٢٨٢-٧٩٧م)[٥].

قيام دولة بني حجاج:

أسدى أحد وزراء الأمير عبد الله الرأي عليه بإطلاق سراح ابن حجاج وأخي كريب خالد ومسلمة الشذوني؛ وذلك لاشتداد قوة ابن حفصون الثائر وخطره في الأندلس؛ نظرًا إلى غياب هؤلاء الزعماء عن بلدانهم، فاستجاب الأمير لمطلب الوزير وأطلق سراح المسجونين بعد

---

(١) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٨٠-٨١، انظر أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٣؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٨٢-٨٣.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢٧٩، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٨٤-٨٥.

(٣) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٨١، انظر سعدون، تاريخ العرب، ص١٠٣؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٨٦.

(٤) ابن حيّان، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص١١٣، انظر عنان، دولة الإسلام ق١، عهد١، ص٣٢٨؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٣.

(٥) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٨٢، ١١٤، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٧٤؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٤؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٨٦-٨٧.

أن أقسم كل واحد منهم يمينًا في المسجد الجامع بقرطبة على أن لا يخرجوا عن طاعة الأمير، وأخذ منهم بعض الرهائن حتى لا ينكثوا العهد[١].

يتبيّن أنّ إطلاق سراح الرهائن ما هو إلا إقدام أهل إشبيلية على دفع الجباية للعاصمة قرطبة، وهذا ممّا يدل على الإذعان والطاعة لسلطة الحكم الأموي، وأنّ سياسة الأمير ترمي إلى منع أي تحالف في المناطق المجاورة لإشبيلية، فقرر إخلاء سبيلهم.

أوكل الأمير عبد الله ولاية إشبيلية بالتناصف بين بني حجاج وبني خلدون، وما كادوا أن يرجعوا إلى إشبيلية حتى نقضوا عهدهم بعدم الطاعة وإثارة الناس وخلق الفتنة[٢].

وفي هذا دلالة على عدم وجود قوًى سياسيّةٍ أخرى في مدينة إشبيلية تضارع قوة العرب .

وقد أوقع الأمير بين الطرفين عن طريق وزيره عبد الله بن محمد بن عبدة، وذلك بفتح مجال للاتصال بين زعيمي إشبيلية: إبراهيم وكريب بهدف قيام علاقات حسنة؛ كون إشبيلية قد اضطربت أوضاعها عمّا كانت عليه من قبلُ، ويتمثل ذلك بعدم دفع جباية للعاصمة قرطبة حتى يضعف كلا الطرفين، وليطمئن إلى عدم تحالفهما ضد الحكم الأموي في قرطبة[٣].

ويذكر ابن عذاري أنه في ذات يوم كاتب الزعيمان: ابن حجاج وابن خلدون الأميرَ كلٌّ في مصالحه، وهذا في ما يبدو دليل على بداية الدخول في طاعة الأمير عبد الله.

وكتب معهما خالد بن خلدون أخو كريب للأمير يقول: إنهم متشككين من ابن الحجاج، وأنه في قبضتهم، فكتب الأمير عبد الله الجواب على رقعة الكتاب نفسها، لكن سقط أحد الكتب وكان من بينها الكتاب الذي أرسله خالد من حامل الكتب، فأخذه أحد خدم القصر وأعطاه إلى رسول إبراهيم، فعلم إبراهيم بما يحوي هذا الكتاب وما يضمر له ابن خلدون من سوء نية[٤].

نلحظ ممّا سبق أن ردّ الأمير عبد الله على رقعة كتاب خالد نفسها، وسقوط هذا الكتاب من بين الكتب من صاحب البريد وإرساله بسرعة إلى ابن حجاج، ما هو إلا تدبير من الأمير عبد الله ومن غير أن يكونوا على علم بذلك.

دبّر إبراهيم بن حجاج مكيدة للخلاص من ابن كريب وخالد قبل أن يسعيا في التخلص منه، فدعاهما إلى مأدبة في قصره، وعندها أخرج ابن حجاج الكتاب الذي أرسله خالد وأخذ يعاتبهما، اشتد إبراهيم في الكلام فغضب خالد وأخرج سكينه فضرب رأس ابن حجاج ووجهه فمزق قلنسوته، وعندئذ أمر إبراهيم جنوده بقتلهم وقطع أعناقهم وألقى رؤوسهم إلى أقاربهم

---

[١] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٨٢، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٨٩؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٧٤؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٤

[٢] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٨٢، انظر أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٤.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ص١٢٥، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٨٩ .

[٤] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٨٢، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٥، حمدي، التاريخ السياسي، ص٩٠.

فتفرّقوا، ثم لاحقهم وقتلهم ونهبهم، وبعدها انصاع له جميع الكور التابعة لإشبيلية، وكان ذلك سنة (٢٨٦هـ-٨٩٩م)[١].

وكتب إبراهيم إلى الأمير عبد الله أنه بريء من دم بني خلدون، وأنهم كانوا يحرّضونه على الخروج عن طاعته، وطلب إبراهيم من الأمير الأموي ولاية إشبيلية فاستجاب لمطلبه بشرط إرسال جباية مالية كل سنة، فاستجاب إبراهيم لأمر الأمير عبد الله وأرسل إليه قاسم بن الوليد الكلبي لمساعدته، وبقي معه عدة أشهر، ثم استفرد بحكم إشبيلية وحده[٢].

ولم يعترض أهالي إشبيلية على ما أقدم عليه ابن حجاج في حق أسرة بني خلدون، وذلك لأنهم كانوا يكنون لابن حجاج المحبة والتقدير؛ نتيجة سياسة اللين والرفق التي اتبعها، وعظم أمر إبراهيم بن حجاج في إشبيلية، وامتد حكمه إلى قرمونة وأصبح له جيش كبير[٣]، عندئذ أصبحت لديه القدرة الكبيرة على مواجهة الإمارة الأموية، فطلب من الأمير عبد الله تسليم ابنه عبد الرحمن الذي أخذه رهينة عنده، فلم يستجيب عبد الله لمطلبه، فأخذ ابن حجاج بخلع الطاعة[٤] وتحالف سنة (٢٨١هـ) مع ابن حفصون على الرغم من اختلافهما، فهذا مولديّ وابن حجاج عربي، لكنهما اجتمعا على عدوهما، والتقى ابن حفصون وابن حجاج في قرمونة واتفقا على إمداد كل منهما للآخر بالرجال والخيل في حالة الهجوم، ولم يبدِ الأمير عبد الله أيّ ردّ عسكري مقابل هذا التحالف؛ خشية أن يزج بكل قواته لمواجهتهم[٥].

وبعد ثلاثة أعوام من التحالف، خطط ابن حفصون في سنة (٢٨٩هـ-٩٠٢م) بشنّ هجوم على العاصمة قرطبة، وزار ابن حجاج في إشبيلية لطلب المدد، وأن يرسل معهم قائده العربي فجيل ابن أبي مسلم الشذوني، فاستجاب لطلبه وأرسل جيشه الذي كان تحت تصرّف الثائر ابن حفصون لمواجهة الجيش الأموي بقيادة أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة، فالتقيا عند نهر شنيل جنوبي إستجة، وكان النصر حليف الثائرين[٦]، وقد شجعهم ذلك النصر على اللحاق بالفارين من الجيش الأموي على الرغم من نصيحة القائد العربي فجيل قائلاً: "هم كثير من قلة عددهم، والرجل (يقصد أبا العباس) حمي الأنفس عظيم الهمّة، ولو اجتمع عليه أهل الأندلس ما رضي بالفرار"، فلم يستجب عمر لذلك وردّ عليه: "ما أبعده ممّا ظننت، وما هو إلا

---

[١] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطونيا، ص٨٣، انظر ابن، عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٥؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٩٠-٩١؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٥.

[٢] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٤، انظر ابن خلدون، العبر، ج٣، ص١٦٤.

[٣] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢،١٧٦ .

[٤] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطونيا، ص٨٣، انظر عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٣٢٩؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٩١.

[٥] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٦، انظر ابن حيّان، تحقيق: ملشور أنطونيا، ص١٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ص١٢٦؛ ابن الخطيب، أعمال الإسلام، ص٣٥؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٥؛ سعدون، تاريخ العرب، ص١٠٤،.

[٦] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٥.

أن يشعر بنا فيركض فرسه ويطير على وجهه"، وبذا لم يبق أمام فجيل إلا الطاعة، فتبع ابن حفصون، غير أنه أشهد الله أنه بريء من فعلة عمر، فالتقوا هم وأبو العباس[١] والتحموا في معركة انهزم على إثرها عمر وقائده ابن الحجاج، وقتل منهم خمسمئة رجل، وعلم الأمير بهذا النصر[٢].

خرج الأمير إلى سطح القصر، وأمر بإخراج الرهائن وهم ابن أخي عمر بن حفصون وعبد الرحمن بن إبراهيم وأمر بقتلهم، فضرب عنق ابن أخي عمر، ولما جاء دور عبد الرحمن قام أحد مستشاريه، بدر بن أحمد الصقلبي[٣]، ونصحه بإطلاق سراحه لأنّ قتله سيدعم التحالف بين حجاج والمولديّ مدى الحياة[٤].

عرض الأمير المشورة على مجلس الوزراء وأقرّه بالعفو عنه، وتدعيم العلاقات مع إبراهيم؛ وذلك لضمان طاعته، وكفل بدرًا طاعة ابن حجاج؛ لعلاقة قديمة كانت مع إبراهيم وبدر في سجن قرطبة، فأطلق سراح ابنه وأعطاه ولاية العهد على مدينة إشبيلية بعد أبيه، ولأخيه محمد مدينة قرمونة، فسر إبراهيم بهذا ودخل في طاعة الأمير، بشرط أن يرسل مبلغًا من المال سنويًّا ويقطع التحالف مع المولدين ويبقي العلاقة معه ضمن الصداقة فقط[٥].

استطاع ابن حجاج الاستقلال بإشبيلية ولم يربطه بقرطبة سوى الطاعة الاسمية، وظلت العلاقات ودية بينه وبين الأمير الأموي، وذلك بإرسال المال والهدايا في المناسبات، وكان إبراهيم بارعًا في إدارة مدينة إشبيلية، واتخذ بلاطه الأبّهة والفخامة مثيل بلاط قرطبة، ووضع له حرسًا فخمًا، وقام بتحصين مدينة قرمونة وعهد لابنه محمد عليها[٦].

خلفاء إبراهيم بن حجاج:

توفي إبراهيم سنة (٢٩٨ هـ-٩١١م)، وكان في الثالثة والستين من عمره، وكان شديد الحرص على انتقال الولاية لأولاده، فبايع ولده عبد الرحمن بولاية إشبيلية، وولي إشبيلية بعد

---

(١) ابن حيّان،المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٦. أحمد بن محمد بن عيسى بن أبي عبدة الوزير، يعد من أبرز القادة في العهد الأموي، وكان له دور كبير في مقاتلة الخارجين عن طاعة الدولة الأموية، وظل يتولى الوزارة في عهد الأمير عبد الرحمن الناصر، واستشهد في إحدى المعارك سنة ٣٠٥هـ، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٠،

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٧-١٢٨، انظر ابن حيّان، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) بدر بن أحمد: ولاه الأمير عبد الله الوصافة ثم ولاه الخطط، وتولى في عهد الناصر الوزارة، توفي ٣٠٩هـ، انظر ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص١٧٣، انظر عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٢١٨.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٩؛ انظر ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا ، ص١٣٠-١٣١، سعدون، تاريخ العرب، ص١٠٦.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٣، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص٩٣-٩٤.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٩،انظر ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢، ص١٢٦؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٧٢٩؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص٩٥؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٥؛ سعدون، تاريخ العرب، ص١٠٤.

وفاة أبيه، وظلّ يحكمها حتى وفاته سنة (٣٠١هـ-٩١٣م)[١]، وقيل إنه مات عن طريق جارية أخيه محمد بن إبراهيم، بأن وضعت له السم في الطعام[٢].

بعد وفاة عبد الرحمن بن إبراهيم بقيت إشبيلية من غير والٍ، فتم اختيار أحد رجالات بني حجاج، وهو أحمد بن مسلمة، الأمر الذي أثار غضب محمد بن إبراهيم حاكم مدينة قرمونة، الذي يرى في نفسه أنه صاحب الحقّ الشرعي في حكم إشبيلية بعد إخوة عبد الرحمن بن محمد (الناصر) (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)[٣].

الأحوال السياسيّة للإمارة الأمويّة في عهد عبد الرّحمن (الناصر)(٣٠٠-٣١٦هـ/٩١٢-٩٢٩م):

آلت الولاية بعد الأمير عبد الله إلى حفيده الأمير والخليفة عبد الرحمن الثالث (٣٠٠- ٣٥٠هـ/٩١٢- ٩٦١م)، وكان الأمير عبد الرحمن الثالث حين ولي الحكم في الثالثة والعشرين من عمره[٤]، وعلى الرغم من أنه كان للأمير عبد الله أبناء كثيرون يصلحون للولاية، إلا أنه لم تعد الولاية تغري أحدًا من أبناء الأسرة الأموية وتثير اهتمامها، بعد أن ضربت الفوضى البلاد من أقصاها إلى أقصاها، واتصلت الفتن والثورات[٥]، وغدت الإمارة مغرمًا لا مغنمًا، فلهذا تركها أعمام الأمير له، فضلاً عن ذلك فإن الأمير عبد الرحمن الثالث كان قد تربى في كنف جده ونال رعايته، وأظهر نجابة وهمّة جعلت الجميع يقرّ له بالولاية، متوسمين فيه كل ما يؤهله لإدارة دفة الحكم بنجاح في تلك المدة الحرجة في تاريخ الإمارة الأموية[٦].

أثبت الأمير عبد الرحمن الثالث أنه يتمتع بمزايا الحكام العظام فعلاً، وبدأ عهده بإصدار مرسوم عام ناشد فيه الثوار في كل مكان طرح الخلاف والعودة إلى الطاعة، واعدًا إياهم بالوعود الجميلة من سلطان وجاه ومال، إن استجابوا لدعوته، متوعدًا المخالف أشد أنواع التنكيل[٧].

---

[١] العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٣-١٠٤، انظر ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص١٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٥؛ ابن خلدون، العبر، ص١٦٤؛ أبو ضيف، القبائل، ص٢٧٨؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص١٠١-١٠٢.

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٩.

[٣] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٤٠، انظر عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٣٧٧؛ حمدي، التاريخ السياسي، ص١٠٢.

[٤] ابن الكردبوس، الأكتفاء، ص٥٨.

[٥] مجهول، اخبار مجموعة، ص١٣٥، انظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٩- ٣٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣.

[٦] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٧٦، انظر ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣.

[٧] ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦، انظر ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ج٢، ص٢٩؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٩٨.

أخذ الوضع السياسي في الأندلس يتغيّر، وأظلّ البلاد عهد من الاستقرار ازدهرت فيه الحياة في شتى نواحيها[١]، ولم يكد يمضي من عهد الأمير عبد الرحمن الثالث سنوات قليلة، حتى عادت الأندلس إلى سابق وحدتها في ظلّ أمراء بني أمية[٢].

كان أهم حدث في السنوات الأولى لعهد الأمير عبد الرحمن الثالث، إعلان نفسه أميرًا للمؤمنين سنة (٣١٦هـ/ ٩٢٩)م، فأمر أن يُدعى له في الخطبة بلقب الخلافة، وعمل على القضاء على دولة بني حجاج في إشبيلية كما سنرى لاحقًا، كما أمر بإثبات عبارة (الناصر لدين الله أمير المؤمنين)[٣] في أعلامه وطرازه ودنانيره، واستمرّ لقب الخلافة في ذرية الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله حتى زوال الدولة الأموية قرب نهاية الربع الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)[٤].

سياسة الأمير عبد الرحمن الناصر في إشبيلية:

أرسل والي إشبيلية أحمد بن مسلمة وفدًا إلى قرطبة، كان من بينهم إسحق بن محمد القرشيّ المروانيّ وابن القوطيّة (عمر بن عبد العزيز) وكاتبه موسى بن سليمان الخولانيّ؛ بهدف كسب ود طاعة الأمير عبد الرّحمن الناصر، على أن يعطيه حقّ الولاية على مدينة إشبيلية مقابل مبلغ من المال يدفعه كلّ سنة. ولكنّ الأمير عبد الرّحمن الناصر لم يستجب لمطلب ابن مسلمة، وعلى إثر ذلك غادر الوفد قرطبة عائدًا إلى إشبيلية[٥].

وعندما قرّر عبد الرّحمن الناصر إخضاع إشبيلية، أرسل جيشًا بقيادة أحمد بن محمد بن حدير[٦]، وأوصاه باستمالة أهل إشبيلية إلى الطاعة والرفق بهم، لكنّ القائد ابن حدير لم يستجب لأوامر الأمير عبد الرّحمن الناصر؛ إذ استخدم أسلوب العنف وحاربهم، فغضب الأمير الناصر لذلك، وطلب منه العودة بسرعة إلى قرطبة[٧].

الصراع على الحكم في مدينة إشبيلية:

---

[١] عبد البديع، لطفي، الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٧. وسيشار إليه في ما بعد: عبد البديع، الإسلام في إسبانيا.

[٢] ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ج٢، ص٣٠، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣.

[٣] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٩٨، انظر القلقشندي، أحمد بن علي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٢، وسيشار إليه في ما بعد: القلقشندي، مآثر الأنافة.

[٤] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٣٨- ٤٣٩.

[٥] حمدي، التاريخ السياسيّ، ص١٠٣.

[٦] ابن حدير، تولى منصب الوزارة وقيادة الجيش سنة ٣٠٠هـ–٩١٢م في عهد الأمير عبد الرحمن الناصر، وولي قبلها منصب الشرطة، وقد شارك في افتتاح مدينة إستجة سنة (٣٠٠هـ-٩١٢م)، ثم أرسله الناصر على رأس جيش لإخضاع إشبيلية في العام نفسه. انظر ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٣٣.

[٧] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٣، انظر حمدي، التاريخ السياسي، ص١٠٤.

انتهز محمد بن إبراهيم تلك الأحداث، وطلب من الأمير عبد الرحمن الناصر أن يعقد له على مدينة إشبيلية؛ حيث كان طامعًا فيها منذ وفاة أخيه عبد الرحمن، واستأذنه بمحاربة أحمد بن مسلمة، فاستجاب الأمير لطلبه وسلمه حكم مدينة إشبيلية، وأشرك معه في حكمها القاسم بن وليد الكلبيّ صاحب الشرطة؛ كونه على دراية تامّة بأحوالها منذ عهد أبيه إبراهيم بن حجاج، فاتجها معًا إلى إشبيلية، واستطاعا السيطرة على إقليم الشرف، وانضمّ إليهم الكثير من المحبّين للدولة الأمويّة، ومنهم يحيى بن الخطار وأهل لبلة وشذونة، واشتدّ عليه الحصار[١].

قبض ابن مسلمة نتيجة لهذا الحصار على القريشيين، وكان من بينهم إسحق بن محمد القرشيّ وأخوه أحمد بن محمد، وطلب ابن مسلمة المعونة من ابن حفصون، فأجابه بالقبول بشرط قتل القريشيين، وهذا دليل على صدق تحالفهما من جهة، ومن جهة أخرى ليطمئن إلى قطع الطريق على ابن مسلمة في عدم العودة إلى طاعة الأمير الناصر، فقتل القريشيين سوى إسحق القرشي.

اتجه ابن حفصون إلى حصن قبرة، وكان به محمد بن إبراهيم وقاسم الكلبيّ، واشتبك الخصمان في معركة طاحنة، كانت نتيجتها انهزام ابن حفصون وانتصار محمد والقاسم[٢].

أصابت ابن مسلمة خيبة أمل إثر هزيمة ابن حفصون، ممّا اضطرّه إلى التماس الطاعة من الأمير الناصر على أن يمنحه حكم إشبيلية مقابل مبلغ من المال، فبعث وفدًا آخر إلى قرطبة، وقابلوا الحاجب بدر بن أحمد الصقلي لكنهم عادوا من غير جدوى، وفي تلك الأثناء قام كاتب ابن مسلمة موسى الخولانيّ بتزوير كتاب على أنه من الأمير الناصر يتضمّن تولية ابن مسلمة على مدينة إشبيلية[٣].

ولعلّ سبب سكوت هذا الوفد ووزرائه على ذلك كان أنه قدّم إليهم المال الكثير مقابل عدم معارضتهم له.

دعا ابن مسلمة وجوه أهالي إشبيلية إلى مجلسه، وقرأ كاتبه الخولانيّ عليهم كتاب تولية الأمير عبد الرحمن الناصر ابن مسلمة على إشبيلية، فسرّ أهالي إشبيلية وهنأوا ابن مسلمة بالإمارة[٤].وعلى الرّغم من إقدام ابن مسلمة على هذا التصرّف الجريء بتزوير كتاب الولاية على إشبيلية، فقد ارتابه بعض الخوف، فأرسل ابن القوطية إلى قرطبة ليجتمع معَ الحاجب بدر

---

[١] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٧٠.
[٢] انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٠، AL -Balbas, Babal sudday los zudas de la Espana oriented Andalus, ١٩٥٢, p.١٦٥-١٧٥.
[٣] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٧٢.
[٤] حمدي، التاريخ السياسيّ، ص١٠٧.

الصقليّ، ليحصل على عقد تولية ابن مسلمة على إشبيلية، ويصرف شرّ محمد بن إبراهيم الطامع في حكم إشبيلية[١].

رفض ابن القوطية في بداية الأمر تلك المهمّة الصعبة التي لا فائدة منها، ثمّ عاد واشترط على ابن مسلمة وأخيه براء قائد جيوشه ألا يعصيانه في أيّ أمر، وطلب منهم أن يرسلا معه ثلاثين فارسًا من فرسان إشبيلية، فوصل ابن القوطيّة ومن معه من الرجال إلى قرطبة، والتقى ابن القوطيّة بالحاجب بدر، ودار بينهم نقاش أسفر عن التآمر على ابن مسلمة والقضاء على ثورته، وتسليم إشبيلية إلى الناصر، وتمّ الاتفاق بينهما على أن يدخل ابن القوطيّة والحاجب بدر إلى إشبيلية، وأن يكون بدر هو العامل الذي أرسله الأمير الناصر ليشترك معَ ابن مسلمة في الحكم، وعند اقترابهما من إشبيلية أرسلوا رسولهم البراء بن مسلمة للخروج لاستقبال عامل إشبيلية الجديد، وأقدموا على هذه الخطوة لكي يدخلوا أبواب إشبيلية ويغلقوها على البراء بن مسلمة، معلنين طاعتهم للأمير الناصر، لكنّ الحاجب خاف من ذلك لأنّ الأمير الناصر ليس على علم بهذا الاتفاق[٢].

ووُضع بدر ابن القوطية بقصر الناعورة[٣]، وأمرهم بعدم الخروج إلى قرطبة إلى حين عودته منها، وأعلم الأمير الناصر بما خطط له ابن القوطيّة، فرضي الأمير عن تصرّف ابن القوطيّة، واتبع الأمير الناصر سياسة الحيلة والخديعة بإرسال كتاب مزوّر بتولية ابن مسلمة على إشبيلية، باشتراك معَ الطامع محمد بن إبراهيم، وعليه توقيعه[٤].

ولعلّ الذي يظهر من ذلك أنّ الهدف كان السيطرة على إشبيلية وإخضاعها من غير اتباع سياسة الحرب.

وما إنْ رجع ابن القوطيّة إلى قصر الناعورة حتى ثار الفرسان الذين صحبوه في سفره إلى قرطبة، واتهموه بالتآمر على ابن مسلمة، وهددوه بأنهم سيقتلون أولاده، لكنّه هدّأ نفوسهم وطمأنهم بأنّ الأمير الناصر قد عقد لابن مسلمةعلى مدينة إشبيلية[٥].

اتجه الحاجب بدر بمن معه من الجيش الأمويّ إلى قلعة أيوب، وعندها أرسل ابن القوطيّة رسوله ابن الذبيانيّ على ابن مسلمة ليعلمه بنجاح مخططه معَ الأمير الناصر بتوليته على إشبيلية معَ شريكه محمد بن إبراهيم، وطلب منه أن يخرج لاستقبال عامل إشبيلية ومن غير سلاح، وما هذا إلا دليل على دخول ابن مسلمة في الطاعة التامة للأمير عبد الرحمن الناصر.

---

(١) ابن حيّان، المقتبس، تحقسق: ملشور أنطوانيا، ص٧٤.
(٢) حمدي، التاريخ السياسي، ص١٠٨.
(٣) قصر الناعورة: يقع على شاطئ الوادي الكبير، وهو مقر للأمير عبد الرحمن الناصر، ووضع فيها قناة للمياه العذبة التي تمتد من جبل قرطبة إلى القصر، انظر المرجع نفسه، ص١٠٩.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٥.
(٥) حمدي، التاريخ السياسي، ص١١٠.

استجاب ابن مسلمة وخرج من إشبيلية، وما إن ابتعد قليلاً حتى أُغلقت أبواب إشبيلية، وفي تلك الأثناء تقدّم بدر حتى شارف على أبواب المدينة، وأخذ يدعو الخارجين إلى الدخول في طاعة الأمير وعدم العصيان، لكنهم لم يستجيبوا له[١].

رحّب ابن مسلمة بالحاجب بدر، وسلّمه قصر الأمارة، وأخذ أهل إشبيلية بإعلان الطاعة للأمير عبد الرحمن الناصر؛ لأنّ الحاجب بدرًا أعلن أمامهم عن نشر العدل وردّ المظالم وإعطاء الأمان للخارجين عن الطاعة، وأمر بترك أبواب المدينة مفتوحة، وكان ذلك يوم الاثنين التاسع من جمادى الأولى سنة (٣٠١هـ-٩١٣م)[٢].

أمّا عن محمد بن إبراهيم فقد خلع الطاعة للأمير عبد الرحمن الناصر؛ لعدم رضاه عمّا حدث في إشبيلية، فتحصّن في مدينة قرمونة[٣]. ثمَّ إنّ الحاجب بدرًا عيّن - قبل مغادرته إشبيلية -سعيد بن المنذر القرشيّ عاملاً عليها، واقترح هذا العامل هدم سور مدينة إشبيلية، ورُفض اقتراحه كون مدينة إشبيلية ساحليّة ويجب تأمينها من جهة البحر، وأصرّ الأخيرعلى اقتراحه معللاً ذلك بقطع الطريق على الخارجيين عن طاعة الإمارة في قرطبة، ولذلك تمّ هدم السور للمرّة الثانية، ورجع الحاجب ومعَه ابن مسلمة وكاتبه موسى بن سليمان الخولانيّ وابن القوطيّة، وقد رحّب بهم الأمير الناصر، وعيّن ابن مسلمة على خطة الشرطة، وولى الخولانيّ على خزانة السلاح، كما ولى ابن القوطية قضاء مدينة إستجة[٤].

شنّ محمد بن إبراهيم الطامع في حكم إشبيلية هجومًا عليها، وكان ذلك في يوم الاثنين من شهر رجب سنة (٣٠١هـ-٩١٤م)، ولولا مقاومة واليها سعيد بن المنذر لتمكّن من السيطرة عليها، وعلى إثر ذلك أرسل الأمير الناصر جيشًا بقيادة عيسى بن أبي عبدة إلى إشبيلية إلى جانب واليها سعيد بن المنذر للدفاع عنها[٥].

وبعث قاسم الكلبيّ إلى محمد بن إبراهيم يقنعه بالدخول في طاعة الأمير الناصر، فاستجاب لمطلبه وطلب منه الحضور إلى قرطبة، وترك محمد بن إبراهيم حبيب بن عمروس بن سوادة خليفة عنه في قرمونة، وكان ذلك في شهر رمضان سنة (٣٠١هـ-٩١٤م) [٦].

وخرج الأمير الناصرعلى رأس الطائفة، ومعه محمد بن إبراهيم، وفي أثناء مسيرتهم إلى كورة لبلة وصلته أنباء ثورة ابن سوادة في قرمونة، واتبع الأمير سياسة اللين، فأرسل إليه

---

(١) حمدي، التاريخ السياسي، ص١١١.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٣-١٦٤.
(٣) حمدي، التاريخ السياسيّ، ص١١٢.
(٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٤، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٥.
(٥) حمدي، التاريخ السياسيّ، ص١١٠، انظر Provencal.levi, Historire deEspaye Masucmane, paris, ١٩٥٠-٧٩٥٤, p١٣; Auado, Bleye, Manuel de Histoia de Espue, Madrid, ١٩٤٧, p٤٢٥.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٥.

القاسم بن الوليد الكلبيّ كونه صديق ابن سوادة، ورافقه قاضي مدينة إشبيلية عبد الله بن محمد الغسانيّ؛ لإقناعه بالدخول في طاعة الأمير عبد الرحمن الناصر، لكنه لم يستجب إليهم، وأصرّ على العصيان، فاتجه الناصر صوبه، وكان ذلك في العام نفسه في الأول من ذي الحجة[١].

ومن المحتمل أنّ الأمير الناصر كان على علم باتصالات ابن سوادة ومحمد بن إبراهيم والقاسم بن وليد الكلبيّ، لذلك عزلهم عن مناصبهم وأرسلهم إلى قرطبة، وأمر بحبسهم في سجنها، وكان ذلك في شوال من عام (٣٠٢هـ-٩١٥م)[٢].

ودامت ثورة قرمونة حتى عام (٣٠٥هـ-٩١٧م)، فقام الأمير الناصر بتوجيه حملة بقيادة وزيره إسحق بن محمد، واستنجد بكور الأندلس من أجل تقديم إمدادات عسكريّة للقضاء على ثورة ابن سوادة، ولكنّ ابن سوادة استطاع مواجهة الجيش الأمويّ، فاضطرّ الأمير الناصر إلى إرسال حاجبه بدر على رأس جيوش الأندلس إلى قرمونة، فضربها بالمنجنيقيات ودخلها عنوة، وكان هذا في يوم الخميس من ربيع الثاني للعام (٣٠٥هـ-٩١٧م)، وتمّ سجن ابن سوادة في سجن قرطبة[٣].

تمكن الأمير عبد الرحمن الناصر من إخضاع مدينتي: قرمونة وإشبيلية لسلطة الحكم الأموي في قرطبة، وبهذا قضى على دولة بني حجاج التي بسطت نفوذها على هاتين المدينتين مدّة دامت عشرين سنة (٢٨٦-٣٠٥هـ-٨٩٩-٩١٧م)؛ وبذا عادت مدينة إشبيلية إلى سلطة الإمارة الأمويّة بعد سنوات طويلة من الشقاق.

---

[١] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٨٣.
[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٥.
[٣] حمدي، التاريخ السياسيّ، ص١١٨.

الفصـــــــــــل الثاني

الحيـــــــــــاة الاقتصـــــــــاديّة

موقع شبه الجزيرة الإيبريّة مُناخيًّا:

تقع شبه الجزيرة الإيبرية ضمن المنطقة المعتدلة، فهي تمتدّ بين خطي عرض ٣٥°-٤٥° شمالاً وتمتاز بحرارة معتدلة بوجه عام[١].

[١] الدسوقي، عبد الهادي، أطلس العالم، دار الكتاب المصري، مصر، ٢٠٠٤م، ص ٣٨٧، سيشار إليه في ما بعد: الدسوقي، أطلس، انظر حتاملة، محمد عبده، الاقتصاد الأندلسي (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠م، ص٤٣، سيشار إليه في ما بعد: حتاملة، الاقتصاد الأندلسي.

أشاد البلدانيون بمُناخ الأندلس بأوصاف عدة؛ فقد قال الرازي (ت٣٦٢هـ - ٩٧٣م): "بلد الأندلس... معتدل الهواء والجوّ والنسيم، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال..."[١] ويقول المقدسي: "الغالب على الأندلس البرد"[٢]، ويبدو أنه قصد المناطق الشماليّة والشماليّة الغربيّة (الثغور والجبال) التي يسودها مُناخ غرب أوروبا، في حين كانت إشارات الرازي محدّدة ضمن إطار المناطق الجنوبيّة والجنوبيّة الشرقيّة التي يسودها مُناخ البحر المتوسط والمحيط الأطلسيّ، وإلا فليس هناك وحدة في قضيّة المُناخ في أراضي الأندلس.

وقد أشار البلدانيون إلى تنوّع مُناخ الأندلس وتأثيره في طبيعة المنتج الزراعيّ وتنوّعه؛ إذ وصف البكريّ مُناخها قائلاً: إنها "شاميّة في طيبها وهوائها، ويمانيّة في اعتدالها واستوائها"[٣]، وأكدّ الزهريّ هذا الأمر بقوله: إنّها "حسنة الهواء..."[٤]، وهذا الاعتدال في مُناخ الأندلس راجع إلى وقوعها ضمن منطقة معتدلة لا إفراط فيها لبرد ولا حرّ، كما أنّ الاعتدال في مُناخها من حرارة ورياح وتناغم وتناسق فصولها الأربعة لا بدّ من أن يؤثر بوضوح في خلق أجواء ملائمة لتنوّع منتجها الزراعيّ[٥].

يسود الأندلس مُناخ البحر المتوسط ومُناخ غرب أوروبا، فشرق الأندلس وجنوبه يقعان في نطاق مُناخ البحر المتوسط، لذلك نجدها ذات مُناخ حارّ جافّ صيفًا، بارد ممطر شتاءً، بينما نجد المناطق الشماليّة والشماليّة الغربيّة: "الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء"؛ أي التي يسودها مُناخ غرب أوروبا، فيتأخر نمو الثمّر (النبات) فيها[٦].

بينما تخضع المناطق الداخليّة الواقعة في وسط شبة الجزيرة للمُناخ القاريّ[٧]. وهكـذا، فقد شهدت بلاد الأندلس تنوّعًا ملحوظًا بالمُناخ في المناطق المزروعة، أهّلها لزراعة كلّ أنواع المحاصيل تقريبًا.

بلغت دقة الجغرافيين في أنهم تحدّثوا عن الرياح والمطر؛ من مثل الرازيّ الذي يعدّ من أوائل الجغرافيين العرب الذين كتبوا عن مُناخ شبه الجزيرة الإيبريّة، وقسمها قسمين مُنـاخيين هما "الأندلس أندلسان في اختلاف رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارهـا: أنـدلس غربـيّ

---

(١) حميدة، عبد الرحمن، أعلام الجغرافين العرب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢٤٧، سيشار إليه في ما بعد: حميدة، أعلام الجغرافيين.

(٢) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٦٣ هـ-١٣٦١م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٠٠م، ص١٣١، سيشار إليه في ما بعد: المقدسي، أحسن التقاسيم، انظر عبد المنعم، حمدي، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، مؤسسة شباب الجامعة، ص٣٥٦-٣٥٧، سيشار إليه في ما بعد: حمدي، تاريخ المغرب.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٥، انظر البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، تحقيق أوريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، مج٢، ص٣٨٣. سيشارإليه، البكري، المسالك والممالك.

(٤) الزهري، أبو عبد الله بن أبي بكر (ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م)، الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٨م، ص٨٥، سيشار إليه في ما بعد: الزهري، الجغرافية؛ الحميري الروض المعطار، ص٣٣.

(٥) كندرو، مُناخ القارات، تحقيق طه النجم واخرون، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٧م، ص، سيشار إليه في ما بعد: كندرو، مُناخ القارات ١٠٦.

(٦) موسى، عز الدين أحمد، النشاط الاقتصاديّ في المغرب الإسلاميّ خلال القرن السادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلاديّ، الجامعة الأمريكيّة، ١٩٧٥م، ص٥٢، سيشار إليه في ما بعد: موسى، النشاط الاقتصاديّ، انظر أبو مصطفى، كمال السيد، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولة المرابطين والموحدين، مركز الإسكندريّة، (د . ت)، ص٨٨، سيشار إليه في ما بعد: أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصاديّ.

(٧) أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص٨٨.

وأندلس شرقيّ، فالغربيّ تجري أوديته إلى البحر المحيط (الأطلسيّ) وتمطر بالرياح الغربيّة، أمّا الشرقيّ فتجري أوديته إلى الشرق وأمطاره بالرياح الشرقيّة"[١]؛ أي عندما تستحكم الرياح الشرقيّة "يكثر مطر الأندلس الشرقيّ ويَحقَط الغربيّ"[٢]، وإذا استحكمت الرياح الغربيّة "كثر مطر الأندلس الغربيّ وقحط الأندلس الشرقيّ"[٣].

أمّا المقريّ، فيصف مُناخ الأندلس نقلاً عن ابن النظام[٤]، قائلاً: "إنما قُسِمَ الأوائل جزأين لاختلافهما في حال أمطارهما"، ويوضّح لنا أسباب كثرة الأمطار في جهة من الأندلس دون الأخرى، فمتى استحكمت الريح الشرقيّة مطر الأندلس الشرقيّ وقحط الغربيّ.

وبهذا يمكن أن نقسم الأندلس إلى إقليمين: رطب، وجافّ، وقد ساعد هذا على تنوّع المحاصيل الزراعيّة في شبه الجزيرة الإيبريّة[٥].

الأقاليم المُناخيّة:

تختلف الحرارة في شبه الجزيرة من مِنطقة إلى أخرى، ويمكن أن نقسمها عدّة أقاليم، تشمل:

١- **الأقاليم المرتفعة أو المحاطة بالجبال البعيدة عن المؤثرات البحريّة،** يكون مُناخها أقرب إلى القاري (وتعرف بقلة المطر والجفاف) منه لمُناخ البحر الأبيض المتوسط، مثل: هضبة الميزيتا؛ إذ إنها شديدة البرودة في الشتاء، ويكثر في هذا الفصل الصقيع ولفترات طويلة؛ إذ تنخفض درجات الحرارة خلالها إلى أكثر من ٥ ° تحت الصفر، وأما صيفها فجافّ والحرارة فيها شديدة[٦].

٢) **إقليم البحر المتوسط**:

يشمل الأراضي التي تطلّ على هذا البحر جنوب أوروبا بالإضافة إلى سواحل البرتغال جنوب غرب إسبانيا، ويمتاز هذا الإقليم بشتاء دافئ، وفيه تناقص درجات الحرارة من الجنوب نحو الشمال ومن الغرب صوب الشرق، وقد تهبط درجات الحرارة إلى ما دون الصفر بسبب الرياح الباردة الجافة التي تأتي من وسط القارّة، وتشتدّ الحرارة في هذا الإقليم في الصيف، وتزداد كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق ومن الشمال صوب الجنوب، وقليلاً ما يسقط المطر

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٢٨-١٢٩، انظر ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٢.
(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٢٩.
(٤) هو أبو بكر عبد الله بن عبد الحكيم بن نظام الأخباري من أهل قرطبة، كان أديبًا إخباريًّا، نقل عنه ابن حيّان، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٣١؛ الزغول، جهاد غالب مصطفى، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلاميّ حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧هـ - ٧١١ – ١٤٩٢م)، إربد، الأردن، ٢٠٠١م، ص٦٠، سيشار إليه في ما بعد: الزغول، الحرف.
(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٣١-١٣٢.
(٦) كندرو، مُناخ القارات، ص١٠٦.

في الصيف لارتفاع رطوبة الهواء، وهذا يقلل من الجفاف ممّا هو عليه في المناطق الداخليّة والشرقيّة من شبه الجزيرة الإيبريّة.

وتجلب الرياح الغربيّة التي تهبّ على أراضي الإقليم الأمطار في فصل الشتاء، أمّا الرياح الشماليّة الشرقيّة التي تهبّ عليها في الصيف فهي رياح جافة؛ لذا فالإقليم يتميّز بمُناخ معتدل، ومتغيّر في الشتاء، ومعَ ذلك تتناقص الأمطار على امتداد البحر الأبيض من الغرب نحو الشرق، وتتسبّب المرتفعات في ازدياد كميّة الأمطار الساقطة(١).

وتتمتع المنخفضات الساحليّة الجنوبيّة والجنوبيّة الشرقيّة بصيف حارّ وأمطار قليلة، ويعدّ سهل الأندلس (قرمونة، قرطبة، لبلة، سرقسطة، إشبيلية) من أكثر فصول الصيف حرارة في شبه الجزيرة بل في أوروبا بأكملها؛ إذ تصل درجة الحرارة في شهر آب في إشبيلية إلى ٣٨، وهذا يشبه درجات الحرارة في الصحراء الكبرى، وتتمتع هذه المِنطقة بوفرة أشعة الشمس طوال العام، وأمطاره في فصل الشتاء قليلة؛ لذا تكون فترات الجفاف طويلة فيتعرّض الزرع إلى محنة خطيرة(٢).

٣) **إقليم مُناخ غرب أوروبا**: يشمل الإقليم السواحل الغربيّة بشبه الجزيرة إسكندناوة وهولندا وبلجيكا وشمال ألمانيا وشمال إسبانيا، تزداد الحرارة باتجاه الشرق والجنوب وحرارة الشتاء على السواحل الغربيّة معتدلة، وتتناقص كلما اتجهنا إلى الشمال، وتتسبّب كتل الهواء البارد في حدوث صقيع وتجمّد مياه الأنهار، أمّا صيف هذا الإقليم فيكون مستقرًّا كما هو في الشتاء، وتسقط الأمطار بانتظام على مدار فصول السنة، لكنّ هناك زيادة في كميّة الأمطار في فصل الشتاء بسبب كثرة المنخفضات الجويّة، ولا نجد في هذا الإقليم شهرًا جافًّا بخلاف إقليم البحر الأبيض، الذي يتصف بالجفاف صيفًا(٣).

الموارد المائيّة:

تتنوّع مصادر المياه في إشبيلية، وتشمل مياه الأمطار والأنهار والينابيع(٤).

١)الأمطار:

يعتمد المطر على الظروف المُناخيّة للمِنطقة، ويعدّ سقوط الأمطار في الأندلس غير منتظم، فقد سعى الأندلسيون إلى الاستغلال الأمثل للمياه استعدادًا لفصل الجفاف، قال ابن

---

(١) كندرو، مُناخ القارات، ص١٠٧.

(٢) الصياد، محمد محمود، مدخل للجغرافية الإقليميّة، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٤١، وسيشار إليه في ما بعد: الصياد، مدخل للجغرافية، انظر كندرو، مُناخ القارات، ص١٠٩.

(٣) حسنين، جودة، جغرافية أوروبا الإقليمية، دار النهضة العربية، لبنان، ١٩٨١م، سيشار إليه في ما بعد: جودة، جغرافية أوروبا.

(٤) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، ص١٠٤، سيشار إليه في ما بعد: ابن حوقل، صورة الأرض.

عاصم: "إنّ الأندلسيين يدّخرون ماء المطر في الجباب"[١]. ويذكر ابن الفقيه "أنّ مـــاء الســـماء أفضل ماء، ثمّ ماء الأنهار، ثمّ ماء الحوض الكبير العميق، ثمّ ماء العيون وما كان مجراه علـــى الصخور"[٢]. وأشار إلى ذلك عريب بن سعد بقوله: "يدّخر ماء المطر في أجباب [في ديســـمبر/ كانون الأول] وفي الشهر الذي يلي فلا يتغيّر"[٣].

وتعدّ مصادر مياه الأمطار من أفضل مصادر المياه لأنها مياه مباركة، يقول ابن البصال "إنّ مياه الأمطار تجود بها جميع النباتات بما تحتاجه من الماء، وتقبلها الأرض لعذوبتها ورطوبتها واعتدالها"[٤].

ويعتمد إقليم الشرف بإشبيلية على مياه الأمطار[٥]. ولصعوبة الـــري، ولا ســـيّما فـــي المناطق الجبليّة، تبرز أهميّة مياه الأمطار في السقي؛ إذ كان الاعتماد الأكبر في تلك المنـــاطق على هذه المياه، لذلك انصرفت الهمم والجهود للإفادة من مياه الأمطار وللاحتفاظ بهـــا لموســـم الجفاف الطويل، فلجأوا إلى عمل الصهاريج لحفظ مياه الأمطار.

وتتوزّع مياه الأمطار على نحو غير متساوٍ على مناطق الأندلس، وتمتاز السواحل الغربيّة بغزارة أمطارها ممّا يساعد المزارعين على اتباع نمط الزراعة البعليّة، أمّا السواحل الجنوبيّة الشرقيّة فتتمتع بقلة الأمطار والجفاف؛ لذا اعتمد المزارعون فيها على الزراعة المرويّة نظرًا للمُناخ السائد فيها[٦].

٢) مياه الأنهار:

تتميز الأندلس بكثرة الأنهار "فيغلب عليها المياه الجارية... والأنهار العذبة"[٧]، وهذا ما جعلها عامرة مليئة بالأشجار والثمّار، ويؤكد الزهريّ ذلك بقوله: "ومن بَرَكتها أنـــه لا يمشـــي الإنسان فيها فرسخين دون ماء"[٨] ومن محاسنها أنه ليس منها "مدينة إلا على نهرٍ وبمقربة من نهر"[٩]، وهذا يفسّر خصوبة أرضها وكثرة ثمّارها.

---

(١) ابن عاصم، عبد الله بن الحسين بن إبراهيم الثقفي، (ت ٤٠٣هـــ -١٠١٧م)، الأنواء والأزمنه ومعرفة أعيان الكواكب، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٨٥م، ص١١٤، سيشار إليه في ما بعد: ابن عاصم، الأنواء، الجباب: جمع جُب أي البئر كثير الماء، بعيد القعر، انظر ابن منظور، لسان العرب، ص٣٣٤.

(٢) ابن الفقيه أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحق، (ت ٣٤٠هـــ-٩٥٤م)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة المثنى، بغداد، ١٩٨٨م، ص٢٠٦، سيشار إليه في ما بعد: ابن الفقيه، مختصر.

(٣) القرطبي، أبو الحسن عُريب بن سعيد الكاتب (ت٣٦٩هـــ ت ٩٧٩م)، تقويم قرطبة، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٦١م، ص١٨٥، سيشار إليه في ما بعد: القرطبيّ، تقويم قرطبة.

(٤) ابن البصال، عبد الله، محمد بن إبراهيم، (عاش في القرن ١١هـــ)، كتاب الفلاحة، ترجمة خوسي مارية مياس بيكروسا، تطوان، ١٩٥٥م، ص٣٩ سيشارإليه، ابن البصال، الفلاحة.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص٥٥٩.

(٦) الصياد، مدخل للجغرافية، ص١٤٤.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٤.

(٨) الزهري، الجغرافية، ص٨٠.

(٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٤.

تعدّ مياه الأنهار من مصادر المياه التي تعتمد عليها الحياة في الأندلس، وتكمن أهميتها في أنّ مناطق كثيرة من الأندلس تعاني من قلة الأمطار[١] ويذكر المقري أنّ بلاد الأندلس "بلد كريم البقعة، طيّب التربة، خصب الجنان، منبجس بالأنهار والعيون العِذاب"[٢]؛ حيث توجد الأنهار في الأندلس بكثرة، وتختلف في جريانها، فمنها ما يكون مصبّه في المحيط الأطلسيّ، ومنها ما يصبّ في البحر المتوسط[٣].

الأنهار التي تصبّ في المحيط الأطلسي:

١) نهر الوادي الكبير(Cundalquivir):

أشهر أنهار الأندلس وأعظمها[٤]، نشأت عليه أو على روافده أشهر المراكز الحضاريّة والعمرانيّة في الأندلس كقرطبة وإشبيلية[٥]، مثل غرناطة الواقعة على أحد روافده وهو نهر شنيل[٦]. وقد سمّت العرب نهر الودي الكبير بهذا الاسم تشريفًا لقرطبة دار ملك الأندلس وأكبر مدائن الأرض حَسَبَ قول الزهريّ[٧]. ووصفه الجغرافيون بأنه "من الأنهار المشهورة ببلاد الأندلس، ويعرف بنهر بيطي ومخرجه من ناحية ريمية"، ويعرف بمدينة راشد[٨]. وأكدّ ابن غالب انسيابه وهدوء جريانه قائلاً: "ساكن في جريه، ليّن في انصبابه"، ممّا يتيح المجال للمزارعين للإفادة منه بكثرة على عكس الأنهار شديدة الجريان، فهدوء جريانه يسمح للناس بالإفادة منه بوجوه شتى"[٩].

أمّا المقري، فقد وصفه بأنه ليس في الأرض أتمّ حسنًا من هذا النهر، يضاهي دجلة والفرات والنيل، تسير فيه القوارب للنزهة والصيد، تحت ظلال الثمّار وتغريد الأطيار[١٠]، وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى[١].

---

[١] هياجنة، محمود حسين شبيب، الوضع الزراعي في الأندلس، منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة جامعيّة نوقشت في الجامعة الأردنيّة، عمان، الأردن، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٤٩، سيشار إليه في ما بعد: هياجنة، الوضع الزراعي.

[٢] المقري، نفح الطيب، ص١٢٩ - ١٣٠ (نقلاً عن الرازي).

[٣] المصدر نفسه، ص١٣٠.

[٤] البكري المسالك والممالك، مج١، ص ١٨٠.

[٥] البكري، المسالك والممالك، مج١، ص٣٧٨، انظر الزهري، الجغرافية، ص ٥٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٦١، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩.

[٦] البكري، المسالك والممالك، مج١، ص ١٨٠، انظر الزهري، الجغرافية، ص ٥٨؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩؛ أبو الفداء، اسماعيل بن علي بن محمود، (ت ٧٣٢ هـ-١٣١٣م) تقويم البلدان، تحقيق: رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م، باريس، ص٤٧، سيشار إليه في ما بعد: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٤٧.

[٧] الزهري، الجغرافية، ص٩٨.

[٨] البكري، المسالك والممالك، مج١، ص١٨٠، انظر جغرافية الأندلس، ص٥٨؛ الزهري، الجغرافية، ص٨٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٨١، مج٢، ص٥٦١، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٩، مدينة راشد: مدينة بالأندلس تعرف ببني راشد، يأوي إليها عقبان كثير ولا تؤذي شيئًا من الحيوانات الأخرى كالدجاج، وهي تأتي على ما في سائر القرى المجاورة لها، وإذا حُصرت بالثلج مات أهلها جوعًا، انظر الحميري، الروض المعطار، ص٢٨.

[٩] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦.

[١٠] المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢٠٨.

وقد عرف نهر الوادي الكبير بعدة مسمّيات، منها: اسم توبير (توفر)[٢] ، ومن أسمائه نهر إشبيلية ونهر قرطبة[٣]، وسمّي أيضًا بالنهر البيطيّ [٤]، وعُرف بالنهر الأعظم؛ أي لا يوجد نهر آخر يوازيه من حيث الحجم، وممّا يُلحظ أنّ هذه التسمية تدلّ بوضوح على أهميته، سواء من الناحية الاقتصاديّة أو من الناحية التجاريّة؛ إذ كان يستخدم طريقًا للملاحة النهريّة يربط المدينة والمدن المجاورة لها بالمحيط الأطلسيّ[٥]، وممّا يبدو أيضًا أنّ تسميته بالنهر الأعظم لها في الأغلب علاقة بطوله[٦].

وتقع على هذا النهر مدن وقرى عديدة من أهمها إشبيلية وقرطبة[٧]، وذكر أبو الفداء هذا النهر بقوله: "وعليه من الضياع والقرى ما لا يبلغه وصف"[٨]، وعدّه العمري من "أحسن الأنهار وأجلها، محفوف بالبساتين والدور..."[٩].

وقد اهتمّ المسلمون بتنظيم الرّيّ من مياه هذا النهر، فبنوا السدود وشقوا القنوات وأقاموا عليه القناطر والجسور[١٠]. وهذا تأكيد واضح للنشاط الزراعيّ الكثيف الذي يمارسه الأندلسيون على ضفاف نهر الوادي الكبير لا سيّما في منطقة شريش[١١]، ويقع فيه عدّة روافد، منها: نهـــر بلون في مقاطعة جيان[١٢].

منح نهر الوادي الكبير إشبيلية مُناخًا معتدلاً ولطيفًا طيلة أيام السنة، وجعلها مركزًا لجذب السكان على مرّ تاريخها، فقد أورد المقريّ وصفًا لإشبيلية ونهرها العظيم قائلاً: "إشبيلية عروس بلاد الأندلس؛ لأنّ تاجها الشرف، وفي عنقها سمط النهر العظيم، وليس في أرض أتمّ من هذا النهر يضاهي دجلة والفرات والنيل، تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد، تحت ظلال الثمّار، وتغريد الأطيار أربعة وعشرون ميلاً، ويتعاطى الناس السرج من جانبيه عشرة

---

[١] يحتوي هذا النهر على ثروة سمكية؛ إذ توجد على سواحله مصائد سمك التونة والأسماك الصغيرة، انظر ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٩.

[٢] الزهري، الجغرافية، ص٩٨.

[٣] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٦١، انظر المقري، نقح الطيب، ج١، ص١٥٨، ابن الوردي، زين الدين ابن حفص عمر بن مظهر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ص٢٠، سيشار إليه في ما بعد: ابن الوردي، خريدة العجائب، انظر العمري، مسالك، ص٧٤.

[٤] مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلاميّة، مدريد، ١٩٦٧م، ص٦٥، سيشار إليه في ما بعد: مؤنس تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، انظر حميدة، أعلام الجغرافيين، ص٢٣٦.

[٥] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٦١، انظر الزهري، الجغرافية، ص٩٨.

[٦] سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٦٩.

[٧] البكري، المسالك والممالك، مج١، ص ١٨٠، انظرالزهري، الجغرافية، ص ٨٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص٦٥١، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٤٧.

[٨] أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٤٧.

[٩] العمري. شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله، (ت ٧٤٩هـ-١٣٦٧م)، مسالك الأبصار في ممالك الأنصار، تحقيق: أحمد زكي، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٢٤م، ج١، ص ٧٤. سيشار إليه فيما بعد : العمري ، مسالك الأبصار .

[١٠] عليه القنطرة التي بناها عبد الرحمن الغافقي، التي بلغ طولها ٨٠٠ باع. انظر شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري، (ت٢٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهرفي عجائب البر والبحر، ألمانيا، ١٩٢٣ م، ص١١٢، سيشارإليه: شيخ الربوة، نخبة الدهر.

[١١] حتاملة، محمد عبده، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٦م، ص٨٣، سيشار إليه في ما بعد: حتاملة، إيبيريا.

[١٢] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩.

فراسخ في عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وأبراج مشيدة، وفيه أنواع السمك ما لا يحصى، وبالجملة فهي حازت البر والبحر والزرع والضرع وكثرة الثمّار من كل جنس"[١]. ينبع نهر الوادي الكبير من جبل شقورة[٢] ويكون منبعه صغيرًا، ثمّ يغوص في الأرض تحت الجبل، ثمّ يتسع أكثر مما كان عليه، ثمّ ينحسر إلى مدينة بياسة حيث يتجه إلى أرض سهلة، ثم يسير إلى قرطبة ويكون جريانه من الشرق إلى الغرب، ثمّ ينعطف بعد قرطبة بالقرب من إشبيلية حتى مصبّه في المحيط الأطلسيّ[٣].

٢) نهروادي يانة (The Guadiana): سمّي بنهر ماردة[٤]، ويقع جنوب نهر تاجة منبعه من جبال شلير[٥]، ثمّ يجري إلى حصن رندة ومنه إلى ماردة ليصبّ في خليج قادس في المحيط الأطلسي قرب مدينة شلطيش[٦].

٣) نهر التاجة (Taja): يعرف بأسماء عديدة، ومنها باجة[٧]، يمر في مدينة طليطلة، وينبع من جبال سيراديا كونيكسا، ويصبّ في المحيط الأطلسي إلى الجنوب من مدينة لشبونة.

٤) نهر دويرة (Rio Duero): ينبع من جبال أوربيون، ويصبّ في المحيط الأطلسي بين مدينتي قلمريّة والبرتغال[٨].

٥) نهرمينو (Mino): ينبع من جبال ألفة، يقطع جيليقة من الشرق إلى الغرب، ويصبّ في المحيط الأطلسيّ[٩].

٦) وادي لكة: يقع شرق مدينة قادس، ينبع من جبال تاكرونة بالقرب من الجزيرة الخضراء، ويصبّ في المحيط الأطلسيّ[١٠].

القسم الثاني: الأنهار التي تصب في البحر المتوسط وهي لا تمرّ بمدينة إشبيلية:

١) نهر إبرو (Rio Ebro): ينبع من جبال البرتات، ويتجه نحو مدينة تطلية فمدينة سرقسطة التي يقع عليها، ثمّ يصب في البحر المتوسط[١١].

---

[١] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٠٨.
[٢] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٦٠، شقورة: مدينة أندلسية وهي شمالي مرسية، وشرقي جيان، وتقع على قمة جبل عرف باسمها، ومن سفوحه الشرقية ينبع نهر شقورة، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٥٧.
[٣] الزهري، جغرافية، ص٩٨، انظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٦١، بياسة: مدينة كبيرة بالأندلس، معدودة من كور جيان تقع بالقرب من منابع نهر الوادي الكبير إلى الشرق من قرطبة، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٢٧٣.
[٤] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٤٢
[٥] الزهري، جغرافية، ص٩٧.
[٦] المصدرنفسه، ص٢٣٧
[٧] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٤١.
[٨] حميدة، أعلام الجغرافيين، ص٢٣٧.
[٩] حميدة، أعلام الجغرافيين، ص٢٣٨.
[١٠] الزهري، جغرافية، ص٨٩، انظر المقري، نفح الطيب، ص٢٤٢.
[١١] الزهري جغرافية الأرض، ص٨٢.

٢) نهر شقورة: ينبع من وسط إسبانيا، ويصبّ في البحرالأبيض المتوسط، ويمرّ بمدينة مرسية[١].

العيـــــــون:

تظهر أهميّة العيون في دراسة الموارد المائية؛ وذلك لأنّ روافد الأنهار التي تعتمد كليًّا على الأمطار قد تصبح عرضة لتقلب الأمطار، بينما الأنهار التي تستمدّ استمراريتها من العيون التي بقربها، تصبح أكثر فائدة في مواسم الجفاف وشحّ الأمطار؛ إذ يستفاد منها في تغذيتها للأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار، أو باستخدامها بديلاً عنها في الزراعة والشرب، سواء في مناطق تساقط الأمطار أو المناطق الواقعة بالقرب من الأنهار[٢]. اشتهرت الأندلس بكثرة العيون والآبار، وتميزت مياها بأنها عذبة ونقية استخدمها الأندلسيون في شتى مجالات الحياة، سواء في مياه الشرب والري[٣]. ومن أبرز العيون في إشبيلية عين الزاج وعين الشيب، وهي في آخر شرق إشبيلية، وتتميز بغزارة مياهها واستخدمت مياه الشرب والزراعة[٤].

النشاط الزراعيّ:

عرفت الزراعة كحرفة منذ الآف السنين، وتعدّ الزراعة من الركائز الأساسيّة التي اعتمد عليها الاقتصاد في الأندلس، وكانت الأندلس تتمتع بالإمكانات اللازمة للزراعة؛ وذلك لوفرة مياهها وخصوبة تربتها وتنوّع مُناخها، فأدى ذلك إلى تنوّع في المحاصيل الزراعية التي تنتجها أراضي الأندلس[٥]. وقد أسهمت مجموعة من العوامل في تنشيط عجلة الزراعة، ومنها:

١) تشجيع أمراء بني أمية على الزراعة؛ إذ أرسل عبد الرحمن الداخل مندوبين إلى المشرق لجلب البذور التي لم تزرع في الأندلس[٦].

٢) العامل الطبيعي الذي تتمتع به أرض الأندلس، من خصوبة تربتها، ووفرة مياهها واعتدال مُناخها.

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٥.

(٢) موسى، النشاط الاقتصادي، ص ص ٥٨-٥٩.

(٣) هياجنة، الوضع الزراعي، ص٦٢.

(٤) مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص٣٨٤-٣٨٥.

(٥) البكر، خالد بن عبد الكريم بن حمود، النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص١٠٢، سيشار إليه في ما بعد: البكر، النشاط الاقتصادي.

(٦) أبو الفضل، محمد أحمد، التأثيرات الشامية على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م)، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد٣٦، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص٢٢٤، سيشار إليه في ما بعد: أبو الفضل، التأثيرات الشامية.

٣) وجود الأدوات الزراعية وتوافر الأيدي العاملة (الفلاح)[١].

أمّا العوامل السلبيّة التي عملت على تعطيل النشاط الزراعيّ في الأندلس، فكانت متمثلة في ثلاثة عوامل طبيعيّة وعامل بشريّ، أمّا العوامل الطبيعيّة فتمثلت في الجفاف والسيول والجراد.

العامل البشريّ:

يتمثل أثر هذا العامل في الصراع والحروب بين فئات السكان العرب أنفسهم وبين العرب والبربر، وقد دمرت جرّاء الصراعات والحروب التي دارت بين السكان المناطق الصالحة للزراعة وخاصةً الواقعة جنوب الأندلس، ومنها قرطبة وغرناطة وجيان والمرية[٢] وإشبيلية[٣].

لقد أثرّ الصراع السياسيّ والعسكريّ في الناحية الاقتصاديّة؛ إذ ترك الناس الزراعة، وهجروا الأرض وقتلوا الخيول[٤]، وقد استغل المتحاربون الحرب الاقتصادية سلاحًا قويًّا في ترجيح القوة العسكريّة لطرف ضدّ الآخر[٥].

الجفاف:

واجهت الأندلس خلال الفترة الممتدة ما بين سنة (١٣١-١٣٦هـ/٧٤٨-٧٥٣م) حالات من الجفاف، والقحط الشديد نتيجة الجراد وقلة سقوط الأمطار والأمراض، ومنها الطاعون الذي نجم عنه مجاعات قضت على كثير من الناس، وكانت الكوارث الطبيعية التي عصفت بالأندلس بين الحين والآخر ذات أثر سلبيّ في الزراعة، فقد واجهت الأندلس حالات من القحط والجراد بسبب عدم نزول المطر، ممّا أدّى إلى موت خلق كثير، ولم تنج أي منطقة من هذه الكارثة[٦].

وعرفت كذلك سنة (١٩٩هـ/٨١٤م) "بسنة ستين"؛ لأنها من أشد سنوات القحط والجفاف الذي عمّ الأندلس؛ إذ أدت إلى وفاة خلق كثير[٧] وحصلت مجاعة شديدة[٨]، وكان

---

(١) ابن البصال، الفلاحة، ص٧٤.
(٢) المرية: مدينة كبيرة من مدن البيرة، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، ويعمل بها الوشي والديباج، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص ٤٨١-٤٨٥.
(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٢٣.
(٤) المرجع نفسه، ص٢٠٢-٢٠٣.
(٥) البكر، النشاط الاقتصادي، ص١١١.(للمزيد، انظر الفصل الأول).
(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٢، انظر مؤنس فجر الأندلس، ص٢٣٢-٢٣٣.
(٧) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص٣٤٣، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٢.
(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٣. ومن المُلاحظ أنّ الجفاف وصل في سنة ١٩٩هـ إلى أعلى مستوى له، وقد سميت بسنة سنين، ومن المحتمل أنّ المصدر قد أخطأ في الكتابة ويقصد سنة تسعين.

القحط الذي شمل الأندلس بأكملها (٢٣٢هـ /٨٤٦م) قد أدّى إلى هلاك المواشي وأشجار الكروم[١].

السيول:

كان للسيول كبير الأثر في تدمير عدد من القناطر، وتراجع النشاطين: الزراعيّ والحيوانيّ، فقد تعرّضت الأندلس لسيول كبيرة في سنوات عديدة، منها (١٨٥هـ/٩٧٨م)، وأشدّ هذه السيول وأكبرها خطرًا هو الذي وقع سنة (٢٣٥هـ/٨٤٩م)؛ إذ تحطمت فيه قنطرة مدينة إستجة، وامتدت لتشمل مدينة إشبيلية، واغرقت ستة عشرة قرية بالقرب من إشبيلية، وقضى هذا السيل على عدد كبير من الخلق والمواشي[٢].

الأوبئة والآفات الزراعيّة:

لم تسلم المحاصيل في الأندلس من خطر الآفات الضارة والحشرات المدمرة، لا سيّما الجراد الذي أدى إلى الخسائر والأضرار الفادحة بالثروة الزراعيّة، ولكونه من الآفات الكبرى التي تفتك بالزرع والأرض والماشية، وكان الجراد مرافقًا لسنوات القحط والمجاعة التي عمّت الأندلس ومنها إشبيلية، بل كان مسببًا لها، وانتشر الجراد في عهد عبد الرحمن بن الحكم؛ إذ حدثت في سنة (٢٠٧هـ/٨٢١م) مجاعة بسبب هذه الكارثة، وفي سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) ظهر

الجراد في الأندلس وحدثت مجاعة أهلكت المواشي والزروع، ممّا زاد في سوء أحوال الناس المعيشيّة[٣].

لذلك أولت الإدارة الأندلسيّة اهتمامًا كبيرًا بمكافحته؛ إذ ساعدت الزرّاع في القضاء عليه، فكان أمويو قرطبة يأمرون بعقره وهو صغير، وهذا ما أشار إليه عريب بن سعد قائلاً: "ويظهر دبيب الجراد فيؤمر بعقره"، وتم ذلك في شهر آذار[٤].

النباتات والأشجار المثمّرة:

(١) انظر ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص٩٣

(٢) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص١٤٦، انظر البكر، النشاط الاقتصادي، ص١١٤.

(٣) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص٢٢٥، انظر البكر، النشاط الاقتصادي، ص١.

(٤) القرطبيّ، تقويم قرطبة، ص ٦٣.

نالت الزراعة عند الأندلسيين اهتمامًا كبيرًا، فظهر اعتناؤهم بزراعة أنواع كثيرة من الأشجار والنباتات المثمّرة خاصّة، مثل الزيتون والتين والعنب واللوز والجوز والصنوبر والخوخ والتفاح[١].

١) زراعة الزيتون:

كانت شجرة الزيتون موجودة قبل دخول الفاتحين العرب إلى الأندلس، ويعود وجودها إلى العهد الرومانيّ، وانتشرت زراعة أشجار الزيتون بكثرة على مساحات واسعة، وكانت تغطي مناطق عديدة من الأندلس[٢]، منها إشبيلية، ومنطقة الشرف خاصّة، الذي يصفها المؤرخون بأنها "شريفة البقعة، كريمة التربة، دائمة الخضرة"، وتغطي أشجار الزيتون مساحة كبيرة منها، حتى إن المار يقطع مسافة ٤٠ ميلاً طولاً واثني عشر ميلاً عرضًا وشجر الزيتون يظلله[٣]، ويصفه المقري بأنه "لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف أشجار زيتونته"[٤]، ويتميز زيته بخضرته وندرته ويبقى طعمه لا يتغير حتى لو بقي مدّة طويلة[٥]، ولا تخلو منطقة في الأندلس من زراعة الزيتون؛ إذ تنتشر زراعته في قرطبة ولبلة وغرناطة وسرقسطة وغيرها من المناطق.

يعدّ الزيتون من المحاصيل الزراعية المهمة؛ وذلك لملاءمة المُناخ والتربة الأندلسيّة لزراعته[٦]. وهذا يفسر كثرة زراعته في الأندلس؛ إذ ذكر الجغرافيون أن مساحات كبيرة من أراضي الأندلس مغطاة بأشجار الزيتون[٧]، يقول الزهريّ: إن من بركتها "لا يمشي الإنسان فيها....ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها.... الزيت في الحوانيت على طول سفره"[٨].

وكذلك تنتشر زراعة أشجار الزيتون في قرى منتشرة على جبل الشرف؛ إذ "لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه"[٩].

---

(١) ابن الحجاج، أبو عمر أحمد بن حجاج، (عاش في القرن الخامس-١١م)، المقنع في الفلاحة، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص٣٠-٤٥، سيشار إليه، ابن الحجاج، المقنع في الفلاحة.

(٢) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسيني، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، بريل، ليدن، ١٩٩٨م، ص١٧٨، سيشار إليه في ما بعد: الإدريسي، المغرب وأرض السودان، انظر ابن الكردبوس، الأكتفاء، ص١٣٩.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٤١، ٤٠ ميل تساوي ٣٧٢ و٦٤ كيلو مترًا.انظر فالترهنتس، المكاييل، ص٩٤.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٥٨.

(٥) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٢.

(٦) ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن على بن قيس (ت٢٩١هـ - ٩٠٤م)، الفلاحة النبطية، تح: توفيق فهد، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٣،ج١، ص ٢٧، انظر ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص ١٠٠.

(٧) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٩.

(٨) الجعرافية، ص ٨٠.

(٩) يمشي المسافر تحت ظلال أشجار الزيتون؛ إذ يبدأ أوله من إشبيلية وآخره بمدينة لبلة... وشجر الزيتون مغروسة من الجبل من هذا المكان إلى قنطرة لبلة وإشبيلية على النهر الكبير (نهر قرطبة) والجبل مسافة ٤٠ ميلاً "كل أشجار زيتون مغروسة". انظر البكري، جغرافية الأندلس، ص ١١٤، الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص ٥٤١، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٣، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٣، ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ١٤.

وقد وصف ابن غالب زيتونه قائلاً: "دائم عند اخضراره نادر عند اعتصاره لا يتغير به حال ولا يعتريه اختلال"[١]، وقد أخذ في الأرض طولاً وعرضًا فراسخ في فراسخ[٢].

وتميز أهل إشبيلية بأنهم عرفوا طريقة لحفظ الزيتون وخزنه ومنعه من التلف، وتكون بدفن الزيتون في الأرض، وقد وُصِفَ هذا الزيتون بأنه "يبقى مدة لا يتغير له حال ولا يعدوه اختلال"[٣]. وهذا ما أكده الحميري بقوله: "وكل ما استودع أرض إشبيلية نمى وزكى وجل"[٤]، ويدلّ على قول الحميريّ على أن الزيتون يحفظ تحت الأرض بِحَبّه، أمّا عن زيته فيوضع في أوانٍ ويخزّن تحت الأرض، ويضيف الزهري قائلاً: "يصير تحت الأرض عشرين سنة وثلاثين وأكثر فلا يزداد إلا حسنًا، ويخرج زيته ولا يعدو ذلك عليه. فهذا ما يميز زيتها عن بقية الزيتون، وذلك أنّ كلّ زيتون في الأرض لا يبقى أكثر من سنة واحدة إلا وعفن ولا يخرج منه زيت"[٥].

٢) زراعة التين:

تُعد شجرة التين واحدة من الأشجار المباركة، وهي من أقدم الأشجار التي عرفها الإنسان، وهذه الشجرة إحدى أطول الأشجار المثمّرة عمرًا، انتقلت مع الفاتحين إلى الأندلس[٦]، وانتشرت في مناطق مختلفة، منها: مالقة وطليطلة وجيان وإشبيلية، التي اشتهرت بزراعته؛ حيث وصف تينها ابن سعيد بقوله: "والتين القوطي: لا يزرع إلا مرة واحدة في السنة، والتين

الأبيض ويغلب عليه الأخضر (الفستقي) وحبته صغيرة، والتين الشعيري: موطنه في إقليم الشعير وهي إحدى ضواحي إشبيلية، وترجع تسميته نسبة إلى موطنه الأصلي إقليم الشعير، وهذان صنفان لم ترعيني ولم أذق مثلهما منذ خرجت من الأندلس ما يفضلهما"[٧]، وتينها ضُرِبَت به الأمثال، وقيل فيه مختلف الأشعار؛ إذ جاء في الروض أن الطلبة خرجوا للقاء بأبي محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري لمّا ولي القضاء بمالقة، فأنشدهم:

---

[١] فرحة الأنفس، ص ٢٣.

[٢] ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد، (ت ٧٧٩هـ-١٣٧٧م)، كتاب الرحلة المعروف تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت ١٩٦٤م، ص٢١٩، سيشار إليه ابن بطوطة، تحفة النظار.

[٣] الباكوري عبد الرشيد بن نوري، تلخيص الآثاروعجائب الملك القهار، دار العلم، موسكو، ١٩٧١م، ص ١١٦، سيشار إليه في ما بعد: الباكوري، تلخيص الآثار.

[٤] الروض المعطار، ص ٢١.

[٥] الجغرافية، ص ٨٩.

[٦] بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة الإسلامية، ترجمة، علي عبد الرؤوف البمبى وآخرون، مراجعة صلاح فضل، مجلد٢، ج١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٤٢-٢٤٣، سيشار إليه في ما بعد: بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية.

[٧] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٠٠، انظر.حسين، الشيخ، "النبات في وصف الرحالة العرب"، مجلة الزراعة العراقية، ع ٤، ص٩٤، سيشار إليه في ما بعد: الشيخ، النبات.

وحمِص[١] لا تنسَ لها تينها   واذكرْ معَ التينِ زياتينها[٢]

وكذلك تتميّز بوجود التين اليابس فيها[٣].

٣) شجرة العنب:

انتشرت أشجار العنب كسائر الأشجار المثمّرة في الأندلس، وأشتهرت مدينتا: غرناطة ومالقة، وغيرها من المدن بزراعته، وكانت إشبيلية من بين هذه المدن، وتمتد كروم العنب على ضفتي نهر الوادي الكبير[٤]، وكان يصنع من هذه الشجرة الخمر الذي يباع في أسواق الأندلس، وكان يشربه الأمراء الأمويون في مجالس الطرب والغناء والشعر[٥].

٤) قصب السكر:

تركزت زراعة قصب السكر في المناطق الساحلية، مثل إلبيرة والمنكب وإشبيلية؛ حيث الحرارة العالية والمياه الغزيرة والأرض الرطبة[٦].

اهتم الأندلسيون بزراعة قصب السكر، وحدّدوا مواقيت زراعته وحصـــاده ورعايتـــه، ومثل هذه المعلومات لا توفرها كتب البلدانيين[٧].

٥) القطن:

تعدّ مدينة إشبيلية من أشهر مدن الأندلس في زراعة القطن، ويعود ذلك إلى وجود التربة الرطبة والمياه الغزيرة[٨]، وتكلم العذري عن زراعة القطن في إشبيلية قائلاً: "ومن فضائل تربة إشبيلية التي انفردت بها، وخاصيتها التي لا تشارك فيها ما ينبته أرضها من القطن الذي يحسن

ويزكو في بقعتها"[٩]، ويؤيده بذلك ابن غالب قائلاً: "من فضائلها [إشبيلية] التي انفردت بها ما تنبت أرضها من عجيب قطنها الذي يحسن فيها ويزكو بها..." [١٠]، وهذا ما أشار إليه ياقوت الحمويّ في معجمه بأن إشبيلية "ممّا فاقت به على غيرها من نواحي الأندلس زراعة

---

[١] هي إشبيلية لنزول أهل حمص من المشرق بها، وسموا بلاد الأندلس بأسماء بلاد الشام لمحبتهم لها.
[٢] ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٢١٩.
[٣] الزهري، الجعرافية، ص ٢٨٢.
[٤] كولان، ج.س، الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد عبد الحميد يونس وحسن عثمّان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م. ص١٠٠، سيشار إليه في ما بعد: كولان، الأندلس.
[٥] الزغول، الحرف، ص١٨٢.
[٦] مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٧١م، ص١١٤، سيشار إليه في ما بعد: مجهول، تاريخ الأندلس، انظر العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٩، ابن غالب، فرحة الأنفس،٢٩٣؛.
[٧] يتم حصاد قصب السكر في شهر أيلول/ سبتمبر، انظر القرطبيّ، تقويم قرطبة، ص ١٤٥.
[٨] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣، انظر بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص٢٤٣.
[٩] نصوص عن الأندلس ، ص ٩٦.
[١٠] فرحة الأنفس، ص ٢٣-٢٤.

القطن"[١]، وأشار الحميري أيضًا إلى أن القطن "يجود بإشبيلية فيعم بلاد الأندلس..." [٢]، وتتميّز إلبيرة ورندة بأنها من مدن الأندلس المنتجة للقطن[٣].

٦) محاصيل أخرى:

اشتهرت إشبيلية بزراعة بعض المحاصيل الأخرى ذات الأهمية الكبيرة في مجالات التجارة والصناعة، مثل العصفر الذي يزرع في لبلة وإشبيلية[٤]، وهناك نوعان منه[٥] ذكرهما ابن البصال: عصفر مشوك وغير مشوك، والنوع الثاني أفضل من الأول في الصبغ، ويزرع في المناطق المعتدلة ذات الهواء الرطب[٦]، ووصف الحميري عصفرها قائلا: "وكذلك العصفر بها يفضل عصفر الآفاق"[٧].

وتنتشر زراعة القرمز في الأندلس، وهو نوع من أنواع البلوط سواء، ويسمّى باللطينية الإمارة، ويثمّر بلوطًا مرًّا لا يحلو أبدًا، وهو على الورق يسقط مرًّا أحمر كأنه العدس محبّب صادق الحمرة يكون ذلك في شهر مايس/ مايه، ويستخدم في صبغ بعض أنواع الأقمشة لا سيّما ما كان من حيوان، مثل الصوف والحرير، ولا يأخذ في الكتان ولا في القطن[٨]، ويصف البكري ذلك قائلا: "وأطيب القرمز قرمز الأندلس[٩]، وأكثر ما يكون بنواحي إشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية[١٠]..." . إلا أنّ مدينة إشبيلية اشتهرت به من بين المدن الأندلسيّة[١١].

واشتهرت إشبيلية بزراعة الخضروات وخصوصًا البصل؛ إذ يوجد فيها إقليم يسمّى "إقليم البصل"[١٢]، وربما ذلك لكثرة زراعة هذا المحصول به[١٣].

واستنادًا على تفسير القزوينيّ وابن غالب، فإنّ زراعة النخيل منتشرة في مدينة إشبيلية، وذلك لأنها مبنيّة على سبخة (تربة مالحة)[١٤].

---

[١] معجم البلدان، مج ١، ج١، ص ١٥٩.
[٢] الحميري، الروض المعطار، ص٥٩.
[٣] رندة: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنا، وهي مدينة قديمة على نهر جارٍ وبها زرع واسع، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٢٢.
[٤] العذري. نصوص عن الأندلس، ص٩٦.
[٥] العصفر نبات يستخرج منه أصباغ للثياب، منه البريّ والريفيّ، وكلاهما ينبت في أرض العرب. انظر ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد المالقي، (ت٦٤٦هـ - ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠م، ج٣، ص ١٢٥، سيشار إليه في ما بعد: ابن البيطار، الجامع.
[٦] ابن البصال، الفلاحة، ص١١٦.
[٧] العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٩٦، انظر الروض المعطار، ص ٢١.
[٨] ابن البيطار، مج٢، ج٤، ص١٤، سيشار إليه في ما بعد: ابن البيطار، الجامع.
[٩] المسالك والممالك، مج٢، ص ٣٨٥، انظر جغرافية الأندلس، ص ١٢٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩-٤٠.
[١٠] بلنسية: من كور الأندلس الشرقية، تقع محاذاة ساحل البحر المتوسط وتبعد المدينة عن الساحل مسافة ٤كم، وتقع بلنسيه في سهل فسيح وعرفت بمدينة التراب لحسنها وجمالها، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٢٦٣-٢٦٤.
[١١] العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٦، انظر البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٦-١٢٧.
[١٢] من أعمال إشبيلية في الأندلس. انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٢٥٤.
[١٣] المرجع نفسه، ج١، ص ٣٤٩.
[١٤] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٨.

الثروة الحيوانيّة:

اتسمت المناطق الرعوية في الأندلس بالخصب بالرغم من صعوبة أرض الأندلس وطبيعتها الجبلية، وكان لإقبال أهل الأندلس على الزراعة الأثر الإيجابيّ في تربية الماشية وتنمية الثروة الحيوانيّة، وتكمن أهمية هذه المواشي في العائد الاقتصاديّ الكبير؛ حيث تستثمّر في صناعة الصوف والجلود، فضلا عن الإفادة من لحومها وأجبانها في الغذاء[١].

واشتهرت غرناطة وإشبيلية بمراعيهما[٢]، وأمّا المواشي، فمنها الأغنام والأبقار الموجودة في جبل الشارات، وقرطبة وجيان وشذونة وإشبيلية[٣].

ويشير إلى ذلك العذريّ؛ إذ يقول إن مدينة إشبيلية بها "المراين، وهي مواضع ندية ومروجها لا تتهشم صيفًا، وتتمادى غضارتها، وبذلك يصلح نتاج رَمَكها[٤]، وتدر الألبان على طيب مسارحها"[٥].

أما الحيوانات، فكانت إشبيلية من أكثر مناطق الأندلس في تربيتها وتوليدها[٦]؛ إذ اشتهرت بتربية الخيل، وتوجد فيها أعداد كبيرة منها، وكانت تصدر منها إلى جزيرة قبطل[٧].

نبع الاهتمام بالخيل في بلاد الأندلس لأهميتها الكبيرة؛ وذلك لاستخدامها في المعارك والانتقال وحمل الأثقال، إلى جانب استخدام (زبلها) كسماد للأرض. وقد عرفت بلاد الأندلس الخيول؛ حيث ربّاها أهالي الأندلس في مدنهم المتعددة[٨].

وعرفت مدينة إشبيلية بتربية النحل؛ إذ ساعدها ما تمتاز به هذه المدينة من طيب الهواء وعذوبة الماء وصحة التربة التي أدت بدورها إلى نموّ الزرع وكثرة الأشجار وكثرة الثمّرات، ومن ثمّ استخراج الكثير من العسل الجيد[٩]؛ "إذ يبقى عسلها لا يرمّل وبحالته الأولى لا يتبدل"[١٠].

الثروة المائيّة:

---

(١) هياجنة، الوضع الزراعيّ، ص١٨٦.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٦.
(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٥٢.
(٤) يقولون لإناث الخيل الرمك بفتح الميم والواحدة رمكة. انظر اللخمي، ابن هشام (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م)، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، دراسة وتحقيق: خوسيه بيريث لاثارو، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٠م، ص ٢٧٧. سيشار إليه في ما بعد: ابن هشام، المدخل.
(٥) البكري، جغرافية الأندلس، ص١١٤، انظر هياجنة، الوضع الزراعي، ص١٩٠.
(٦) نصوص عن الأندلس، ص٩٦، انظر ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٤.
(٧) جزيرة قبطل: جزيرة كبيرة مشهورة في نهر إشبيلية، والماء عندهم غير عذب لقرب البحر المحيط منها، وخيلها تجلب إليها من إشبيلية، وهي خصبة. انظر ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢٩٢.
(٨) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢.
(٩) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢، انظر الباكوري، تلخيص الآثار، ص١١٦.
(١٠) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص٢٣.

امتلكت بلاد الأندلس ثروة حيوانية مائية كبيرة؛ ويعود ذلك إلى امتداد السواحل الأندلسيّة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسيّ، إلى جانب كثرة أنهارها، فمياه الأندلس، مثل أرضها تحوي الخيرات الكثيرة والثروات الهائلة، فقد عرفت سواحلها بمنافع جمّة، لذلك وصفت بأنها "عدنية في منافع سواحلها". ومن الثروات المائيّة التي تنعم بها الأندلس، الأسماك، سواء أأسماكًا بحريّة كانت أم نهريّة أم أسماكَ بحيرات.

ولذا اشتغل بعض السكان بحرفة صيد الأسماك خاصة عند السواحل وضفاف الأنهار؛ حيث مصائد الأسماك، كمدينة بطليوس[١] ومدينة إشبيلية، التي وصفها العذريّ قائلاً: "وفضل صيدهم في البرّ والبحر"[٢]، وعلى غرارها مدينة المنكب، فهي "مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصايد الأسماك"[٣].

الثروات الطبيعيّة:

عرفت الأندلس بوجود معادنَ متنوعّة في أراضيها، وهذا يدل على وجود خيرات كثيرة في تلك البلاد، فهناك معادن، مثل: الذهب والفضّة والرّصاص والقصدير والحديد، كما تتميّز هذه الأرض بوجود الطبقات المعدنية الكثيرة ولا سيّما المناطق الغربيّة من الأندلس، كما ذكر البكريّ أنّ الأندلس "صينيّة في جواهر معادنها"[٤].

اشتهرت إشبيلية بوجود عدد من المعادن والأحجار الكريمة شأنه شأن المدن الأندلسية الأخرى، مثل الزاج وهو حامض كبريتيّ، كان يستخرج من مناطق على مقربة من إشبيلية عند نهاية جبل الشرف المطلّ عليها، الذي يبعد خمسة عشر فرسخًا من مدينة إشبيلية، وكما سجل الزهريّ "عين الزاج وهو ماء أسود يخرج من عين، ينعقد منه على ضفتي هذه العين، ولا يوجد في معمور الأرض إلا من هذا الموضع... الزاج... يخرج من تحت الأرض"[٥]، ووجد كذلك بالقرب من مدينة عين لبلة عين تنبعث بالزاج[٦]. ويقول ابن البيطار: إنّ الزاج على أنواع عدّة،

---

(١) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٣٨٣، انظر ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٢،٣٨.
(٢) نصوص عن الأندلس، ص٩٦.
(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج ٢، ص٥٦٤، انظر الحميري، الروض المعطار، ص١٨٦.
(٤) المسالك والممالك، مج١، ص٣٨٣.
(٥) الجغرافية، ص ٨٨-٨٩
(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١٠، انظر ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٣٣٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢٤٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٨؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٣؛ المقري، نفحة الطيب، ج١، ١٨٦.

المقطر والجامد والمطبوخ(١) والأخير معروف في بلاد الأندلس(٢) واستخدم الزاج في الصباغة(٣).

وفي إشبيلية أحجار كريمة؛ إذ يكثر فيها حجر الطفل الذي يوجد بالقرب منها، وهو كما يشير الزهري "تراب يخلط فيه الدقيق فلا يمتاز منه لمجانسته إيّاه، ويعجن منه ويختمر كما يختمر العجين، ويطبخ ويوكل"(٤).

وكذلك يوجد فيها معدِن الرصاص، الذي يكون متوافرًا في بلاد الأندلس عمومًا(٥).

الصناعة:

رافق وجود وسيادة العرب المسلمين على شبه الجزيرة الأيبيرية تطوّر وتقدم عمراني في الأندلس عرفته مدن وأقاليم تلك البلاد، مما ساعد على نشوء أنواع من الصناعات، كما أنّ هناك علاقة بين التطوّر العمرانيّ وما يرافقه من تأثير مباشر في حياة السكان والازدهار الاقتصاديّ، أكدها ابن خلدون بقوله: "إن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته"(٦).

والإشارة الجديرة بالذكر هنا هي أنّ أي صناعة لا تقوم إلا بتوفير مقومات عدّة، منها: توافر المادة الخام التي تقوم عليها الصناعة، وتوافر الخبرة الصناعية المتمثلة في الأيدي العاملة التي لها مقدرة على الإنتاج الصناعيّ، وقد تميّز أهل الحرف والصناعات في الأندلس بالدقة والمهارة والخبرة حتى أثنى عليهم ابن غالب قائلا: "صينيون في إتقان الصنائع العملية وأحكام المهن، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع"(٧).

وممّا يدل على وجود الأيدي العاملة ما جاء في المثل الأندلسي"كثرة الكفوف، وقلة الدفوف"(٨)، ومن العوامل أيضًا وفرة الموادّ الخام اللازمة للصناعة، وكان لهذا العامل أهمية كبيرة في زيادة الإنتاج، أما العامل السلبيّ الذي أثر في تباطؤ سرعة الإنتاج الصناعيّ فهو عدم

(١) وهو النوع الموجود في الأندلس ويقال له المطبوخ وهذه صفته وهو ما كان منه سمح اللون ضعيف القوة فيخلط بالماء ويطبخ ثمّ يصب في برك ويترك أيامًا معلومة ليجمد، فإذا تمت الأيام جمد ويقطع قطعا شبيهة بفصوص النرد إلا أنها متصلة بعضها ببعضها الآخر كاتصال حب العنقود. انظر المصدر نفسه، مج ١، ج٢، ص ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، مج١، ج٢، ص ١٥٠ -١٥٢.

(٣) ينفع الزاج في العلاج، وهو مهيّج للقيء، ويستخدم لقتل الدود المتولد في البطن، كما يستخدم للصبغ والتسويد أحسن من الصنفين الآخرين. انظر ابن البيطار، الجامع، مج١، ج١، ص ١٥٠.

(٤) الجغرافية، ص٨٩.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٩.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠٠.

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٣، انظر المقري، نفح الطيب، ج٤، ص ١٤٧.

(٨) الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد بن محمد، (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، أمثال العوام في الأندلس، دراسة محمد بن شريفه، مطبعة محمد الخامس، فاس، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص٢٨٦، سيشار إليه في ما بعد: الزجالي، أمثال العوامّ.

الاستقرار السياسي واضطراب الأمن في الأندلس بين الحين والآخر وانخراط عدد من الصُّناع في المشاركة في الأعمال العسكريّة[١].

ومن الصناعات التي ازدهرت بالأندلس:

صناعة الجلود:

من أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الصناعات الجلدية توافر الماشية، بأصنافها من البقر والأغنام، وتوافر الأصباغ التي كانت تصنع من بعض النباتات، مثل العصفر والقرمز الموجودة في مدينة إشبيلية[١]، وأول مرحلة في هذه الصناعة هي نزع الجلد لما عليه من صوف، ثمّ الدباغة وهي مرحلة من مراحل تجهيز الجلود، وكانت تتم خارج أسوار المدن؛ لما ينجم عنها من روائح كريهة ، واشتهرت بها مدينة قرطبة ومالقة إشبيلية[٢].

ومن المصنوعات الجلديّة الوسائد ومفارش الموائد المصنوعة من الجلد الرقيق، والسفن وأغمدة السيوف ومقابضها، وسروج الخيل التي كانت تصنع من الجلد، وجميع أنواع الأحذية ومنها الأقراق، وهي نوع من أنواع النعال تفصّل من الجلد وتطرز بخيوط القنب، المصنوعة من جلد البقر[٣]؛ حيث كانت هذه المصنوعات الجلديّة تلبي حاجات المجتمع الأندلسيّ[٤].

الصناعات النسيجية (القطن، والكتان، والصوف):

كان لتوافر المواد الخام اللازمة لصناعة الملابس ووجود الأيدي العاملة أثر في ازدهار هذه الصناعات، وقد اشتهرت مدن الأندلس بصناعة الكتان والصوف، ومنها قرطبة وطليطلة وإشبيلية التي عرفت بصناعة القطن الذي يتميز بوفرته وجودته العالية[٥]، وتبلغ أهميّة هذه المدينة في صناعة الملابس أنها أنتجت نوعًا من الأقمشة يقي من بلل الأمطار[٦].

الصناعات الخشبيّة:

---

(١) البكر، النشاط الاقتصادي، ص١٦٠.
(١) المقري، نفح الطيب،ج١، ص٢٠٨.
(٢) زمامة، عبد القادر، فاس وصناعتها التقليدية، مجلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة محمد بن عبد الله عدد ٤-٥، ١٩٨٠م، ص٤٦٥، سيشار إليه في ما بعد: زمامة، فاس وصناعتها.
(٣) الزغول، الحرف، ص١٢١.
(٤) ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، (ت ٥٤٢هـ -١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، مجلد٢، ص٨٠٥، سيشار إليه في ما بعد: ابن بسام، الذخيرة.
(٥) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٦، انظر ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣.
(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٤.

تعدّ الصناعات الخشبية من الصناعات المهمة التي تشكل دخلاً مهمًّا في النشاط الصناعيّ، وكان لتوافر الخشب في الأندلس الأثر الكبير في ازدهاره[١]؛ حيث استخدم الخشب في شتى مناحي الحياة؛ فقد استعمل في تأثيث المنازل، وصناعة الأسرة، ويدخل الخشب في صناعة الأدوات المنزليّة المختلفة من الأواني والملاعق والموائد التي يوضع عليها الطعام[٢]، كما يدخل في عملية البناء من أبواب وشبابيك، وكانت كذلك صناعة توابيت القبور من الخشب[٣].وكان يصنع من الخشب الأدوات الزراعيّة، مثل المحراث الخشبي[٤]، واشتهر الأندلسيون وخاصّة مدينة إشبيلية بصناعة بعض الآلات الموسيقيّة من الخشب، مثل القانون[٥] والبوق والدف والرباب[٣].

وممّا يدل على تفرّد إشبيلية من بين مدن الأندلس بإقبال أهلها على الغناء، ما ذكره ابن رشد عندما فاضل بين مدينة إشبيلية وقرطبة؛ إذ قال: "إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلته حمل إلى إشبيلية".

كان الخشب يدخل في صناعة أنواع عديدة من الأسلحة التي استخدمها المسلمون، ومنها أسلحة الحصار الثقيلة، مثل المنجنيق ترمى بوساطتها الحجارة والأنفاط، والدبابة التي استخدمها موسى بن نصير[٦] في حصار مدينة ماردة.

أمّا بالنسبة للأسلحة الهجوميّة الخفيفة، فمنها السيوف والرماح والسهام والأقواس، وكلها يدخل الخشب في صناعتها[٧]، ومن أهم مراكز الصناعة مدينة غرناطة وإشبيلية؛ حيث كانت تصنع الدروع والسيوف وغيرها من الآلات الحربيّة[٨].

صناعة السفن:

كانت صناعة السفن ذات الحجوم المختلفة تدخل فيها الأخشاب، وأعطى الأندلسيون هذه الصناعة جانبًا كبيرًا من العناية؛ وذلك لإحاطة البحر بلادهم من ثلاث جهات، ممّا يحتم عليهم حماية هذه السواحل من الغزو الخارجي، وقد تعرّضت الأندلس لهجمات النورماندين خلال

---

[١] المكناسي، محمد بن عثمان، الأكسير في فكاك الاسير، تحقيق محمد القاسمي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥، ص٣٦. سيشار إليه فيما بعد: الأكسير .
[٢] الزغول، الحرف، ص١٢٩.
[٣] موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٤.
[٤] هياجنة، الوضع الزراعي، ص٩٢-٩٣.
[٥] القانون: آلة وترية على شكل مربع، انظر البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢٠١
[٣] الرباب: آلة وترية على شكل كرة، انظر البكر، النشاط الاقتصادي ، ص٢٠١- ٢٠٢.
[٦] الدبابة هيكل فخم من الخشب السميك المغطى بقطع من الجلد من الجوانب لحماية الجنود الذين يعملون فيه، انظر طه، عبد الواحد ذنون، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد٤-٥، ١٩٥٨-١٩٥٩، ص٢٢، سيشار إليه في ما بعد: طه، تنظيمات.
[٧] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٠٢، انظر سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص٣٥٠-٣٥١.
[٨] أبو دياك، صالح فياض، الجيش في الأندلس زمن الإمارة والخلافة الأموية الثانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان٧٧-٧٨، ٢٠٠٢، ص١٠٢، سيشار إليه في ما بعد: أبو دياك، الجيش في الأندلس.

عصر الإمارة، ونتيجة لهذه الهجمات فقد احتاط الأندلسيون بتحصين مدنهم الواقعة على الساحل، والتقدم في صناعة السفن[١].

أمّا في عهد الإمارة، فقد أعاد الأميرعبد الرحمن بناء دور الصناعة في عديد من المناطق[٢]؛ وذلك لمواجهة الخطر العباسي، وكانت مراكز الصناعة في مراسي طركونة وطرطوشة[٣] وإشبيلية لبناء المراكب والسفن الحربية، أما عن عهد الأمير عبد الرحمن الثاني، فقد دفعه هجوم النورماندين على شواطئ الأندلس الغربية سنة (٢٢٩هـ/٨٤٤م) إلى الاهتمام بالقوة البحرية، وذلك بإنشاء دور الصناعة لإمداد البلاد بأعداد كبيرة من السفن[٤] فأمر ببناء دار الصناعة في إشبيلية، ذكرها ابن القوطية قائلاً: "فقد كان إنشاء المراكب واستعداد رجال البحر من سواحل الأندلس وإلحاقهم وإتباعهم بالآلات والسفن السبب في النصر"[٥].

وفيها تم إنتاج مراكب للصيد في البحر والنهر، وهذه تتفاوت من حيث الحجم، ففي نهر إشبيلية استخدمت للصيد[٦].

ومن أبرز أنواع السفن التي شهدها الأندلس:

١) الشوانيّ: جمع شيني أو شونة، وهي أجفان حربية كبيرة مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم، وأبراجها ذات طبقات مربعة، فالطبقة العليا منها يقف فيها الجنود المسلحون بالقسي والسهام، وفي الطبقة السفلى الملاحون الذين يجذفون بنحو من مائة مجذاف، ويتراوح ما تحمله الشونة من المقاتلة ما بين (١٥٠-٢٠٠)[٧].

٢) الحرّاقات:

جمع حرّاقة، وهي مراكب حربية كبيرة، كانت تزوّد بمكاحل البارود والعرادات والمنجنيقات[٨]؛ لقذف النفط المشتعل على الأعداء، وكان الأندلسيون يعملون الحراقة على هيئة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس[١].

---

(١) البكر، النشاط الاقصادي، ص١٩٧.

(٢) دار الصناعة هي دار الأسطول، وتصنع فيها السفن والآلات، ومن كلمة دار الصناعة اشتقت الكلمة الإسبانية Atarazana ومن الكلمة الفرنسة Arsenal، انظر سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص ٣٥٠.

(٣) طرطوشة تقع إلى الشمال الشرقي من بلنسية بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط وهي من كور الشرق الأندلسي والمدينة تقع إلى الشمال من مصب نهر إبرو على بعد ١٢ ميلاً من مصبه في البحر المتوسط وهي على الضفة اليسرى من النهر وهي مدينة حصينة مسورة تقع على سفح الجبل، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص ٣٨١-٣٨٢.

(٤) سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص١٦٠، انظر سعدون، تاريخ العرب السياسي، ص٨٧، أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٨١، سيشار إليه في ما بعد: شكيب، تاريخ غزوات.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٨٨.

(٦) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٤ ، انظر الباكوري، تلخيص الآثار، ص ١١٦.

(٧) البرقوقي، عبد الرحمن، حضارة العرب في الأندلس، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٩٣م، ص١٦١، ١٦٥-١٦٦، سيشار إليه في ما بعد: البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، النخيلي، درويش، السفن الإسلامية، على حروف المعجم، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص٨٣-٨٤، سيشار إليه في ما بعد: النخيلي، السفن الإسلامية.

(٨) مكاحل البارود هي المدافع التي يرمي عنها بالنفط وحالها تتنوع، فبعض يرمي عنه بأسهم عظام تكاد تخترق الحجر، وبعض يرمي عنه ببندق من حديد. والعرادات، جمع عرادة، وهي آلة أصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة أو السهام المرمى البعيد، وبقدور النفط

٣) الشلنديّات:

جمع شلندي، وهي مراكب كبيرة مسطحة استخدمت لحمل المقاتلة والسلاح، وتعادل أهميتها الشونة الحراقة، واستعملها العرب فقالوا: صندل، ويستعملها الفرنج لنقل البضائع والأمتعة(٢).

٤) الحربيّات:

جمع حربي وحربية، نوع من الشواني، لكنها أصغر منها، وامتازت بسرعتها وخفة حركتها، واستخدمت في الأسطول الأندلسي(٣).

٥) البوارج:

جمع بارجة، نوع من السفن الحربية التي تمتاز بضخامتها، وهي أكبر من الشواني(٤).

٦) المسطحات:

جمع مسطح، وهي من كبار السفن، استخدمت لنقل المقاتلة والسلاح(٥).

٧) القراقير:

جمع قرقور، وهي "مراكب كبار بقلوع مربعة، تجري أمامها إلى خلفها"، وكانت تستخدم لحمل المواد التموينية والإمدادات العسكرية، واسمها بالإسبانية (كاراكا)(٦).

٨) الطرائد:

جمع طريدة، وهي السفن التي تحمل الخيل، وأكثر ما يكون فيها أربعون فرسًا، وكانت تفتح من الخلف حتى يسهل الصعود إليها والنزول منها(٧).

٩) البطسات:

جمع بطسة، وهي سفينة عظيمة الحجم كثيرة القلوع، قد تصل عدد القلوع في الواحدة منها إلى أربعين قلعًا، وتختص تلك السفن بنقل المواد التموينية والإمدادات والذخائر العسكرية. وكانت الواحدة منها تشمل عدّة طبقات، يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتهم(٨).

١٠) الأغربة:

أو العقارب، والمنجنيق آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يوضع فيها الحجر. انظر البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦-١٦٧.

(١) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦-١٦٧،انظر النخيلي، السفن الإسلامية، ص٣٢-٣٦.

(٢) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٩، انظر النخيلي، السفن الإسلامية، ص٧٩-٨١.

(٣) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٣٧.

(٤) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦.

(٥) طرخان، إبراهيم علي، المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٦٩، سيشار إليه في ما بعد: الطرخان، المسلمون في أوروبا، انظر البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦.

(٦) طرخان، المسلمون في أوروبا، ص٧٠، انظر النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٣٠-١٢١.

(٧) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٩.

(٨) النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٤-١٥، انظر طرخان، المسلمون في أوروبا، ص٦٩.

جمع غراب، وهي من المراكب الحربية شديدة البأس التي استعملها المسلمون والفرنج في العصور الوسطى في الغارة والغزو، وأطلق عليها اسم الغراب؛ لأن مقدم هيكلها على شكل رأس غراب(١).

١١) الحمّالات:

جمع حمالة، من ملحقات الأسطول الحربي، استخدمت لنقل مؤونة الجيش وأسلحته، وكانت تستعمل كذلك في حمل الخيول(٢).

١٢) الفلائك والقوارب:

من توابع الأسطول الأندلسي، وهي سفن صغيرة الحجم تحرك بالمجاديف، وترافق السفن الكبيرة لحمل الأمتعة الخفيفة(٣).

وكذلك عرف أهل إشبيلية بعض الصناعات المعدنية؛ إذ اشتهرت بصناعة الفولاذ(٤).

الصناعات الزراعيّة:

استغل الأندلسيون وفرة المحاصيل الزراعية في بلادهم فاتجهوا إلى صناعة الأغذية، أما عن أهم الأطعمة التي اشتهرت الأندلس بصناعتها فهو الجبن؛ إذ كثرت صناعته في إشبيلية(٥) وهذا يعود إلى أنّ بقايا النورمانديين الذين هاجموا سواحل الأندلس الغربية سنة (٢٢٩هـ/ ٨٤٤م) قد مكثوا في إشبيلية واحترفوا مهنة تربية الماشية وصناعة الجبن فكانوا يصنعون أفضل أنواعها(٦) وكانت شريش(٧) من بين المدن التي يصنع فيها الجبن(٨).

صناعة الزيت:

تعدّ صناعة الزيت واستخراجه من الزيتون من أهم الصناعات، وقد اشتهرت الأندلس بإنتاجه؛ وذلك بسبب وفرة أشجار الزيتون التي تغطي مساحة كبيرة من أراضي الأندلس، وبالذات مدينة إشبيلية، وخاصة في منطقة الشرف(٩) التي كانت إحدى أكبر مراكز صناعة الزيت واستخراجه، وكذلك لأن زيتها لا يتغير طعمه ولو بقي مدّة طويلة(١٠) وتحدث عن ذلك العذري قائلا بأنه:

---

(١) النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٠٤-١٠٧، انظر طرخان، المسلمون في أوروبا، ص٦٩.
(٢) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٤٠-٤١.
(٣) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٩، انظر طرخان، المسلمون في أوروبا، ص٧٠؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص٥٩.
(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٠٢.
(٥) المقري، نفح الطيب، ص١٨٤.
(٦) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٣٧.
(٧) المرجع نفسه، ص٢٣٧.
(٨) شريش، وهي إحدى الكور الغربية، كانت قاعدة كورة شذونه في بداية الحكم العربي، ثم تحولت شريش إلى كورة صغيرة مستقلة ثم بتعت لإشبيلية، انظر بني ياسين، بلدان الأندلس، ص٣٥٢.
(٩) Immamuddin، S.M،The Economic History of Spain under The Umayyads، press، Dacca، ١٩٦٣، p١٨٦.
(١٠) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣.

"أكرم تربة المغترس بالزيتون القائم في اخضراره، المبارك عند اعتصاره، ولا يتغير به حال، ولا يعروه اختلال..." [١].

وكانت المعاصر تنتشر في المناطق التي يكثر فيها الزيتون، ومنها إشبيلية[٢].

صناعة السكر:

عرفت الأندلس صناعة السكر(الطبرزد) بفضل العرب المسلمين الذين أدخلوا إليها زراعة قصب السكر بعد الفتح لشبه الجزيرة الإيبرية، وتطوّرت هذه الصناعة في ظلّ الحكم الإسلامي، وكانت أهم مراكز إنتاجه وتصنيعه غرناطة ومالقة وإشبيلية[٣] وأما عن تجهيزات هذه المراكز (أي المعاصر) فقد روعيت فيها التنظيمات الهندسة المعروفة في ذلك الوقت، من مثل:

قاعة الآلات (موضع المعاصر)، والتجهيز المائي (المعاصر تحرك بقوة الماء)، وقاعة معالجة السكر (الآواني والأدوات)، وبها يكون السكر جاهزًا للاستهلاك[٤].

واشتهرت أيضًا بإنتاج العسل[٥]، وصناعة الحلوى[٦]، وعرفت كذلك بصناعة أنواع من الخمور[٧]، ومما يذكر أن إنتاج الخمور في الأندلس يكون من العنب أو التين[٨].

ومن الصناعات التي عرفتها الأندلس، صناعة تجفيف الفواكه؛ ففي إشبيلية التي تحدثنا عنها سابقًا[٩].

صناعة الأصباغ:

اهتم الأندلسيون بصناعة الأصباغ، بل برعو بها، مستفيدين من توافر النباتات المختلفة التي تدخل في صناعتها، وقد تكلم ابن حوقل عن صناعة الأصباغ في الأندلس قائلا: "ولهم... الأصباغ فيه وفيما يعانون صبغة برائع بحشائش تختص بالأندلس تصبغ بها اللبود[١٠] المغربية المرتفعة الثمّينة والحرير وما يؤثرونه من ألوان الخز والقز"[١١].

---

[١] نصوص عن الأندلس، ص ٩٥، انظر الزهري، الجغرافية، ص ٨٠، ٨٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص ٥٤١؛ صفة المغرب، ص ١٧٨؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ١٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٩، ١٠١.
[٢] المكناسي، الأكسير، ص٤٠.
[٣] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣، انظر المقري، نفح الطيب،ج١، ص٢٠٨.
[٤] هياجنة، الوضع الزراعي، ص١٩٩.
[٥] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٢-٢٣، انظر الباكوري، تلخيص الآثار، ص١١٦.
[٦] المقري، نفح الطيب، ج١، ص ١٧٢.
[٧] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٣٢٧.
[٨] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ١٨١.
[٩] الحميري، الروض المعطار، ص ١٩.
[١٠] اللبدة بمعنى طاقية، وهي نوع من الطربوش الأبيض أو الأسمر، مصنوع من الصوف المقصور، انظر دوزي، المعجم المفصّل بأسماء ملابس العرب، تحقيق: أكرم فاضل، مديريّة الثقافة العامة، بغداد، ١٩٧١م، ص ٣١٩، وسيشار إليه في ما بعد: دوزي، المعجم المفصّل.
[١١] صورة الأرض، ص ١١٤.

واشتهرت إشبيلية بتوافر النباتات الصبغيّة، ممّا أدّى إلى ظهور الصناعة فيها وتطوّرها، ومن تلك النباتات نبات القرمز الذي يستخدم في صبغ المنسوجات الحريرية والصوفية[١]؛ إذ كان الصباغون يجمعونه من شجر البلوط ويستخلصون منه اللون الأحمر[٢]. وكذلك يوجد فيها نبات العصفر، ويدخل في صناعة الأصباغ[٣]، ومنها أيضًا يصدر إلى المناطق المختلفة[٤].

النشاط التجاريّ:

يعدّ النشاط التجاري الواجهة الأمامية التي تبين مدى وصول أي بلد من البلدان إلى التقدم الاقتصادي، فمن خلال حركة التبادل التجاري الذي يعكس حقيقة الوضع الاقتصادي في

أي بلد ما، وعلى هذا فإن النشاط التجاري في الأندلس يعدّ دليلاً جوهريًّاعلى الحالة الاقتصادية فيها.

التجارة الداخليّة:

تميّزت مدينة إشبيلية بازدهار الحركة التجارية؛ لموقعها على نهر الوادي الكبير، ولوجود مرسى للسفن فيها، وساعد على أن تكون مدينة تجارية دخول السفن التجارية القادمة من بلاد الفرنج ورسوها بإشبيلية[٥]، ثمّ إن تعود السفن محملة بالبضائع والمنتجات الإشبيلية التي من أشهرها الزيت الذي يُصدر إلى سائر المناطق المسيحية والإسلامية، وفي ذلك يقول الإدريسي: بأنها "مدينة كبيرة عامرة ذات... أسواق كثيرة، وبيع وشراء، وأهلها مياسير، وجل تجارتهم بالزيت"[٦].

الأسواق:

تميّزت إشبيلية بكثرة أسواقها شأنها شأن المدن الأندلسية الأخرى التي انتشرت فيها الكثير من الأسواق التجارية التي تباع فيها مختلف المنتجات الزراعية والصناعية المحلية

---

[١] العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٩٦، انظر البكري، المسالك والممالك، مج٢، ص ٣٨٥ ؛ جغرافية الأندلس، ص ١٢٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٩ -٤٠.
[٢] يخرج منه اللون الأحمر الذي لا تفوقه حمرة. انظر المقري، نفح الطيب، ج٧، ص ١٨٧.
[٣] الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢هـ/٨٩٥م)، كتاب النبات، تحقيق برنهارد لفين، بيروت، دار العلم، ١٩٧٤م، ج٣، ص ١٦٧ – ١٧٢، وسيشار إليه في ما بعد: الدينوري، النبات.
[٤] العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٩٦.
[٥] ابن سعيد، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خنيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٨م، ص١٠٠، سيشار إليه فميا بعد ابن سعيد، بسط الأرض، انظر ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ١٤.
[٦] نزهة المشتاق، مج٢، ص ٥٤١.

والمستوردة، فضلاً عن تسويق ما يرد إلى تلك المناطق من بضائع وسلع من خارج الأنـدلس، وقد وصفها الإدريسي بأنها بلدة ذات أسواق كثيرة؛ بيع وشراء، وأهلها مياسير[١].

امتازت الأندلس بكثرة الأسواق في المدن والقرى والمناطق البعيدة، وهذا دليل على ازدهار الحياة الاقتصادية، وكانت حاجة الأسواق لتغطي احتياجات التجار، وتؤمن لهم ما يحتاجون إليه من موادّ غذائية وغيرها من الخبز والجبن والفاكهة[١]. والأسواق: أماكن مخصصة لممارسة النشاط التجاري لما فيه من عملية البيع والشراء، وكانت كل مجموعة من التجار يجلسون معًا في ناحية معيّنة[٢].

وكانت هذه الأسواق تقام بجوار المسجد الجامع، وهو المركز الديني الرئيس الذي تكون حوله جميع المراكز العمرانيّة.

الأسواق في إشبيلية:

توجد في إشبيلية عدّة أنواع من الأسواق، منها:

١) أسواق المدينة المتخصصة (الثابتة): وجد في كل مدينة عدد من الأسواق المختلفة حَسب اختلاف المهنة التي يمارسها التاجر؛ ففي إشبيلية أسواق عامرة مزدهرة كثيرة؛ إذ يذكر ابن الوردي أن فيها "ثمّانية الآلف قرية عامرة بالأسواق والديار الحسنة..." [٣].

٢) الأسواق الجامعة، ومنها: الموسمية (تعقد في مناسبات ومواسم مختلفة على مدار السنة)، والسنوية (تعقد في يوم معين في كل سنة)، واليومية (تعقد في يوم معين من كل أسبوع)[٤]. ولم تكن مهمة السوق فقط ممارسة عملية البيع والشراء، بل كانت مراكز لتعليم الصبيان[٥].

أسواق مدينة إشبيلية:

ذكرت المصادر العديد من الأسواق الموزعة في مدينة إشبيلية، ومنها:

١) سوق الدوابّ:

تباع فيه أصناف الماشية المختلفة من أغنام وأبقار وخيول وبغال وحمير، وكانت عملية البيع والشراء لا تتم إلا بعد فحص الدابة للتأكد من سلامتها، ويوجد فيه تجار الدواب على نحو دائم ويومي للنظر في المشكلات بين الباعة والمشترين[٦] وتكون خارج سور المدينة للمحافظة

---

[١] المصدر نفسه، ص٥٤٠-٥٤١.
[١] ابن حوقل، صورة الأرض،. ص١٠٧-١١١.
[٢] المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٥٨، انظر سالم، في تاريخ، ص٢١٧.
[٣] ابن الوردي، خريدة العجائب، ص ١٤.
[٤] البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢٤٥.
[٥] المرجع نفسه، ص٢٤٥-٢٤٦.
[٦] مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٨.

على نظافة المدينة وللتخلص من الروائح الكريهة الصادرة عن الماشية[١] ووصلت الثقافة الأندلسية في المحافظة على النظافة أنها سخرّت الأمثال في ذلك، ومن هذه الأمثال "أخرج الدواب تتعلم الجواب"[٢].

٢) سوق النخاسة:

انتشرت أسواق النخاسة في عدد من المدن الأندلسيّة، وكانت هذه التجارة متصلة بتجارة الرقيق التي ازدهرت فيها الأندلس، وتصدّرت آنذاك مكانة عالية[٣]. ولمّا كان ذلك، فقد احتاج هذا التطور إلى وجود سوق يتم فيه بيع الرقيق والجواري الذين أتوا بوساطة الحملات العسكريّة الأمويّة، أو بوساطة القوافل التجارية. ومن المدن التي وجد فيها سوق للنخاسة قرطبة وجيان وإشبيلية[٤] وكانت تتم عملية الشراء وفق شروط، وذلك بوجود الأطباء لفحص الرقيق، والتأكد من صحة سلامتهم للخدمة، وتوجد وثيقة تؤكد ملكية المشتري للجارية والغلمان[٥]".

وكذلك يوجد فيها سوق العطارين، وسوق البزازين، وسوق الخياطين، وغيرها من الأسواق[٦].

وكان يوجد ضمن الأسواق المنشآت الملحقة بها من فنادق وخانات مهمتها توفير الراحة للتجار وخزن بضائعهم، وتنتشر الخانات على طول الطريق التجاري الذي يربط سواء بين إشبيلية وقرطبة أو إشبيلة والجزيرة الخضراء[٧].

وتتميز هذه الخانات بان لها أبوابًا خاصة، وكانت مؤمنة، تقوم بحراستها الحكومة؛ لذا يتوقف التاجر للراحة في هذه المنازل[٨]، ويذكر الزهريّ أنّ المسافر في الأندلس كان لا يحتاج إلى الماء والزاد نظرًا لتوافره في جميع المنازل على الطريق[٩].

الطرق التجاريّة:

لقد تواجد في الأندلس شبكة كبيرة من الطرق التجارية ربطت المراكز التجارية مع بعضها، بحيث سهلت عملية النقل للسلع التجارية، ومن هذه الطرق:

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٧، انظر الزهري، الجغرافية، ص٢٢٦؛ البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢٤٢.
(٢) الزجالي، أمثال العوام، ص١٠٣.
(٣) ابن خرداذبة، هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد، (ت٢٨٠هـ/٨٩٩م)، المسالك والممالك، بيرل، ليدن، ١٩٦٧م، ص١٥٣، وسيشار إليه فيما بعد ابن خرداذبة المسالك والممالك.
(٤) البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢٤٢
(٥) المرجع نفسه، ص٢٤٢- ٢٤٣.
(٦) أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤هـ/١١٩٧م)، تحقيق عبد الهادي النازي، تاريخ المن بالإمامة، بيروت، ١٩٦٤، ص ٣٨٣، ٣٨٥-٣٨٦، سيشار إليه في ما بعد: ابن صاحب الصلاة، المن.
(٧) الإدريسي، صفة المغرب، ص ٢٠٧-٢٠٨.
(٨) نبراس، فوزي جاسم، النشاط الاقتصادي في الأندلس، في كتب البلدايين، كلية الآداب، جامعة بغداد ٢٠٠٨م، ص٣٥٦، وسيشار إليه فيما بعد، نبراس، النشاط الاقتصادي.
(٩) الزهري، الجغرافية، ص ٨٠.

١) الطرق البريّة:

هناك شبكة من الطرق البرية الواسعة الممتدة على طول شبه الجزيرة الإيبرية وعرضها، وقد امتازت هذه الطرق بتعدد المحطات التي ينزل فيها المسافر للراحة أو التبادل التجاري، فذكر المؤرخون الجغرافيون عدة طرق تجارية مهمّة في الأندلس، وأهمها التي تربط العاصمة بالمدن والمراكز التجارية، ومنها(١):

أولاً: الطريق من قرطبة إلى إشبيلية، وينقسم إلى طريقين؛ طريق الزنجبار وطريق لورة، يبدأ طريق الزنجبار من قرطبة إلى إستجة، ومن ثمّ ينطلق منها إلى قرمونة لمرحلة أخرى ومن قرمونة إلى إشبيلية لمرحلته الأخيرة(٢)، أما طريق لورة فمن قرطبة إلى السواني، ثمّ إلى قرية شوبيل، ثمّ إلى القنطرة فحصن ملبال، ثمّ إلى حصن القليعة وبه المنزل ومنه إلى مرلش فأبان، ومن ثمّ إلى إشبيلية(٣) والمسافة بين قرطبة وإشبيلية ثلاث مراحل، وهي تساوي تسعين ميلاً (١٤٥كم)، ويقطعها المسافر بأربعة أيام(٤).

٢- هناك طريق بري يمر بإشبيلية؛ إذ يبدأ من الجزيرة الخضراء ثمّ ينتهي في مدينة إشبيلية، ويقطع في خمسة أيام(٥)، وتبدأ مراحل الطريق من الجزيرة وصولاً إلى الرتبة، ثمّ إلى نهر برباط، ثمّ إلى قرية قيسانة(٦) ومنها إلى مدينة ابن السليم إلى جبل منت، ثمّ إلى قرية عسلوكة، ثمّ منها إلى المدائن، ثمّ إلى ذيرد الحباله(٧)، ثمّ إلى إشبيلية(٨).

٣- طريق يبدأ من بطليوس إلى مدينة إشبيلية، ويقطع في ستة أيام(٩).

٤- ومن الطرق التجارية المعروفة التي تربط وسط البلاد بغربه(١٠)، طريق من إشبيلية يتجه إلى الغرب قاصدًا شلب(١١)، ثمّ ينعطف إلى الشمال وأصلاً إلى باجه ومنها يتفرع إلى فرعين: الأول ينعطف إلى الغرب يصل قورية، ثمّ إلى قلمرية، والثاني من باجة إلى شنترين يستغرق السير فيه اثني عشرَ يومًا ومن شنترين إلى أقصى كورة شنترين خمسة

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١١، انظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٤٠.
(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٧٣.
(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٧٣-٥٧٤.
(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٤، انظر الاصطخري، الممالك والمسالك، ص٤٦.
(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق مج٢، ص ٥٤٠، صفة المغرب، ص ١٧٧.
(٦) قرية فيسانة، وبها المنزل وهي قرية كبيرة ذات سوق عامرة وخلق كثير...انظر الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٧٧.
(٧) وتسمى أيضا جنود الحيالة أو الجمالة، وبها المنزل. المصدر نفسه، ص١٧٨.
(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص ٥٤٠-٥٤١.
(٩) المصدر نفسه، مج٢، ص ٥٤٥.
(١٠) نبراس، النشاط الاقتصادي، ص٣١٦.
(١١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١١، انظر المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ١٣؛ مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص ٢٨٧-٢٨٩.

أيام[١]. ويشير العذري إلى طريق من إشبيلية إلى لبلة مارًا بطلياطة[٢] ومن لبلة إلى البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، ويقدر بستة أميال (٩كم)[٣].

ثانيًا: الطريق من قرطبة إلى طليطلة؛ حيث يبدأ من قرطبة شمالاً إلى عقبة أرلش ومنها إلى دار البتر ثمّ إلى بطروش على حصن غافق إلى جبل غافور، ثمّ إلى قلعة رباح ومنها إلى طليطلة[٤].

ثالثًا: الطريق من قرطبة إلى المرية ومسافته سبعة أيام[٥]؛ إذ يبدأ من قرطبة إلى وادي أش ومنها إلى بجانة ثمّ إلى المرية[٦].

رابعًا: الطريق من قرطبة إلى سرقسطة؛ حيث يسلك قلعة رباح وأقليش وشنتبرية وقونكة ودروقة، ثمّ إلى سرقسطة[٧].

خامسًا: الطريق من قرطبة إلى بطليوس، ويبدأ من قرطبة بدار البقر، ثمّ حصن بيندر فحصن زواعة، ثمّ يمر بنهر أثنة، ثمّ حصن الحنش ومنه إلى مدينة ماردة، ثمّ إلى بطليوس[٨]، ومن قرطبة إلى بطليوس ست مراحل (٣٩٦كم)[٩].

سادسًا: الطريق من قرطبة إلى إلبيرة وغرناطة فمرسية[١٠]، وقد يخرج طريق من قرطبة إلى جيان فمرسية[١١]، ثمّ يسير شمالاً فيمرّ بلبنية حتى يصل إلى طرطوشة[١٢] ومن طرطوشة يخرج منها طريقين منها لاردة[١٣] والآخر إلى سرقسطة[١٤] وهناك طريقان ما بين لبلة وإشبيلية يعرف بطريق الرفاق والمحلات ويبدأ بإشبيلية ويمر بطلياطة، ثمّ ينتهي الطرق النهرية في لبلة ولا تتجاوز مسافته الأربعين ميلاً[١٥].

الطرق النهريّة:

---

(١) الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٣٨، انظر المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٣.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١٠.
(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص ٥٣٦.
(٤) الإصطخري، الممالك والمسالك، ص٤٦، انظر ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٤.
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٤.
(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٨٩.
(٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٨٩.
(٨) بطليوس: - مدينة بالأندلس من أعمال ماردة تقع على نهر آنه غربي قرطبة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن من الأمير عبد الله وهي مدينة جليلة في بسط الأرض مسورة، انظر الحميري، الروض المعطار، ص٩٣؛ بني ياسين، بلدان الأندلس، ٢٥٧.
(٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٤.
(١٠) مؤنس، الجغرافية والجغرافين، ص٢٨٨.
(١١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٧.
(١٢) المصدر نفسه، ص١٧.
(١٣) الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٧.
(١٤) مؤنس، الجغرافية والجغرافين، ص٢٨٨.
(١٥) البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٤.

أمّا عن الطرق النهريّة في الأندلس، فقد كان لها دور في حركة النقل الداخلي، ويذكر المقري أن عدد الأنهار أربعين نهرًا في الأندلس[1] لا يوجد هذا في معمور الأرض كلها إلا بها[2]، لذلك اهتم الأندلسيون بالملاحة النهرية لكثرة أنهارها ووقوع معظم المدن الأندلسية المهمة على الأنهار، مثل: ماردة وبطليوس واستجة وجيان وقرطبة وإشبيلية[3].

ومن أهم الطرق البحرية ما يصل ما بين الجزيرة الخضراء ومدينة إشبيلية، وهما طريقان: الأول طريق نهري يبدأ من الجزيرة الخضراء إلى نهر برباط ومنه إلى نهر بكة ثمّ شنت بيطر إلى القناطر ومنها إلى رابطة روطة، ثمّ إلى المساجد إلى مرسى طربشانة إلى

العطوف إلى قبور إلى قبطال، ثمّ إلى جزيرة ينشتالة، ثمّ إلى حصن الزاهر ومنه إلى إشبيلية ومسافة هذه الطريق ستون ميلاً (٩٠كم) [4].

وتتصل مدينة بطليوس مع ماردة عن طريق نهر وادي أنه، وتقدر المسافة بينهما ثلاثين ميلاً ويوجد طريق نهري تبلغ مسافته ثمانين ميلاً (١٣٥كم)، يربط مدينة بشونة بمدينة شنترين[5]، وقد ذكر الإدريسي أنه من أراد المسير من إشبيلية إلى قرطبة "ركب الراكب وسار صاعدًا في النهر"[6].

ومن الطرق التجارية عبر المحيط الأطلسي كما كان التجار من المسلمين والنصارى يخرجون في المراكب البحرية، حاملين معهم بضائعهم من الأندلس؛ إذ "يسيرون منها في المراكب البحرية ما لا يمكن حصره"[7]. فتقلع مراكب أهل إشبيلية محملة بضروب من البضائع والمتاع حتى تحط بمدينة سلا المغربية[8]، بالمقابل يتجهزون منها بالطعام (تجهيزات غذائية) إلى سائر مدن الأندلس الساحلية[9].

النقد في الأندلس:

استخدم الأندلسيون النقود في المعاملات التجارية من بيع وشراء فتعد النقود من ضروريات التقدم الاقتصادي، وقد تعامل المسلمون في بداية فتحهم للأندلس مع دراهم أهل

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٦.
(٢) الزهري، الجغرافية، ص٨٩.
(٣) الخليفات، محمد عطا الله سالم، التجارة في الأندلس في عصر الدولة الأموية (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، رسالة نوقشت في جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٤م، ص٨٧، سيشار إليه في ما بعد: الخليفات، التجارة في الأندلس.
(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٤٠.
(٥) البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٥.
(٦) نزهة المشتاق، ص٥٧٤.
(٧) ابن بطوطة، تحفة النظار، مج٤، ص ٢١٨ هامش رقم (٣٠).
(٨) مدينة بالمغرب من ناحية البر البربري تقع على شاطىء البحر متوسطة الحجم، فيها آثار للأول وهي عامرة بورود التجار إليها وفيها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طبرقة. انظر الإدريسي، صفة المغرب، مج١، ص ٢٣٩.
(٩) المصدر نفسه، مج١، ص ٢٣٩.

المشرق إلى جانب النقود البيزنطية[١]، وفي سنة (٩٨هـ/١٧٧م) ضرب دينار جديد يحمل على أحد وجهيه كتابات عربية تشتمل على الشهادة كتبت في وسط المسكوكة، وفي النصف الآخر محمد رسول الله، وعلى الإطار مكتوب "ضرب هذا الدينار في الأندلس سنة ثمان وتسعين"، أما الوجه الآخر للدينار فكان منقوش عليه باللاتينية (الرومانية)، وهذا يدل على أن هذه العملة قد تأثرت بالنقود المحلية التي كانت موجودة في الأندلس قبل الفتح من حيث الشكلُ والكتابة[٢].

وفي عهد الإمارة، استقلّ الأمويون في الأندلس من الناحية السياسية عن الخلافة العباسية في المشرق، فكان لا بدّ من استقلال اقتصادي بوجود عملة خاصة بهم يتعاملون بها، وذلك بضرب الدراهم الفضية ابتداءً من سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م) على وتيرة الدراهم الأموية المعربة.

أما الدينار الذهبي فلم يضرب إلا في عهد الخلافة[٣]، وظلّ ضرب النقود بين فترة وأخرى وكان غير منتظم، وبقدوم الأمير عبد الرحمن الأوسط أنشأ دار سكة في مدينة قرطبة، وظلت تصدر النقود على نحو مستمر[٤].

وفي عصر الإمارة كان يكتب على وجهة الدراهم "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، وفي الأسفل "بسم الله ضرب هذا الدرهم في الأندلس سنة كذا"، وعلى الوجه الآخر يكتب "الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد"، وفي أسفل الدرهم "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"[٥].

كانت النقود ولا تزال من الوسائل المهمة والأولى التي استخدمت في التعامل التجاري في الدولة العربية الإسلامية، ومنها بلاد الأندلس.

كانت العملة المتعامل بها في الأندلس عشية دخول العرب المسلمين إليها هي العملة المنقوشة باللغة اللاتينية، وبمجيء العرب الفاتحون الأوائل، أمر القائد موسى بن نصير بعد وصوله الى مدينة طليطلة سنة (٩٤هـ/٧١٣م) بضرب أول عمله إسلامية في الأندلس[٦]، وكانت مزدوجة اللغة، باللاتينية والعربية[٧].

واستمرّ العمل بهذه العملة حتى بداية عصر الولاة (٩٦- ٩٧هـ/ ٧١٤- ٧١٥م)، ثمّ بدأ في الأندلس في سنة (٩٨هـ/ ٧١٦م) سك النقود العربية (دراهم)، ويعود الفضل بذلك إلى

---

[١] الخليفات، التجارة في الأندلس، ص١٠٠.
[٢] حتاملة، الاقتصاد الأندلسي، ص٢٢٤.
[٣] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١١٤، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٦٨.
[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩١.
[٥] الخليفات، التجارة في الأندلس، ص١٠٠-١٠١.
[٦] ابن عذاري، البيان، ج٢، ص ٢٢، انظر الذهبيّ، سير الأعلام، ج٤، ص ٥٠٠.
[٧] مكي، محمود، "تاريخ الأندلس السياسي ٩٢-٨٩٧هـ": من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز وحدة دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١٩٩٩،٢م، ص ٦١، وسيشار إليه في ما بعد: مكي، تاريخ الأندلس السياسيّ. وفي بداية الأمر كان الدينار يضرب على غرار الدينار البيزنطي، ثمّ ادخل عليه تغييرًا أساسيًا يتماشًا مع عقيد الإسلام. انظر الحسيني، محمد باقر كاظم، "الإصلاح النقدي في المغرب والأندلس"، مجلة أفاق عربية، عدد ٢، السنة الثانية، ١٩٧٦م، ص ١١٨، وسيشار إليه في ما بعد: الحسيني، الإصلاح النقديّ.

الوالي الحرّ بن عبد الرحمن الثقفيّ؛ إذ نقش الحر (بالخط العربي) على مركز الوجه عبارة (محمد رسول الله) وعلى الهامش نقشت العبارة الآتية (بالأندلس سنة ٩٨هـ)، وعلى الظهر كتابة بالحروف اللاتينية[١]. ثمّ أكمل الأمر الوالي عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (١٠٢-١٠٥هـ/ ٧٢٠ – ٧٢٣م)، فأصبحت النقود في الأندلس عربية خالصة كما كان الحال في المشرق الإسلامي[٢]. أما الدرهم في الأندلس فقد تم تعديله سنة (١٠٤ هـ/ ٧٢٢م) والفلس سنة (١٠٨هـ/ ٧٢٦م)، وأصبح وزنه ٢.٧١غم[٣].

سجّل العرب اسم إسبانيا باللاتينية مختصرًا على النقود الأندلسية في عصر الإمارة، وسجلوا اسم الأندلس بالعربية على النقود[٤].

بدأ في عهد الإمارة العمل بضرب النقود في مدينة قرطبة، ويؤكد ذلك ابن الفقيه بقوله: "وبقرطبة دار الضرب في موضع يقال له باب العطارين وليس في دراهمهم مقطعة ولهم فلوس يتعاملون بها ستين فلسًا بدرهم، ودراهم تسمى طبليا"[٥]. وهذا يعني إن الضرب كان للدراهم والفلوس وليس للدنانير. وكان عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) "أول من ضرب السكة بقرطبة من بني أمية فضرب الدراهم منقوش عليها اسمه واتخذ لها دارًا لضربها، وجعل عليها الأمناء..." [٦]. كما عثر على دراهم غير رسمية (لم تصدر من قرطبة) كانت لبعض الثوار الخارجين على أمراء بني أمية أمثال ديسم بن إسحق[٧]، "وعثر على معادن الفضة بتدمير فضرب الدراهم على اسمه. وغزاه أحمد بن محمد بن أبي عبده القائد وحاربه وضايقه، فأذعن وأدى قطيعًا من الجباية، وتمسك بموالاة عمر بن حفصون، وضرب الدراهم على اسم الأمير عبد الله..." [٨]. لم يصدر في الأندلس حتى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

---

(١) الحسيني، الإصلاح النقدي، ص ١١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٨.

(٣) استغرق أمر التعديل على النقود عهود ثمانية ولاة، هم: عبد العزيز بن موسى، وأيوب بن حبيب اللخمي، والحرّ بن عبد الرحمن الثقفي، والسمع بن مالك الخولاني، وعبد الله الغافقي، وعنبسة بن سجم الكلبي، وعذرة بن عبد الله الفهري، وكان آخرهم يحيى بن سلبة الكلبي (١٠٧-١١٠هـ). انظر الحسيني، الاصلاح النقدي، ص ١١٦، انظر عامر، محمد علي، المكاييل والأوزان والنقود، مطبعة ابن حيّان، دمشق، ١٩٩٧م، ص١٠٥. سيشار إليه في ما بعد: عامر، المكاييل والأوزان.

(٤) الحسيني، "نقود المغرب والأندلس: دراسة تحليلية للكنى والألقاب"، مجلة المسكوكات، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ع ١٢-١٣، ١٩٨١-١٩٨٢م، ص ١٠٧، سيشار إليه في ما بعد: الحسيني، نقود، انظر النقشبندي، ناصر ناصر محمود والبكري، درويش مهاب، الدرهم الأموي المعرب، بغداد، ١٩٧٣م، ص٣٠، سيشار إليه في ما بعد: النقشبندي، الدرهم.

(٥) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٨٨.

(٦) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣. ص ١٤٠-١٤١.

(٧) كان ديسم من فرسان عمر بن حفصون المنتري ببشتر أحد الثائرين على السلطة الأموية في نهاية عهد الإمارة؛ إذ أعلن العصيان في لورقة على الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م) و"ملك لورقة وغلظت شوكته، وكثر أتباعه". وقد تمكن من جلبه إلى الطاعة الخليفة الأموي الأول عبد الرحمن الناصر. انظر العذري، نصوص عن الأندلس، ص ١١-١٢.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٢.

لقد ظهر في الأندلس أنواع أخرى من التعاملات المالية عن النقود، ومنها عملة فضية، والعملة الذهبية المتداولة في أسواق الأندلس عهدئذ العملة المشرقية[١]. السفاتج[٢] والصكوك[٣] وقد استخدم هذا الأسلوب في التعاملات التجارية في الأندلس؛ وذلك لتسهيل معاملاتهم التجارية، وضمانًا لإتمام العمليات التجارية وتسهيلها، وكانت الغاية من العمل بالسفاتج والصكوك، هو تجنب ضياع الأموال وسرقتها، وقد استخدمت الصكوك والسفاتج في المعاملات التجارية كدفع الديون وفي أعمال البيع المختلفة[٤]، وغالبًا ما يتم تحديد المدة الزمنية للدفع في الصنف الأخير(السفاتج). وشاعت طبيعة استخدام مثل هذا التعامل بين التجار الأندلسيين، ونجد أيضًا ما يفيد استخدام الصكوك على المستوى الرسمي، فقد ورد عند ابن الخطيب أن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (٢٣٣-٢٧٢ هـ / ٨٤٧ – ٩٨٢م) "استدرك على بعض خزانه في صَكٍّ يشتمل على مائة ألف دينار دراهم خمسة عشر درهمًا ؛ فرد الصك، وأمر بتصحيحه، فتجمع الخَدَمة والكُتّاب إليه ؛ فلم يقعوا على ذلك النقصان لقلته وخفائه..." [٥].

الموازين والمكاييل والمقاييس:

استخدام أهل الأندلس الموازين والمكاييل والمقاييس المختلفة، وهي شبيهة بالتي كانـت تستخدم في المشرق، ولم تذكر المصادر عن الموازين والمكاييل والمقاييس خاصة بإشبيلية، لكن الدراسة سوف تتحدث على نحو عام عن المعمول بها في الأندلس، وهي:

الأوقية: وهي الأكثر شيوعًا؛ إذ كانت الكثير من السلع تباع بالأواقي، التي تعادل ١٢.١رطل[٦].

الرطل[٧]: وكان يستخدم في الأندلس الرطل البغدادي، ويعادل ٥٠٤ غم[٨].

الفنيقة: تزن نصف قفيز من ٦٠ رطلاً؛ أي أنها تزن ٣٠ رطلاً وتعادل[١].

---

(١) انظر بروسي، خايمه لويس، "ملاحظات حول سكة النقود بالأندلس"، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٦م، ع ١-٢، ص ٢٤٤، سيشار إليه في ما بعد: بروسي، ملاحظات حول سكة، انظر الجنحاني، الحبيب، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م، ص١٧٧ سيشار إليه في ما بعد: الجنحاني، دراسات.

(٢) السفاتج وسفتجة أو الحوالات: نوع من أنواع التعامل المالي، ظهر استعمالها، كما تؤكد الروايات التاريخية ذلك، مبكرًا منذ قيام الدولة العربية الإسلامية. والسفتجة تعني أن تعطي مالاً لفرد له مال في بلد تريد السفر إليه، فتأخذ منه خطًا "سفتجة" لمن عنده المال في ذلك البلد، أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته قبل سفرك. انظر الكبيسي، حمدان، أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٤٩ -٥٠، سيشار إليه في ما بعد: الكبيسي، أصول النظام.

(٣) الصكوك دفتر أو سجل الأموال المسجلة من بعض الخزان، وهو وسيلة من وسائل التعامل المالي على المستويين الرسمي والشعبي، استخدمت للتعويض عن دفع النقود. وهو أمر خطي مكتوب يدفع بوساطته مقدار معين من النقود إلى الشخص المسمى فيه. انظر الكبيسي، أصول النظام، ص ٤٧-٤٨

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٨١٢ .

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٢.

(٦) الأواقي جمع أوقية تساوي في الأصل ١/١٢ من الرطل، هذا إلى إن التحويل فيها قائم على اعتبار الدرهم ٠٨٩٨، ٣ غم بدلاً من ٢٥، ٣ غم. انظر فالترهنتس، المكاييل، ص ١٩.

(٧) الرطل كان يزن ١٦ أوقية (أي نحو ٥٠٤ غرام) في حين كانت الأوقية ٢٠ درهمًا ومتوسط وزنها حوالي ٣٠ غرامًا. انظر المرجع نفسه، ص١٩، ٣٧.

(٨) كان الرطل يزن ١١٢ أوقية، كل أوقية ٨ مثاقيل، وكل مثقال ٧٢٢، ٤ غم؛ أي ٣، ٤٥٣ غم. انظر المرجع نفسه، ص ٣٧.

المثقال: يستخدم لقياس وزن الذهب، وتعادل ٤.٧٢٢[٢].

القسط[٣]: مكيال القسط كان يستخدم في وزن العسل والزيت والخلز.

القفيز[٣]: وكان في قرطبة يتسع لـــ ٤٢ مدًّا من أمداد النبي؛ أي أنه كان يكيل ٤٤.١٦ لتر[٤].

المَكُّوك: وحدة من وحدات الكيل، تعادل مكيال[٥]،الذي يعادل بدوره ثلاث كيلجات، والكيلجة تعادل منًا وسبعة أثمّان المنّ، والأخير يساوي رطلين[٦].

التجارة الخارجيّة (الصادرات والواردات):

الصادرات

تنوّعت الصادرات الأندلسية كالمحاصيل الزراعية والصناعات والمواد الخام، واشتهرت الأندلس بوفرة الإنتاج الزراعي الغزير، فكان الزيتون يتصدر قائمة الصادرات الأندلسية، فقد مدح زيت الزيتون الأندلسي وبخاصة الزيت المصدر من مدينة إشبيلية؛ حيث قال الرازي "إذ لم تصدر إشبيلية زيت الزيتون فسيكون هناك فائض يستحيل تخزينه وبالتالي سيتلف"[٧].

أشار الإدريسي إلى أن الناس في إشبيلية ميسورون، وأن معظم تجارتهم هي في زيت الزيتون الذي صُدّر من هناك إلى أبعد مكان في الشرق والغرب بحرًا وبرًّا، ويذكر أن التجار الإشبيليين نقلوا الزيت إلى الشاطئ الغربي لمراكش[٨]، وهذ يدل على كثرة إنتاج الزيتون وتصديره من إشبيلية، وكان الزيت يصدر إلى إفريقيا ومصر والإسكندرية وبلاد الروم والمغرب وكان يصدر إلى بلاد الهند[٩]. وأشار ابن الوردي الى ازدهار تجارة الزيت في إشبيلية بقوله: "وأكثر متاجرهم في الزيت "[١٠]. ويعد القطن من الصادرات الأندلسية الأساسية، وبالذات مدينة إشبيلية التي تصدره إلى الشمال الإفريقي وإلى القيروان والمغرب وسلجماسة. وذكر العذري عن قطنها أنه "... يعم أكثر بلاد الأندلس، ويجتاز به المتجهزون من التجار إلى إفريقية..." [١١]، وأمّا

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

(٣)Provencal, Espane Muslman, p ١٣٨.

(٣) في الأندلس المثقال يزن٤٫٧٢٢، غم كما هي الحال مع أوزان العملة وبذلك يكون وزن الدرهم الذي يتناسب مع هذا المثقال ٣، ٣ غم. انظر فالترهنتس، المكاييل، ص ١٨.

(٤) أحد مكاييل السعة والكلمة باليونانية Xestes وباللاتينية Sextarius. انظر فالترهنتس، المكاييل، ص ٦٥.

(٥) القفيز = صاع النبي؛ أي٢٫١٢٥، ٤ لتر. والصاع الشرعي يتألف من أربعة امداد. انظر المرجع نفسه، ص ٦٣، ٦٨.

(٦) هناك اختلاف في تحديد مكيال المكوك من مكان إلى آخر. انظر المرجع نفسه، ص٦٨.

(٧) انظركونستبل، أولفيا ريمي، التجارة والتجار في الأندلس، تعريب، د. فيصل عبد الله، الرياض، السعودية، ط١،(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢)، ص٢٧٤، (نقلا عن الرازي) سيشار إليه في ما بعد: كونستبل، التجارة والتجار.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٤١.

(٩) المكناسي، الأكسير، ص٤٠.

(١٠) خريدة العجائب، ص ١٤.

(١١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٦، انظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٧٠؛ كونستبل، التجارة والتجار، ص٢٧٥، سالم، تاريخ وحضارة الإسلام، ص٣٣٥.

القرمز فقد نقل إلى مصر، وقد أشار العذري إلى أنّ اللون القرمزي الإشبيلي أفضل من الأنواع الهندية[٣]، وكذلك العصفر الذي يعدّ من الصادرات الأندلسية وبالذات مدينة إشبيلية[١].وتعدّ تجارة الرقيق سلعة رئيسة توزع في أسواق الأندلس، فكان التجار ينقلون الرقيق إلى الأندلس من شرق أوروبا، ثمّ يصدر إلى المناطق الإسلامية[٢].

الواردات:

قامت بالإضافة إلى العلاقات السياسية بين الأندلس وجيرانه، علاقات تبادل تجاري؛ إذ كانت علاقة الأندلس مع البلدان المجاورة لها مثل المغرب وإفريقيا، علاقة قائمة على التبادل التجاري[٣]؛ حيث كان لأمراء بني أمية الفضل الكبير في عملية التبادل التجاري، فعمل الأمير عبد الرحمن الأوسط على تشجيع التجارة مع المشرق باستيراد البضائع الثمينة والملابس، فاتسعت أسواق الأندلس بالبضائع العراقية، وقد اتبع الأمراء من بعده هذا النهج الاقتصادي، بل وحتى بعض الثوار في المناطق المستقلة عن حكومة قرطبة، مثل إشبيلية التي حكمها إبراهيم بن حجاج، الذي استورد الغرائب والطرائف من الأمتعة والآلة[٤].

استورد الأندلسيون الثياب المروزية من مرو أشهر مدن خراسان[٥]، وكانت ثياب الصوف تجلب من أدغست[٦]، وكذا الصبغ الذي يصبغ به الديباج[٧]، وماء الورد من بلاد فارس[٨]، وأما المواد الغذائية وبالذات القمح فكان يستورد في حالات القحط من مدن الشمال الإفريقي[٩]، ويستورد من فاس التمر والذهب[١٠]. وكان التجار الأندلسيون الذين يخرجون من إشبيلية محملين بالزيت الكثير وهو بضاعتهم وصولاً إلى مدينة سلا المغربية يتجهزون منها بالطعام وخصوصًا القمح، ويحملونه إلى سائر المناطق الساحلية الأندلسية[١١].

فئات المجتمع الحرفيّة:

---

[٣] العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٦، انظر كونستبل، التجارة والتجار، ص٢٥٩-٢٦٠.
[١] العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٦، انظر كونستبل، التجارة والتجار، ص٢٥٩-٢٦٠.
[٢] ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص١٥٣، انظر كونستبل، التجارة والتجار، ص٣٠٤-٣٠٥.
[٣] البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢٨٩.
[٤] ابن حيّان، المقتبس، تحقيق، ملشور أنطونيا، ص١٢.
[٥] البكر، النشاط الاقتصاديّ، ص٨٤.
[٦] ادغست: مدينة بين جبلين في قلب الصحراء، جنوبي مدينة سلجماسة، وهي حارّة جدًا، تزرع فيها الذرة والتين، انظر البكري، المسالك والممالك، ص٤٥.
[٧] البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢٨٣.
[٨] ابن حوقل، صورة الأرض، ٢٦٠.
[٩] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٥٢.
[١٠] البكر، النشاط الاقتصادي، ص٢٨٥.
[١١] الإدريسي، صفة المغرب، ص ٧٣.

لم تكن الحرف في الأندلس مقتصرة على فئة دون الأخرى، بل كانت معظم الفئات السكانيّة من عرب ويهود ونصارى وموالٍ منخرطة في العمل[١]، وكان للمرأة الأندلسيّة دور في ممارسة الحرف؛ إذ عملت في مختلف الحرف المنتشرة في المجتمع الأندلسي، فكانت الطباخة والخبازة واللبانة (تختص بصناعة اللبن وبيعه) والمغنية، وعملت في صناعة الغزل والنسيج والقطن والكتان[٢]، فقد ذكر الزهري أنّ مدينة المرية "أهلها كلهم رجالاً ونساء صناع بأيديهم، وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير في سوقه"[٣]، وقد عملت في القبالة(التوليد) وتربية أولاد العائلات الغنية وإرضاعهم وخدمة البيوت، وكانت المرأة مسؤولة عن سجن خاصّ بالنساء[٤]، أمّا فئات المجتمع العاملة في الحرف فهي:

١) العرب:

استقرّت الأوضاع السياسية في الأندلس بعد الفتح؛ فاندمج العرب في المجتمع الأندلسي، ومارسوا أنواعًا مختلفة من الحرف منها التجارة، ولقد أقبل العرب على هذه المهنة لما توفر من سبل عيش رغيدة، وعملوا أيضًا بالزراعة ونسيج الحرير وغزل الكتان وبيع الحليب ومشتقاته والخبز والفاكهة والعطور[٥].

٢) البربر:

انقسم البربر إلى قسمين: قسم سكن قرى، وآخر سكن الحضر، فكان أهل القرى يعملون في تربية الماشية والدواجن، وقد احترفوا عصرَ الزيتون وطحن الحبوب، وعملوا في قطع الأخشاب وإعداد الفحم، وأمّا الحضر فعملوا في البناء والسقاية وصيد الطيور، وكانوا يحملون السلع بين المدن[٦].

٣) أهل البلاد الأصليون:

لقي النصارى في الأندلس، وخاصة في عهد الدولة الأموية حسن المعاملة، والاحترام من المسلمين، فكانت لهم شرائعهم وأراضيهم، ومارسوا مختلف المهن ومنها التجارة، ومن أهمّ ما تاجروا فيه الفراء[٧] والخشب وبيع الزيت والخل وإنتاج العسل وجلب السمك من المدن الساحلية وبيعه في أسواق المدن الداخلية، لكنّ دورهم كان أقل من المسلمين واليهود[٨].

---

[١] الزغول، الحرف، ص٢٤٩.
[٢] المرجع نفسه، الحرف، ص٢٥٤.
[٣] الزهري، الجغرافية، ص١٠٢.
[٤] فائزة، حمزة عباس، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة الأموية (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، جامعة الموصل، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٧٤، سيشار إليه في ما بعد: فائزة، دور المرأة.
[٥] مؤلف مجهول، "بيتوتات فاس الكبرى". ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم، تحقيق: عبد القادر زمامة، مجلة البحث العلمي، الرباط، ع٣، ٥٤، ١٩٦٤، ١٩٦٥م، ص٥٥، سيشار إليه في ما بعد: مجهول، بيوتات فاس الكبرى.
[٦] مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص٨٤-٨٥، انظر الزغول، الحرف، ص٢٥١.
[٧] المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٩٨، انظر ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٦.
[٨] الخليفات، التجارة في الأندلس، ص٤٠.

٤) الموالي:

عملوا في مختلف الحرف المنتشرة في الأندلس، فعملوا في صناعة المنسوجات والأسلحة والأدوات النحاسية وطحن الحبوب، واحترفوا الدباغة والحدادة والخياطة، ونقلوا السلع والبضائع من مدينة إلى أخرى(١).

٦) اليهود:

شارك اليهود في الحياة الاقتصادية، وقد تعددت الحرف والمهن التي عملوا بها، ولكنهم سيطروا على ميدان التجارة، الذي يعد من أهم نشاطاتهم الاقتصادية، ومارسوا تجارة الذهب،كما صدّروا المنسوجات المصنوعة من القطن والكتان، وأمّا عن المنتجات الزراعية التي يشارك اليهود في تصديرها، فالزيت والزعفران والصباغة والصوف(٢)، وتشير الأمثال إلى أن معظم اليهود عملوا في التجارة "إذا رأيت اليهود يذم السلع فأعلم بأنه سيشتريه"(٣) ، وعملوا في تجارة الرقيق؛ إذ كانت من التجارات الرابحة والمزدهرة في الأندلس، وعملوا في الصياغة، وبرعوا في زخرفة البيوت بـــالزليج، وهو نوع من الزخرف متعدد الألوان(٤)، وأسهم التجار اليهود "الراذانيون"(٥) الذين يتكلمون اللغة العربية والفارسية والرومية في تنشيط علاقات الأندلس التجارية مع الشرق، فعملوا على نقل السلع من الأندلس إلى المشرق من جواري وجلود وسيوف(٦).

تقسيم الأراضي في الأندلس:

ولمّا كان لا بدّ من الحديث عن الأراضي وما آلت إليه بعد الفتح، ومقدار حصة الدولة من هذه الأراضي، فإنه يمكن تقسم الأرض الأندلسية إلى ثلاثة أقسام، هي:

١) أراضي الأخماس. ٢) أراضي الإقطاع. ٣) أراضي الصلح.

أراضي الأخماس:

قسّم موسى بن نصير وقائده طارق بن زياد الأراضي بين الجيوش الفاتحة، كما قسّم بينهم السبي فأعطاهم كبارها وباقي الغنائم، وأرسل صغار السبايا إلى الخليفة الوليد بن عبد

---

(١) مجهول، بيتوتات فاس الكبرى، ص٥٦، انظر الزغول، الحرف، ص٢٥١.
(٢) مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص٥٦، انظر الزغول، الحرف، ص٢٥٣.
(٣) الزجالي، أمثال العوام، ص٢١٥.
(٤) المقري، نفح الطيب،ج١، ص٢١٦.
(٥) الراذانيون، اشتهر أمرهم في الأندلس في عصر الإمارة، واسمهم مشتق من نهر الرون، وأهل سكانهم إما في جنوب فرنسا أو في الأندلس وهناك من يعتقد أن العراق هي بلدهم الأصلي، انظر كونستبل، التجارة والتجار، ص١٤٦.
(٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٣١.

الملك ووخش الرقيق بخمس الأرضين، يعمروها ليثلث مال المسلمين، وقد عُرف هؤلاء باسم الأخماس، وأبناؤهم بنو الأخماس[١].

ولكلمة ليثلث مال المسلمين وجهان في تعريفها: الأول أن يكون لهم الثلث وللدولة الثلثان، والثاني أن يكون لهم الثلثان والدولة الثلث. وهذه الأراضي واقعة جنوب نهر الوادي الكبير، الذي تكثر فيه الأنهار، وبهذه الحالة تكون حصة الدولة من الناتج ثلثين، وحصتهم الثلث[٢].

وقد تعددت آراء المؤرخين الأندلسيين في قضية التخميس، فابن حزم يقول: "إنّ أرض الأندلس لم تخمس، بل طبّق عليها لكل يد ما أخذت، ووقعت فيها غلبة بعد غلبة"[٣]، أما ابن مزين فقال: "إن أرض الأندلس خمست من قبل بعض الولاة لكنها لم تكتمل"[٤]، وهذا يدلّ على مجيء الوالي السمح بن مالك الخولاني إلى الأندلس سنة ١٠٠هـ ومحاولة إكمال التخميس الذي لم يتمه موسى بن نصير قبل رحيله إلى المشرق لاستعجال الخليفة الوليد بن عبد الملك له؛ إذ بقيت ثلاث مناطق لم تخمّس، وهي: شنترين وقنبرية في الغرب وفي الشرق وشقة، أمّا بقيّة بلاد الأندلس فخمّست[٥].

وأمّا قول ابن حزم، فيمكن أن ترجعه إلى الأوضاع السياسية السائدة في عصره وكثرة الثوار والفتن والحروب، هذه الأوضاع جعلت ابن حزم يقول بأن الأرض لم تخمس ووقعت فيها غلبة بعد غلبة[٦]، وبقيت أراضي الأخماس مصدرًا رئيسًا لدخل الدولة الأموية في الأندلس وخاصة بيت مال المسلمين[٧].

٢) أراضي الإقطاعات:

بعد قيام موسى بن نصير بالتخميس بتوزيع الأراضي على الجنود الذين دخلوا معه، وتسجيلها بأسمائهم وموافقة الخليفة الوليد بن عبد الملك على ذلك[٨]، حصل لبعض الزعماء الإسبان على أراضي الإقطاعات كأولاد غيطشة الذين أقرها لهم طارق بن زياد ضياع أبيهم بالأندلس، وهي ثلاثة آلاف ضيعة، سمّيت صفايا الملوك؛ وذلك لمساعدتهم للعرب في عملية

---

[١] الغساني، أبو عبدالله محمد بن عبدالوهاب الأندلسيّ (ت١١١٩هـ - ١٧٣٢م)، رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، منشورات الجنرال فرانكو، طنجة، ١٩٤٠م، ص١١٢، سيشار إليه في ما بعد: الغسانيّ، رحلة الوزير.مؤنس، فجر الأندلس، ص٢١٥.
[٢] مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٢٤.
[٣] ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي، تحقيق: إحسان عباس، دار العروبة، القاهرة، (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ص١٧٥، سيشار إليه في ما بعد: ابن حزم، الرد على النغريلة.
[٤] الغساني، رحلة الوزير، ص١١٢ – ١١٤.
[٥] المصدر نفسه، ص١١٦.
[٦] ابن حزم، الردّ على النغريلة، ص١٧٥.
[٧] الغساني، رحلة الوزير، ص١١٤.
[٨] ابن الخطيب، الإحاطة، ص١١٠.

الفتح[١]، وأن الأراضي التي حصل عليها العرب أقاموا فيها الضياع والمجاشر[٢] قرب المدن، وكان نزولهم في مناطق غير مؤهلة أو في أراضي الصوافي، وهي أملاك الملوك والكنائس، وأملاك من هرب، ومن قتل في الحرب[٣].

وبقي الرقيق في أراضي الإقطاعات التي سنها العرب وعملوا على إحيائها وزراعتها، كما كانوا يعطون أصحاب الأراضي أربعة أخماس المحصول ويأخذون لأنفسهم الخمس[٤]، ظلّ

هذا حتى قدوم السمح بن مالك الذي أراد إنزال جنوده سنة (١٠٠هـ) مع الجنود الأوائل فيها، ومقاسمة أصحابها في أموالهم وأراضيهم فرفضوا ذلك[٥]؛ خوفًا من استمرار وفود الجنود إلى الأندلس، وقاموا بمراسلة الخليفة عمر بن عبد العزيز وإخباره بأن موسى بن نصير قد أقرهم على هذه الأرض، ووافق على هذا الخليفة الوليد بن عبد الملك فأقرهم على أراضيهم، وأنزل السمح جنوده في الكورة المجندة على أموال أهل الذمة[٦].

٣) أراضي الصلح:

عدّت باقي الأراضي الأندلسية التي فتحت صلحًا، وهي التي تقع في الشمال؛ أي شمال الوادي الكبير من الأندلس[٧]، أراضي صلح، صالح عليها موسى بن نصير نصارى هذه المناطق؛ على أموالهم ودينهم بأداء الخراج في أراضي الزرع على الربح أو الثلث حسب غلة الأرض وطبيعتها، وتعرف هذه الضريبة بخراج المقاسمة[٨] وبقي الوضع على ما هو حتى دخل الشاميون إلى الأندلس نتيجة لإنزال الشاميين بالكور المجندة اختلفت حصة الدولة من المورد المالي التي تأخذه من هذه الأراضي، فقد أصبح رئيس الجند يجبي الخراج، فيأخذ الثلث ويعطي الدولة الثلثين[٩]، والأراضي التي عليها الثلث يقسم خراجها إلى تسع حصص متساوية، فيكون حصّة الدولة حصّتين، ونصيب الجند حصّة واحدة، ونصيب أهل الأرض ست حُصص، أما الأراضي التي عليها ربع خراجها، فتقسم إلى اثنتي عشرة حصّة، فيكون نصيب الدولة حُصتين، والجند حُصّة واحدة، وأهل الأرض تسع حُصص[١٠].

---

[١] ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٢٩-٣٠.

[٢] المجاشر: الضيعة أو مكان الزراعة والرعي معًا، وفيه العبيد والدولاب، انظر عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت (د.ت)، ص٨٤، سيشار إليه في ما بعد: إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي.

[٣] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٨، مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٢٨.

[٤] العميان، نايف سلامة، الخراج في عهد الدولة الأمويّة في الأندلس (٩٢ – ٤٢٢هـ/ ٧١١ – ١٠٣١م)، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الأردنيّة، ١٩٩٦م/ ص١٤، سيشار إليه في ما بعد: العميان، الخراج.

[٥] الغساني، رحلة الوزير، ص١١٤.

[٦] ابن الآبار، الحلة السيراء، ص٦١-٦٣، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٤.

[٧] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١-١٤-١٥، انظر الغساني، رحلة الوزير، ص١١٢-١١٣.

[٨] خليفة، مناع مراد، المزارعة والمساقاة في الشريعة الإسلاميّة، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٥م، ص١٨ – ٢٢، سيشار إليه في ما بعد: مناع، المزارعة والمساقاة.

[٩] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٣.

[١٠] العميان، الخراج، ص١٨.

الفصـــــــــل الثـــــــالث

الحياة الاجتمـــــــاعيّة والثقـــــــافيّة

الحياة الاجتماعيّة:

تشكل المجتمع الأندلسيّ من عناصر سكانيّة مختلفة، كان لها دور كبير في بناء حضارة هذه البلاد، وأعطى هذا تميّزًا للأندلس عن بقية بلدان العالم الإسلاميّ في ذلك الوقت، فقد تكوّن المجتمع الأندلسي من عناصر إسلاميّة: العرب والبربر والموالي والمسالمة والمولدين والصقالبة التي عاشت في كنف الإمارة الأمويّة، ومن العناصر غير الإسلاميّة: النصارى واليهود[١]؛ حيث تلاقت واندمجت بالمصاهرة والجوار، ممّا أدى إلى اختلاط هذه الأجناس المختلفة في بوتقة واحدة مكوّنة المجتمع الأندلسي[٢].

عناصر السكان:

أولاً- العرب:

دخل العرب الأندلس على شكل طوالع منذ الفتح، فكانت محدودة العدد[٣]، وتشير المصادر إلى أن هذه الطوالع هي طالعة موسى بن نصير في سنة (٩٣هـ-٧١١م) وبلغ عددها ثمّانية عشر ألفًا من وجوه العرب والموالي والبربر[٤]ولحقت بها طالعة أخرى تقدر بأربعمائة رجل أغلبهم من إفريقيا بصحبة الوالي الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي سنة (٩٧هـ-٧١٥م) [٥]، وكان عرب هاتين الطالعتين من اليمانية، فأطلق عليهم البلديين، واستقروا في بلاد الأندلس وعدّوا أهل البلاد[٦].

ثمّ دخلت إلى الأندلس طالعة بلج بن بشر القشيري في سنة (١٢٤هـ-٧٤١م)، وعددها نحو عشرة آلاف، منهما ألفان من موالي بنو أمية، وثمّانية آلاف عربي من القيسية وقد سمّوا بالشاميين؛ لقدومهم من كور الشام المجندة[٧]. وقد كان لهذه الطالعة سبب في خلق الفتنة مع العرب والبلديين؛ لأنهم أرادوا الاستقرار في الأندلس على عكس ما اشترط عليهم والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري، حينما عبروا إليها هاربين من الفتنة البربريّة في شمال إفريقيا، ومن

---

(١) عبد البديع، لطفي، الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٨، سيشار إليه في ما بعد: لطفي، الإسلام في إسبانيا.

(٢) البكر، النشاط الاقتصاديّ، ص٣٤.

(٣) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١١٩، انظر دحماني، شريفة، العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص٥٠، سيشار إليه في ما بعد: شريفة، العلاقات السياسية، انظر بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص١٠٧-١٠٨، سيشار إليه في ما بعد: بدر، دراسات في تاريخ الإندلس.

(٤) ابن عبدالحكم، أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت٢٥٧هـ /٨٧٤م)، فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ألمانيا، ١٩٢٠، ص٢٠٧، سيشار إليه في ما بعد: ابن عبد الحكم، فتوح، انظر الحميدي، جذوة المقتبس، ص٥؛ المقري، نفح الطيب،ج١، ص٢٦٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٠، شريفة، العلاقات السياسية، ص٥٠.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٢، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢١.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٠-٤١، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٠.

بعدها تحوّل هذا الصراع إلى صراع بين الكتلتين اليمنيّة والقيسيّة[١]، وبعد دخول هذه الطوالع إلى الأندلس، طبعت هجرة العرب إلى بلاد الأندلس في عصر الإمارة طابعًا محدودًا، ولم يدخلها إلا أعداد قليلة ممّن أراد الهروب من الاضطهاد وظلم العباسيين لهم، وكانوا على هذا الأمر يشكلون أقليّة سكانيّة[٢].

وقد تقاسم العرب وغيرهم من سكان الأندلس الأراضي الخصبة، وكانت منازلهم في المناطق السهلية وخاصّة عند حوض نهر الوادي الكبير والمناطق المجاورة له مثل إشبيلية وقرطبة[٣].

عملت الوفود العربية في الأندلس في عصر الأمارة على تشكيل نواة طبقيّة عربية[٤]؛ حيث كانت هذه الفئة تهدّد سلطان بني أمية في العاصمة قرطبة، بدليل الثورات العديدة التي قامت ضدّ سلطة الحكم الأموي، ومنها ثورة بني حجاج[٥].

وكان العرب أصحاب إقطاعيات، قاموا على زراعتها من قبل الفلاحين الإسبان، وكانوا يعيشون حياة أشبه بحياة الملوك فيتمتعون في ضياعهم بحياة الترف[٦]، وأحاطوا ضياعهم بالقلاع والحصون، مثل: قلعة خولان الواقعة بين إشبيلية والجزيرة الخضراء، وحصن مراد بين إشبيلية وقرطبة، وقلعة جابر شمالي إشبيلية[٧].

أهمّ القبائل العربيّة التي استقرّت في إشبيلية:

استقرار القبائل العربيّة:

توزّعت القبائل العربيّة في مدينة إشبيلية بعد فتحها شأنها شأن بقية المدن الأندلسية التي استقرت بها القبائل العربية بعد الفتح الإسلامي لها، وكان يطلق عليهم البلديون، وهذه تسمية أطلقت على العرب الذين فتحوا البلد وهم أصحابه وساكنوه وهم الطالعة الأولى، وبقيت ذريّتهم تسكن البلد. ومن أبرز القبائل العربية التي سكنت إشبيلية:

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤١،٤٣، انظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢١،٢٣؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٥٦.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٨٩، انظر شريفة، العلاقات السياسية، ص٥١.

(٣) شريفة، العلاقات السياسية، ص٥٦، انظر الحريري، محمد عيسى، حركات المولدين في جنوب الأندلس في عصر الأمارة الأموية بالأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص٣٩، سيشار إليه في ما بعد: الحريري، حركات المولدين

(٤) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢١، انظر شريفة، العلاقات السياسية، ص٥٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢، ص١٢٥-١٣١، انظر شريفة، العلاقات السياسية، ص٥٧.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٩، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٢.

(٧) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٢.

١ - الفهريون:

هم بطن من بطون قريش[١]، يعدون من أشهر أعيان البلديين، استقرّوا في إشبيلية، وكان لهم دور مهم في فتح الأندلس؛ إذ رافق موسى بن نصير في حملته العديد من القادة والمقاتلة الفهريين، منهم حبيب بن أبي عبيدة[٢]، وعبد الجبار بن أبي سلمة الزهري[٣]، وعياض بن عقبة بن نافع[٤]، وعثمّان بن أبي عبيدة[٥]، ويحيى بن يعمر السهمي[٦] وغيرهم من القادة الفهريين، الذين أسهموا في فتح إشبيلية، التي استمرّ حصارها عدّة أشهر قبل تمكّن المسلمين من دخولها[٧].فالبرغم من رجوع بعض قادتهم إلى شمال إفريقيا، مثل حبيب بن أبي عبيدة، بعد قفول موسى بن نصير إلى دمشق ومقتل عبد العزيز بن موسى، إلا أنّ بعضهم بقي في البلاد أمثال: عبد الله بن الأشعث، الذي نزل في إشبيلية واتخذ أحد أرباضها مسكنًا، سمّي في ما بعد باسمه فأصبح يطلق عليه (ربض عبدالله بن الأشعث)[٨].

كان حضور الفهريين في الأندلس قويًّا؛ حتى تولى كثير منهم الأندلس، مثل: عبد الملك بن قطن الفهري الذي تولاها مرّتين في سنة (١١٤هـ-٧٣٢م)، ودامت ولايته سنتان[٩]، وقد سكنت بعض من ذريته في إشبيلية وكانوا من أعيانها ويطلق عليهم بيت الجد[١٠]، وعلي العموم سكن الكثير من الفهريين إشبيلية.

ومن بطون قريش التي سكنت إشبيلية بنو زهر، الذين ينتمون إلى عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل، الذي كان في ميسرة موسي بن نصير في أثناء فتح الأندلس، ويعدّ من التابعين، وكان نسله من أشراف الأعيان في قرطبة[١١]

وممّا تجدر الإشارة إليه أن بطون قريش استقرت في مناطق مختلفة من بلاد الأندلس، وتركزوا في مناطق مهمة مثل إشبيلية وقرطبة التي سكن بها من بني عبد الدار عامر بن عمرو

---

(١) ابن حزم، جمهرة: ص٤٥٦. انظر المقريّ، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٠.

(٢) حبيب بن أبي عبيدة: من أصحاب موسى بن نصير الذين شاركوا معه في فتح الأندلس، اسمه في كتاب الصلح الذي كتبه عبد العزيز موسى بن نصير لتدمير ابن عيدش النصرانيّ، انظر العذري، نصوص عن الأندلس، ص٥؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٦٢؛ الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة، (ت ٥٩٩هـ/١١١٧م)، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس، دار الكتاب القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٢٥٨؛ ؛ وسيشار إليه فيما بعد الضبي، بغية الملتمس؛ المقري، نفح الطيب، ج ١، ص٢٢٣.

(٣) عبدالجبّار الزهريّ: من وجوه العرب (قريش)، وهو من الخارجين معَ موسى بن نصير لفتح الأندلس، انظر ابن القوطيّة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٥٥.

(٤) عيّاض بن عقبة: من أشراف العرب، وهو ممّن رافق موسى بن نصير لفتح الأندلس، انظر ابن القوطيّة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٥٥؛ المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص٨.

(٥) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٥، الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥٩، انظر المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٦٤.

(٦) العذري، نصوص عن الأندلس عن الأندلس، ص٥.

(٧) مجهول، اخبار مجموعة، ص٢٦ - ٢٧ .

(٨) الأنصاري، ابن عبدالملك أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٧٠٣ هـ/١٢٣١م)، الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٥م، ج٤، ص١٨٤، سيشار إليه في ما بعد: الأنصاري، الذيل والتكملة، انظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق ملشور أنطوانيا، ص٦٨.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨.

(١٠) السامرائي، تاريخ العرب، ص٧٣

(١١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٠، انظر سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢١.

بن وهب بن مصعب العبدري، وهو الذي تنسب إليه بقرطبة "مقبرة عامر بجانب سور المدينة الغربي[١] وغيرها من المناطق، و كان له دور مهم في الحياة السياسية من خلال تقلد مناصب مهمّة في الأندلس.

٢- **الأنصار**:

هم من قبيلتي الأوس والخزرج، وأصلهم من المدينة المنوّرة، وينتمون إلى القحطانيّة اليمانيّة. يعدّ الأنصار من القبائل الرئيسة التي كانت ضمن حملة موسى بن نصير الذين تفرقوا في البلاد الأندلسية، وقد كان لهم دور في عمليّة الفتح، من ضمن جيش موسى بن نصير[٢]، ومن بينهم عبد السلام بن سري بن هاشم، الذي نزل في قرية شوس الأنصار بالقرب من إشبيلية[٣]، ومن المرجح أن خصوبة منطقة إشبيلية الغنية بثرواتها الطبيعية من أشجار الزيتون والكروم ومُناخها، كانت من العوامل التي ساعدت على اختيارهم للمنطقة والاستقرار فيها.

٣- **لخم**:

التحق اللخميّون بجيش موسى بن نصير المتجه إلى فتح بلاد الأندلس، وكان ثوابة بن عدي بن الحارث اللخميّ قد استقرّ في قرية الشرف من شمال إشبيلية يقال لها إش[٤]، وقد أوكلت إلى بعض قومه ولاية الحكم في الأندلس أمثال أيوب بن حبيب اللخمي، وهو ابن أخت موسى بن نصير[٥]، الذي سكن في إشبيلية[٦] وتولي ولاية الأندلس بعد مقتل عبد العزيز بن موسى، ومن آثاره في الأندلس بناؤه قلعة رباح في المناطق الشمالية[٧]، وأنّ عدي بن الحارث بن مرّة بن لخم مكث في قرية البحرين بشرق إشبيلية، ويُعرف قومه ببني بحر[٨]، وأمّا ثوابة بن عدي اللخمي فسكن قرية البصل، التي تقع في إقليم البصل أحد أقاليم إشبيلية[٩].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ قبيلة لخم اليمنية كان لها دور مهمّ في البناء الحضاري في الأندلس وذلك بما أنجبته من قادة كبار، وقد تمركزت لخم في إحدى مدن الأندلس وهي إشبيلية؛ إذ كانت العاصمة في عصر الولاة.

---

[١] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، ص ١٦٨.
[٢] طه، الفتح والاستقرار، ص٢١٦.
[٣] ابن حزم، جمهرة، ص٣٤٣-٣٦٥،٣٦٤.
[٤] طه، الفتح والاستقرار، ص٢٥٢ – ٢٥٣.
[٥] ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ١٤٩.
[٦] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٩، انظر طه، الفتح والاستقرار، ص٢٢١.
[٧] ابن عذاري، البيان المغرب، ج ١، ص ١٤٩.
[٨] المقريّ، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٥.
[٩] الأنصاري، الذيل والتكملة، ج٥، ص٦٨٦.

٤ - **أزد:**

هي قبيلة عربيّة تنتمي إلى كهلان بن سبأ من القحطانية، هاجروا من اليمن بعد تصدع سدّ سبأ، وكثير من الأزديين رافقوا موسى بن نصير، واستقرّ بعضهم في إشبيلية، ومنهم ثوابة بن مسلمة من أمراء العرب في الأندلس، الذي استعمله الوالي أبو خطار على إشبيلية، وكان من بينهم بنو وهب الذين رحلوا إليها بعد أن كانوا سكنوا لورة(١).

٥ - **مراد:**

هي إحدى القبائل اليمنيّة، وتنتمي إلى قحطان من سبأ، شاركت في كثير من الفتوحات الإسلامية، وهي تعدّ أكثر قبائل مذحج تفرّعًا وعددًا، ومنهم بنو عمار المرادي الذين استقرّوا في حصن مراد، الذي يقع بين إشبيلية وقرطبة، وأطلق على هذا الحصن مراد لكثرة القاطنين به من قبيلة مراد(٢).

وممّا يذكر أنّ بني مراد أغلبهم سكنوا في قرطبة(٣)، وغيرها من المناطق الأندلسية الأخرى .

٦ - **زبيد:**

قبيلة من مذحج، أصلهم من اليمن، كانت منازلهم في اليمن بين عدن وحضرموت، ثمّ هاجروا إلى الشمال وسكنوا جبال حائل، ومنهم منبّه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، وهو زبيد الأكبر الذي ترجع إليه قبائل زبيد، وكانت أقل الأعداد المستقرّة في الأندلس، وبالذات في إشبيلية(٤) ومنهم بنو مازن بن ربيعة بن الزبيد بن صعب، وهو زبيد الأصغر، و كان منهم الفقيه محمد بن الحسين الذي ولي قضاء قرطبة، ثمّ عاد إلى إشبيلية.

٧ - **معافر:**

عبرت هذه القبيلة مع حملة طارق بن زياد إلى الأندلس، وهم ولد يعفر من مالك بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن عمر بن عريب بن زيد بن كهلان، وكان من بينهم القائد عبد الملك بن أبي عامر المعافريّ، الذي كان له دور كبير في فتح الجزيرة الخضراء(٥)، وكان من عقبه الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، كما أنّ قرية كنتش المعافر قرب إشبيلية هي إحدى مراكز استقرارهم(١).

---

(١) المقري نفح الطيب، ج١، ص٢٩٥.
(٢) المقريّ، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٥؛ طه، الفتح والاستقرار، ص١٨٥.٢٢٧.
(٣) السامرائي، تاريخ العرب، ٧١.
(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق ملشور أنطوانيا، ص٦٨، انظر المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٥؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٢٨.
(٥) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٢٣.

٨- سعد العشيرة:

إحدى قبائل العرب القحطانية اليمانية، وكانت منازلهم في شمال شبه الجزيرة العربية، ثمّ انتشرت بعد الفتح الإسلامي في بلاد الشام، ومن ثمّ توجهوا إلى الأندلس، وهم بنو سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبأ[٢]، وسكن منهم في الأندلس من نسل عبد الله بن بشير بن أبي ضمرة، الذين يُعدّون من المستقرين الأوائل في إشبيلية[٣].

٩- خولان:

هي من القبائل العربية، جدّهم خولان بن عمر بن سعد العشيرة بن مذحج، وكان لقبيلة خولان اليمنية حيّ خاص في إشبيلية يسمّى الخولانيين، ولهم قلعة تقع بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية قرب شذونة سمّيت بقلعة خولان[٤]، ولهم في إشبيلية، مسجد عُرف بمسجد الخولانيين[٥].

١٠- تميم:

تنتسب هذه القبيلة إلى العدنانيين، ويعدّ تميم بن أد بن طابخة بن نزار بن عدنان، وأبناء تميم كثيرون ومنهم الحارث وعمرو وزيد، وعرف منهم زياد بن النابغة التميمي، الذي كان أحد المشاركين في مقتل الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير، وقد استقرّ في إشبيلية[٦].

١١- بنو خثعم:

منهم الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، الذين استقروا في إشبيلية، وكان يحيى بن عبد الله بن أبي موسى الأشعري منهم، وهم من ولد الأشعر ممّن سكن حاضرة إشبيلية[٧].

١٢- ذبيان:

وقد ذكر ابن حزم أنّ بني مرة بن عوف بن ديسم بن زيد بن عدي بن ذيبان بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان ينتمون إلى قبيلة ذبيان، ومن بطونهم آل مصروع

وآل بكر وآل جابر، وسكن إشبيلية، وأنّ الأمير عبد الله قد ولّى سعد بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذيبان على إشبيلية[١].

---

[١] المرجع نفسه، ص٢٢٣.
[٢] ابن حزم، جمهرة، ص٣٩٨.
[٣] المصدر نفسه، ص٤١٢.
[٤] المصدر نفسه، ص٤١٨.
[٥] طه، الفتح والاستقرار، ص٢٢٦.
[٦] المرجع نفسه، ص٢٢٣.
[٧] ابن حزم، جمهرة، ص٣٩٢.

١٣ - **قضاعة:**

وينتمي بلي بن عمر بن إلحاف إلى قضاعة التي تتفرّع منها بلي، وكانت منازلهم قبل استقرارهم في مدينة إشبيلية في عدة مناطق منها تيماء وجنوب الأردن، وهي إحدى القبائل اليمانية القحطانية، وأن موطنهم الأصلي جنوب الجزيرة العربية، وقد تمكنت هذه القبيلة من تأسيس سلطة لهم في عدّة مناطق، منها الحجاز والعراق والأجزاء الجنوبية من بلاد الشام[٢]، وكان فحص البلوط الذي سكنه عدي بن خزيمة البلوي[٣]، ومنهم زياد بن عذرة البلوي، الذي شارك في قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير[٤].

١٤ - **غافق:**

قبيلة عربية يمنية، وهي إحدى بطون عك، وعك هو بن الديت بن عدنان، وكانت منازلهم في تهامة جنوبي مكة، وشاركت في فتح الأندلس مع موسى بن نصير، واستقروا على طول خط سير حملة موسى في مناطق عدّة، منها: شذونة وإشبيلية؛ إذ كانت من أهم مراكز استقرارهم، وكانت أسرة زيد بن منخل الغافقي إحدى الأسر المستقرّة هناك[٥]، أمّا عن نسل عبد الرحمن الغافقي، فقد سكنوا غربي إشبيلية بمريانة، على نهر الوادي الكبير، وعرفت بمريانة الغافقين[٦].

استقرار قبائل جند حمص في إشبيلية:

بعد دخول الشاميين إلى الأندلس بقيادة بلج بن بشر القشيري، طلب الوالي عبد الملك بن قطن الفهري مساعدتهم للقضاء على ثورة البربر، وبعد قضائهم على الثورة طلب منهم الخروج من الأندلس، إلا أنهم رفضوا الخروج، وقتلوا عبد الملك بن قطن الفهري، ثمّ بدأ الصراع بين الشاميين والبلديين، ونتيجة هذا الصراع قتل بلج بن بشر، ولم تحسم هذه النزاعات إلى أن قدم الوالي أبو الخطار الكلبي يرافقه ثلاثون رجلاً من العرب الشاميين[٧]، وقام على توزيع جند الشام على كور الأندلس للحدّ من عصبياتهم القبلية، فأنزلهم في مناطق مشابهة للبيئة

---

[١] ابن حزم، جمهرة، ص٢٥٤.
[٢] البلوي، أريج نواف، دور قبيلة بلي في الحياة العامة في صدر الإسلام، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠١١م، ص٢٦، سيشار إليه في ما بعد: البلوي، دور قبيلة بلي.
[٣] المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٧، انظر البلوي، دور قبيلة بلي، ص٢٤-٢٥.
[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤.
[٥] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٥، انظر طه، الفتح والاستقرار، ص٢١٩.
[٦] ابن حزم، جمهرة، ص٣٢٩.
[٧] شريفة، العلاقات السياسية، ص٥١.

التي أتوا منها[١]؛ إذ أنزل جند دمشق في إلبيرة وجند الأردن في برية، وجند فلسطينفي شذونة والجزيرة الخضراء، وجند قنسرين في جيان، وجند مصر في وباجه وتدمير. أمّا إشبيلية، فأقام فيها جند حمص[٢]، الذين يتكوّنون من قبائل عدّة ، هي:

القبائل القيسيّة:

١) بنو غطفان: قبيلة عربيّة ينتمون إلى غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، سكنوا بادية نجد والحجاز جهة وادي القرى، وهي من ضمن القبائل القيسيّة التي شاركت في الفتوحات الإسلاميّة، وكانت من ضمن القبائل التي رافقت الفاتحين العرب في الأندلس، واستقرت هذه القبيلة في غربي إشبيلية[٣]، وفي قرية قرشانة من الشرف[٤].

٢) بنو مرّة: تعدّ من إحدى القبائل العربيّة التي سكنت شرق الجزيرة العربية، ثمّ دخل عدد من أبنائها إلى الأندلس، وقد كان عوف بن مرة بن ديسم من أحد الأسر التي سكنت إشبيلية[٥].

القبائل اليمانيّة، وتشمل:

١) لخم من القبائل اليمانية، وتنتسب إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنهم بنو عمير بن حبيب بن الأسعد بن جزيلة بن لخم ولد حجاج الثائر بإشبيلية إبراهيم وأبناؤه محمد وعبد الرحمن[٦].

٢) حضرموت: وهي من القبائل العربيّة التي التحقت بجيش موسى بن نصير أيام الفتح الإسلامي، وهم يمثلون نسبة كبيرة من جند حمص في مِنطقة إشبيلية[٧]، برز منهم حيوة بن ملامس الحضرمي[٨]، الذي ثار على عبد الرحمن الداخل سنة (١٥٦هـ/٧٧٥م)[٩] ، وبنو خلدون ينتمون إلى حضرموت، وجدهم عثمان بن هانئ بن الخطاب بن كريب بن معد بن

---

(١) السامرائي، تاريخ العرب، ٧٥.
(٢) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٦١-١٦٢.
(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٥٧.
(٤) ابن حزم، جمهرة، ص٢٤٩.
(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٧٠، انظر عبد الواحد، الفتح والاستقرار، ص٢٥٧.
(٦) ابن حزم، جمهرة، ص٢٢٤.
(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ٢٩٨. انظر الخالدي: خالد يونس، الاستقرار العربي الإسلامي في عصر الولاة، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، (١٤١٢هـ- ١٩٩١م)، ص٦٦، سيشار إليه في ما بعد: الخالدي، الاستقرار العربي.
(٨) من أشراف إشبيلية ورؤسائها، وكانت له منزلة لطيفة من عبد الرحمن بن معاوية، قطعه قطيعة معروفة في إشبيلية، ظلّ سلفه يتوارثونها إلى وقت متأخر، وهي كبيرة جدًّا، ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد الهادي الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص ٢٨٢ – ٢٨٣. سيشار إليه فيما بعد : ابن الابار التكملة.
(٩) مجهول أخبار مجموعة، ص ٩٨، انظر حتاملة، الأندلس، ص٢٠٤.

يكرب بن الحارث بن وائل بن محمود، وكان كريب وخالد من أبرز الثوار في إشبيلية أيام الأمير عبد الله[١].

٣) حِمير: دخل العديد من أبنائها إلى الأندلس، ومنهم يحيى بن محمد بن عمران قاضي قرطبة، وهو ينتمي إلى قحطان، وكان بنو الداخل من هوازن ممّن استوطن في إشبيلية، وكان عبد الله بن إبراهيم بن مسلمة من هوازن منهم[٢]

٤) يحصب: كانت أعداد اليحصبيين كثيرة، ويرأسهم أبو الصباح يحيي بن يحيى اليحصبي، وهو زعيم العشائر اليمانيّة، وكان يسكن مورة، وهي قرية تقع في الشرف غربي إشبيلية[٣]، وأيدوا الداخل وناصروه على إقامة الدولة الأموية في الأندلس، و قد ولى أبو الصباح على إشبيلية، ثمّ بعد ذلك خرج على الداخل إلا أنه قتل[٤].

٥) كلاع: استوطن عدد لا بأس به منها في إشبيلية، ويعدّ عبد الواحد بن سويد الكلاعي من الذين ثاروا على عبد الرحمن الداخل في إشبيلية سنة (١٥٦هـ/٧٧٥م)[٥].

٦) كلب: بنو كلب بن دبرة بن تغلب بن حلوان بن إلحاف بن قضاعة، استقروا بعد الفتح الإسلامي في حمص الشام[٦]، وكانت إشبيلية أحد مراكز استقرارهم في الأندلس، التي ساندت أبي خطار والي الأندلس، وممّا يذكر أنّ بعض أحفاد أبي خطار عاشوا في إشبيلية[٧].

ثانيا - البربر:

كان للبربر دور كبير في فتح الأندلس؛ إذ كان أكثر الفاتحين الأوائل منهم، سواء في حملة طريف بن ملك الاستطلاعيّة سنة (٩١هـ/٧١٠م)، أو في جيش طارق بن زياد[٨]، الذي حقق النصر على القوط، وكانت نتيجته أن سارعت أعداد كبيرة من البربر في الدخول إلى الأندلس على شكل هجرات واسعة، وبذا فقد ازداد عدد البربر بالنسبة إلى أعداد الداخلين إلى الأندلس من العرب، واستمرّ تدفقهم هذا طوال مراحل التاريخ الإسلامي للأندلس[٩].

ويرجع هذا التدفق إلى أسباب كثيرة، منها:

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٧٩٧.
(٢) ابن حزم، جمهرة، ص٤٣٢-٤٣٣.
(٣) المقري نفح الطيب، ج١، ص٢٩٧، انظر الخالدي، الاستقرار العربي، ص٧٩.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٦٢.
(٥) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٥٦، انظر الخالدي، الاستقرار العربي، ص١١٩.
(٦) البلوي، دور قبيلة بلي، ص٢٠-٢١.
(٧) ابن حزم، جمهرة، ص٤٦٠.
(٨) ابن القوطيّة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠، انظر ابن حيان، المقتبس تحقيق ملشور أنطوانيا، ص٦٤؛ المقري نفح الطيب، ج١، ص٢٣٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٢؛ لطفي، الإسلام في إسبانيا، ص٢٩؛ أحمد، دراسات في تاريخ الأندلس، ص١٠٨.
(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦، انظر شريفة، العلاقات السياسية، ص٤٩.

١- سهولة العبور من المغرب إلى الأندلس، وقرب منازلهم في شمال إفريقية منها.

٢- توافر ثروات الأندلس الاقتصادية، وكثرة خيراتها، وهو عامل أساسي في استقطاب العناصر البربرية.

٣- سياسة استخدام البربر في الجيش الأندلسي، التي اعتمد عليها الأمير عبد الرحمن الداخل، وكان لها كبير الأثر في دعم الوجود البربري[١].

أمّا عن أماكن سكنهم، فكانت في كلّ مناطق الأندلس، حسبما ذكر عبد الواحد ذنون طه؛ إذ لم يخصّوا مناطق دون أخرى، كالمناطق الجبلية الواقعة في الشمال الغربي من الأندلس، وأيضًا في المرتفعات الجنوبية الشرقية، مثل قرمونة وشذونة[٢]، ولكن سهل فحص البلوط يعدّ مزدحمًا بالبربر، ويرجع ذلك إلى ثروته الغنيّة بالبلوط والزيتون ومعدن الزئبق[٣].

استقرّت القبائل البربرية في غرب مدينة إشبيلية وشمالها وبأحوازها العربية التي تختلط معَ أحواز كورة لبلة، وكان لهؤلاء دور كبير في تأييد القبائل اليمانية العربية في صراعها معَ عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٩١م)[٤]، واشتهر من زعماء البربر عدي بن موسى الزناتي، الذي ثار معَ حيوة بن ملامس في إشبيلية سنة أربع وخمسين ومائة[٥]، يقول ابن الخطيب: "وجندهم صنفان؛ أندلسي وبربري، والبربري منه يرجع إلى القبائل المرينية، والزناتية، والتجانية، والمغراوية"[٦]، ومن بربر زناتة[٧] بنو الليث الذين سكنوا حصن شذقيلة، من أقاليم إشبيلية الذي يعدّ معقلاً للبربر[٨]، وبنو خروبي الذين أقاموا في لقنت، إلى الشمال من إشبيلية[٩]، وفي إستجة وباديتها سكنت قبائل أخرى من صهاجة وغيرها[١٠]، واستوطنت في مرشانة من كورة إشبيلية، وتقع بين قرمونة وإستجة جماعات من هوارة[١١].

ثالثا- الموالي:

إحدى العناصر السكانية المكوّنة للنسيج الاجتماعيّ في الأندلس، وكان وجودهم في العاصمة قرطبة[١٢].

---

[١] عنان، دولة الإسلام، ق١،عهد١، ص٢٠٥، انظر شريفة، العلاقات السياسية، ص٤٩.
[٢] عبد الواحد، الفتح والاستقرار، ص٣٩.
[٣] شريفة، العلاقات السياسية، ص٥٩، سالم تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٣.
[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥١،٥٣.
[٥] العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠١.
[٦] الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٣٦.
[٧] زناتة: قبيلة بربرية اشتهرت بالفروسية، ومنها جاءت بالإسبانية كلمة Jinete (فارس)، ومن بطونها قبيلة مغراوة، وجدهم الخزز بن صولان قد أسلم على يد الخليفة عثمّان بن عفان رضي الله عنه، انظر مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: ليفي بروفنسال، الرباط، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤م، ص٢٧-٢٨، سيشار إليه في ما بعد: مجهول، مفاخر البربر.
[٨] ابن حزم، جمهرة، ص٤٩٩.
[٩] المصدر نفسه، ص٥٠٠.
[١٠] المصدر نفسه، ص٥٠٢.
[١١] المصدر نفسه، ص٥٠٢.
[١٢] سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٥ - ١٢٦.

رابعا _ المسالمة

تعدّ المسالمة أو الأسالمة من العناصر الإسلامية المكوّنة للمجتمع الأندلسي، وهم الإسبان الذين اعتنقوا الإسلام من الأيام الأولى للفتح، وكان منهم العبيد والزراع(١)، وعلى إثر سياسة العدل والتجانس التي اتبعها العرب مع غير المسلمين، دخل هؤلاء الإسبان في الإسلام؛ إمّا لمصلحة شخصيّة، أو إيمانًا صادقًا منهم بتعاليم الدين الإسلامي، ومنهم من بقي على دينه(٢).

خامساً- المولّدون:

هم الجيل الثاني من المسلمين الذين تزوّجوا من نساء الإسبان واعتنقوا الإسلام، وورثوا الإسلام عن آبائهم الذين اعتنقوا الإسلام مبكرًا(٣) وينتمون إلى الأصول الإيبرية(٤)، وكانوا نتاج الزواج العربي والبربري من نسائهم الإسبانيات؛ إذ كان الفاتحون قد تركوا نساءهم في بلادهم، فأقبلوا على مصاهرة الإسبان، وتعايشوا معَ أهل البلاد وجاوروهم(٥)، وقد أدّى هذا إلى انتشار الإسلام في الأندلس، فاختلطت دماء الفاتحين بدماء أهل البلاد، فنشأ عن ذلك جيل جديد من آباء عرب وبربر مسلمين وأمهات إسبانيات، عرفوا بالمولّدين(٨)، ويعدّ الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير أول من تزوّج من إسبانية، وهي أرملة لوذريق إيخلونا Egilona، ونهج نهجه عدد كبير من رجالات العرب، أمثال زياد بن النابغة التميمي؛ إذ تزوّج من إحدى أميرات إسبانيا، وكذلك عيسى بن مزاحم(٦) الذي تزوّج سارة ابنة المند بن غيطشة، وقد احتفظ كثير من المولّدين بأسمائهم القديمة، أمثال: بني شرقة وبني إنجلين، مثل بني مردنيش وبني غرسيه، وبني ردلف، وبني إنجلين، وبني شرفة، وبني الجريح(٧). وكانت معظم منازل المولّدين في جنوب الأندلس، وخاصّة في كورة إلبيرة وطليطلة وإشبيلية(٨)، واعتمد المولدون في جلب رزقهم على تربية الماشية والزراعة في الأرياف، وعلى صيد السمك في المناطق الساحلية، أمّا في المدن فاحترفوا المهن اليدوية، ومارسوا العمل في التجارة، وأمّا بالنسبة لمولدي إشبيلية فكانوا أثرياء ويعيشون حياة رغدة(٩)، ولم يكن لهم دور في عصر الولاة كما كان في عصر الإمارة، فكانوا يشاركون

---

(١) لطفي، الإسلام في إسبانيا، ص٢٢، انظر شريفة، العلاقات السياسية، ص٦٥.
(٢) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٧-١٢٨.
(٣) الحريري، حركات المولدين، ص٢٦.
(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤١٦.
(٥) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٨.
(٨) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٠.
(٦) عيسى بن مزاحم: هو عيسى بن مزاحم بن إبراهيم، مولى الخليفة هشام بن عبد الملك، تزوّج من سارة القوطية ابنة المند، بعد وفاة زوجها عمير بن سعيد، وأنجبت له حبيب بن عمر جد بني سيد وبني حجاج وبني مسلمة، وهؤلاء أشراف ولد عمير بإشبيلية. أمّا عن أولاد عيسى، فهم إبراهيم وإسحق، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٥؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٢٨.
(٧) بنو إنجلين: منهم محمد بن عمربن الخطاب ابن إنجلين أحد زعماء المولدين في إشبيلية في عصر الأميرعبد الله، انظر ابن حيان، المقتبس تحقيق ملشور أنطوانيا، ص٧٤.
(٨) كحيلة، عبادة، تاريخ النصارى في الأندلس، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٤٠، سيشار إليه في ما بعد: كحيلة، تاريخ النصارى.
(٩) البكر، التاريخ الاقتصاديّ، ص٦٣، انظر مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٠٢.

في حروب الدولة الأموية، بل يأخذون نصيبهم من الغنائم، ومن الناحية الإدارية فقد تقلدوا قيادة الجيش، وكان ذلك في عهد عبد الرحمن الثاني عندما عيّن نصرًا لقيادة الجيوش المتوجّهة للقاء النورمان سنة (٢٢٩هـ/٨٤٢م) [١].

وممّا يحسُن ذكره أنّ ابن حيان قال عن مولدي إشبيلية: "اغلظ أهلها شوكة، وأوسعهم نعمة، وأزعمهم جانبًا"[٢].

سادساً- النصارى:

وهم نصارى الإسبان الذين كانوا يعيشون مع المسلمين ويتكلمون العربية مع بقائهم على دينهم، وبعد أن تعلموا العربية عُرفوا بالمستعربين[٣]، وأطلق عليهم العرب عجم أهل الذمة، وكانت لهم لغتهم الخاصة بهم، أطلق عليها اسمَ عجميّة أهل الأندلس، وهي خليط من الإيبرية القديمة واللاتينية والعربية[٤] وكان السكان الأصليون يتحدّثون بها، لكنّ اللغة العامة في الأندلس هي اللغة العربية؛ لغة القرآن.

أمّا عددهم، فكان في الأندلس كبيرًا، وخاصة في السنوات الأولى من الفتح، لكنهم قلوا في ما بعد مقارنةً بالمولدين، والمسالمة منهم من أسلم ومنهم من هاجر[٥]، وقد لقوا معاملة حسنة، ومنحتهم السلطة الأموية في الأندلس حرية العقيدة، من حيثُ ممارسة شعائرهم الدينية، كما أبقت على كنائسهم وأديرتهم[٦]، وتعدّ إشبيلية إحدى المراكز الأسقفيّة، عاش النصارى في بعض أحيائها الخاصّة، غيرَ أنّ هذا لم يمنعهم من مخالطة بقيّة السكان، فكانت مراكزهم في قرطبة وإشبيلية وطليطلة؛ لأنها مقرّ مطران الكنيسة الإسبانية[٧]. وأمّا عن طقوسهم الدينية، فكان هناك قاض خاصّ لهم يسمّى قاضي العجم، يفصل بينهم في المنازعات[٨]، ومن الشخصيات النصرانية في الأندلس القومس أرطباس[٩].

سابعاً- اليهود:

---

(١) كحيلة، تاريخ النصارى، ص٤١.
(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص٨٥.
(٣) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٣٠، انظر لطفي الإسلام في إسبانيا، ص٢٧.
(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٦، ١١٤، انظر مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٤٦-٤٤٧.
(٥) مطلق، إلبير حبيب، الحركة اللغوية في الأندلس، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٧م، ص٣، سيشار إليه في ما بعد: مطلق، الحركة اللغوية.
(٦) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٣١، انظر مؤنس فجر الأندلس، ص٤٤٦.
(٧) لطفي، الإسلام في إسبانيا، ص٢٨، انظر بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص١١٠، مصطفى، سامية، التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره في سقوط الأندلس الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ص٩، سيشار إليه في ما بعد: سامية، التكوين العنصري.
(٨) قاضي العجم: كان أول قاض للعجم حفص بن البر، وكان يتبع القوانين القوطية القديمة في أحكامه، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٥.
(٩) أرطباس: أول قمامسة الأندلس، ومنصب القومس وضعه الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وكان أعلى منصب في الأندلس، وكان حق تعيينه بيد الأمير الأموي، أما القمامسة المحليين فكان ينتخبهم النصارى في كل مدينة، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٣ – ٩٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٣٠.

يعدّ اليهود من العناصر السكانية المكوّنة للمجتمع الأندلسي، وكان وجودهم في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي لمدينة إشبيلية، جمعهم الوالي موسى بن نصير في مكان واحد هو قصبة المدينة، وكان هذا نهج ولاة المدن الأخرى في توزيع اليهود، وأصبحت لغتهم العربية[١].

لقي اليهود معاملة حسنة من قِبل المسلمين، فكانت لهم حريتهم في ممارسة مختلف النشاطات الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة، فعملوا في تجارة العبيد، وبرعوا في صياغة الذهب والفضة، أمّا عن الزراعة فقد كانت لهم أراض زراعية، وكان لسبب امتلاكهم لها كثرة الأراضي الخصبة في الأندلس[٢]، وأما في ما يتعلق بالناحية التعليمية فكان منهم العالم والمتعلم؛ إذ كان أبناء فقرائهم يتعلمون في المعابد، بينما يتعلم أبناء الأغنياء منهم في مدارس خاصّة، وقد أعطوا حرية في إقامة شعائرهم الدينية في معابدهم، وسمح لهم بممارسة طقوسهم في أعيادهم، ومن أعيادهم عيدا الأسابيع والفطير[٣]، وكان لهم دور في عمليّة الفتح؛ إذ كانوا حرّاس المدن والقلاع والحصون التي يتمّ فتحها؛ وبذا فقد كان فتح الأندلس بداية عهد جديد لليهود[٤].

فضلاً عن ذلك، فقد كانوا يفضلون العيش في المدن، في أحياء خاصّة لهم، وتعدّ غرناطة أكبر تجمّع لهم؛ حيث سمّيت بغرناطة اليهود[٥]، وكان لهم دور في إخماد فتنة المولدين والموالي في مدينة إشبيلية؛ إذ فتحوا أبواب المدينة لجنود الجيش الأموي، ممّا ساعد في القضاء على هذه الفتنة سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) [٦]، إضافة إلى ذلك فقد كان لهم مجالس خاصة بهم في كل مدينة توجد فيها جماعة يهودية تسمّى مجلس الشيوخ، مهمته الإشراف على تنظيم الحياة اليهودية من مختلف النواحي[٧].

اللباس الأندلسيّ:

استطاع الأندلسيون استغلال المنتجات الزراعية؛ حيث مكّنهم ذلك من صناعة العديد من أنواع الملابس وأصنافها، عرف أهل البلاد أنواعًا مختلفة منها، متعددة الألوان والأصناف، وقد ساعدهم في هذه الصناعة إفادتهم من خبرات القادمين من المشرق إلى الأندلس، وقد أبدع الصناع الأندلسيون في صناعة الملابس، ومنها: الديباج، والخز[٨]، والملابس الحريرية الزاهية

---

(١) الخالدي، خالد، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، الشارقة، ٢٠٠١م، ص١٤٥، سيشار إليه في ما بعد: الخالدي، اليهود.
(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٢٦، انظر الخالدي، اليهود، ص٤١٥-٤١٦.
(٣) الخالدي، اليهود، ص٤١-٤٧.
(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٠-١٠٦.
(٥) المصدر نفسه، ص١٠٣، انظر لطفي، الإسلام في إسبانيا، ص٣٣؛ الخالدي، اليهود، ص٤٣٢.
(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠٢، انظر كحيلة، تاريخ النصارى، ص٤٥.
(٧) الخالدي، اليهود، ص٢٧٤.
(٨) الخز: ثياب تنسيج من صوف وإبريشم وهي مباحة، وقد لبسها الصحابة والتابعون، وبائعة خراز، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٣٤٥.

الألوان[١]، وتأثر العرب المسلمون في الأندلس بلباس الفرسان النصارى[٢]، وممّا يؤكد ذلك ما ذكره المقري نقلاً عن ابن سعيد؛ إذ يقول: "وكثيرًا ما يتزيا سلاطينهم وأبناؤهم بزي النصارى المجاورين لهم، فلاحهم وأقبيتهم[٣] من الأشكولاط (نوع من الجوخ) وغيره كأقبيتهم، وكذلك أعلامهم وسروجهم[٤].

وكان لزرياب الأثر الكبير في جميع مناحي الحياة الحضارية العامة والخاصّة في الأندلس، ومنها ترتيب الشعر، وذلك بوضع طريقة جديدة في تصفيفه بأن يفرق من الوسط ويتم ربطه للخلف ليظهر الجبين والعنق[٥].

أمّا تصميم الملابس، فكان له فيه أيضًا أثر بيّن؛ إذ صنفها إلى أربعة أصناف وَفقًا لفصول السنة، أخذًا بالحسبان نوع القماش ولونه، فملابس الخريف تشبه إلى حّد ما ملابس الشتاء، وهي مبطنة من المحاشي ذوات الحشوة والبطائن الكثيفة، ويغيرونها حسب شدة البرد، من الأخف إلى الأثقل، ويلبسون الملابس البيضاء صيفًا[٦]، وكان الأندلسيون يرتدون الألوان الداكنة (الغامقة) في الشتاء، ويلبسون فوق ثيابهم نوعًا من الملابس الواقية من المطر أطلق عليه (الممطر)، يقيهم من بلل الشتاء[٧]، أمّا عن ملابس الربيع فهي ذات ألوان زاهية مصنوعة من الخز والحرير[٨]، وكان الأندلسيون يستخدمون أفضل الأقمشة في صناعة الملابس، مثل: الخزّ والكتان[٩] والبز[١٠]، أمّا أسعار تلك الملابس فكانت متباينة تبعًا لنوع القماش[١١].

كان للتقاليد العراقية التي دخلت إلى الأندلس، التأثير الكبير في المجتمع الأندلسي، فيروي لنا ابن عذاري أن كثير من الملابس الثمينة والجواهر والأمتعة وصلت إلى الأندلس من بغداد في بداية القرن الثالث الهجري، العاشر الميلادي في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم[١٢].

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج٢، ص١٩٤-١٩٩.
(٢) دوزي، المعجم المفصّل، ص١٣.
(٣) الأقبة: لباس خارجي للرجال، فارسي الأصل يطوى تحت الأبط بصورة منحرفة، تضع بورة عامة من الأطلس، وتسمّى أحيانًا معاطف الفرسان النصارى، انظر دوزي، المعجم المفصل، ص٢٨٥-٢٨٩.
(٤) المقري، نفح الطيب، ج١،ص٢٢٢.
(٥) هيكل، أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٢١، وسيشار إليه فيما بعد هيكل، الأدب الأندلسي، انظر بيضون، الدولة العربية، ص٢٧٠.
(٦) بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص٦٣، انظر بروفنسال، ليفي، سلسلة محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها، تحقيق: محمد عبد الهادي وعبد الحميد العبادي، القاهرة، ١٩٥١م، ص٧٢، سيشار إليه في ما بعد: بروفنسال، سلسلة محاضرات.
(٧) ممطر: ثوب يرتدى للتوقي من المطر، وهو مصنوع من الصوف، انظر دوزي، المعجم المفصل، ص٣٢٩.
(٨) بروفنسال، الحضارة العربية، ،سلسلة محاضرات ، ص٧٠.
(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، ص١٣٤-١٣٥.
(١٠) البز: ضرب من الثياب، وبائعها بزاز، والبزاز هو الذي يبيع الثياب والأمتعة حتى من أجناس الحرير، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣١١؛ القاسمي، ظافر، قاموس الصناعات الشامية، موتون للنشر، باريس، ١٩٦٠م، ج١،ص٤٣، سيشار إليه في ما بعد: القاسمي، قاموس.
(١١) هياجنة، الوضع الزراعيّ، ص٢٧٥.
(١٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣٦.

أمّا بالنسبة لأغطية الرأس، فقد وضع الأندلسيون القلنسوة[١]، وأما الغفائر[٢] فكان كثير من الناس يرتدونها، وهي ذات ألوان متعددة منها الحمراء والخضراء، أمّا الصفراء فكانت مخصّصة لليهود[٣].

وكانت المرأة في الأندلس تعرف بأناقتها وترتيبها، وإسرافها في لباسها، وكان الميزر لباس خاص بالنساء، وهو لفافة رأس تشبه الطرحة، مصنوع من الحرير الموشى بألوانه العديدة[٤]، أما عن السراويل التي انتشر استخدامها في الأندلس، وهي طويلة جدًّا، فكانت النساء تطويها طيات كثيرة لتظهر جمالها[٥].

وبذا، فقد تبيّن مدى تأثر الحضارة في الأندلس بحضارة المشرق (بغداد)؛ إذ اكتسب الأندلسيون الكثير من العادات والتقاليد، واهتماموا بملابسهم وأناقتهم، ولكنّ هذا لا يعني أنهم يعيشون حياة رغيدة؛ إذ كان غالبيتهم فلاحين يعملون في الزراعة، ويرتدون ملابس خاصة للعمل، وعند الراحة ملابس أخرى، وفي المناسبات ملابس تختلف عمّا كانوا يلبسونه في أوقات العمل والراحة، وكما وصفهم المقري بقوله: "أهل الأندلس أشدّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون"[٦].

وهم أيضًا في بعض الأحيان يميلون إلى كشف الرأس وعدم لبس العمائم ونحوها، على عكس ما كان معروفًا في الأقاليم الإسلامية حينئذ، كما كان المعممون بحكم مناصبهم كالفقهاء والقضاة يتخذون عمائم مغايرة تمامًا لما كان عليه المشارقة، كذلك كانت ملابس الأندلسيين تتخذ تفاصيل وهيئات خاصّة بهم، لا يكاد يعرفها إخوانهم في المشرق، وكان من أهم مظاهر مغايرة الأندلسيين للمشارقة في تقاليد الزي اتخاذهم البياض لونًا للحِداد[٧]، وبذا فقد انفردوا بتقاليد في الزي تخالف ما كان عليه أهل الأقاليم الإسلامية الأخرى[٨].

فنون الطعام والشراب:

هناك عادات وتقاليد يتوارثها جيل بعد جيل، ومنها الأطعمة، التي ينفرد بها كل بلد من البلدان؛ إذ لكل منها طرائق خاصّة في إعدادها، وكيفية تقديمها على الموائد، ولقد انتشر في

---

(١) القلنسوة: تصنع من الصوف، تلبس وحدها وفوقها العمامة، التي انتشر استخدامها في العصر العباسي، انظر دوزي، المعجم المفصل، ص٢٩٩.

(٢) الغفائر: جمع غفارة وهي عبارة عن طاقية يلبسها الرجل، وتطلق على الخرقة التي تكون على رأس المرأة. وتسمّى الطاقية في المغرب اليوم الشاشة التي تصنع من الصوف الأحمر، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٦؛ دوزي، المعجم المفصل، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٢.

(٤) دوزي، المعجم المفصّل، ص٣٥.

(٥) المرجع نفسه، ص١٦٩.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٢.

(٧) ابن بسام : الذخيرة، ق١، مج١، ص ٥٠٦- ٥٠٧.

(٨) المقري : نفح الطيب، ج١، ص ٢٢٢- ٢٢٣.

المشرق الإسلامي أطعمة ومأكولات شهية، متعددة الأنواع، وكثيرة الأسماء، نقل زرياب كيفيّة إعدادها، وطريقة ترتيبها على أساس المطبخ البغدادي(١). وفي هذا السياق، فقد أعدّ أهل الأندلس وجبات ساخنة، باتباع طرائق معيّنة، وذلك بأن يقدّم طبق الشوربة، ثمّ طبق اللحم، وبعدها جميع أصناف الطيور المتبلة بالبهارات، وآخرها طبق الحلويات المصنوعة من الجوز واللوز والعسل(٢).

وهكذا، فقد تفنّن الأندلسيون في صنع الطعام بجميع أصنافه وألوانه، وممّا يدلّ على تطوّر تلك الأساليب استبدالهم أغطية الموائد المصنوعة من القطن، بأغطية من جلد رقيق، وبدلاً من أكواب الزجاج استعملوا أكواب الذهب والفضة؛ لأنها أجمل بكثير على مائدة الطعام(٣).

أمّا عن طرائق إعداد الأطعمة التي نقلها زرياب إلى الأندلس، مثل: الهليون المعروف بالإسفراج، والتفايا والتقلية التي تقدم على الموائد بكثرة(٤)، والمعجنات التي نالت اهتمام عدد كبير من الأندلسين، فقد كان بعضها يقلى بالزيت، مثل: العجين والجبن، التي قارنها المقري بالقطايف في المشرق الإسلامي(٥)، وكانت المعجنات من ضمن الأكلات التي تقدم في المناسبات الرئيسة، مثل الأعراس(٦)، وأكلة الإسفنج شبيهة بالزلابية المشهورة في المشرق الإسلامي(٧) وكان المركاس(٨) والهريس(٩) والبلاجة(١٠) والمسمّنات واللحوم المشوية من الأكلات التي كانت منتشرة في الأندلس(١١).

وعليه، فإنّ التنوّع والتعدد في أصناف الأطعمة والأشربة يدل على مدى التطوّر الزراعي؛ إذ تمّ استغلال ما تنتجه الأراضي الأندلسية الخصبة من ثمار لإعداد الموائد، ممّا يعكس مدى التقدّم الحضاريّ الذي وصلت إليه الأندلس في عهد الدولة الأموية، وهذا ما جعل المشرقيين الذين يزورون الأندلس ينقلون هذه الأطعمة إلى بلدانهم(١٢).

---

(١) هيكل، الأدب الأندلسي، ص١٢١.
(٢) بروفنسال، الحضارة العربية، ص٧١.
(٣) المرجع نفسه، ص٧٢.
(٤) الزجالي، أمثال العوام، ص٢٣٤-٢٣٥، انظر بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص١٦٣.
(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٨٤.
(٦) الزجالي، أمثال العوام، ص٢٣٤.
(٧) المصدر نفسه، ص٢٣٦.
(٨) المركاس: تصنع من اللحم الطري المدروس بإضافة مقدار من الشحم والثوم والكمون، انظر هياجنة، الوضع الزراعيّ، ص٢٦٨.
(٩) الهرائس: نوع من القمح المطحون يعجن ويحشى باللحم، انظر ابن عبدالرؤوف، أحمد بن عبدالله (لم أعثر على إشارة دالة على تاريخ وفاته)، في آداب الحسبة والمحتسب، منشور ضمن كتاب ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ص١٠٢، سيشار إليه في ما بعد: ابن عبدالرؤوف، في آداب الحسبة.
(١٠) البلاجة:نوع من الخبز المخلوط بالكبد أو بلحم الأرنب تضاف إليه الكزبرة والكركم، انظر هياجنة، الوضع الزراعي، ص٢٦٨ - ٢٧٠.
(١١) المسمّنات: عجين من الدقيق مخلوط بالسمن ومقلي بالزيت، انظر المرجع نفسه، ص٢٦٨ - ٢٦٩.
(١٢) هياجنة، الوضع الزراعي، ص٢٧٠.

الحياة العمرانيّة في إشبيلية:

يعدّ عهد الولاة بالنسبة إلى المسلمين في الأندلس عهدًا تأسيسيًّا للعديد من النواحي. علمًا بأنّ المصادر لم تذكر شيئًا عن الحياة العمرانية خلال هذه الفترة التاريخيّة المهمّة، ويعود ذلك إلى أنّ آثار المسلمين العمرانيّة في فترة عصر الولاة قليلة؛ إذ كانت فترة فتوحات وجهاد، فلم يكن أمام المسلمين وقت كافٍ للانشغال عن الفتوحات الإسلامية ببناء القصور والمساجد والمنشآت، التي ورد الحديث عنها على نحو مختصر جدًّا، في صفحات المصادر التاريخية.

وفي هذا السياق، فإنّ المصادر لم تذكر أنّ هناك مركزًا عمرانيًّا تمّ بناؤه في عهد الولاة، أخصّ بالذكر إشبيلية، سوى دير (سانتاروفينا)، الذي أقام فيه عبد العزيز بن نصير وزوجته إنجلونا، وجعله مسجد رفينة[١].

العمارة الدينيّة:

حظي المسجد بأهمية كبيرة، انعكست على حياة المسلمين؛ فكان المركز الدينيّ والحضاريّ المتعدد في حياة المسلم، وكان مكانًا لتشاور القادة في الأمور السياسية، ويتقاضى الناس فيه لحل خلافاتهم، وهو مركز المدينة الإسلامية، وأهمّ مؤسسة دينية، ويمثل نشاط المجتمع الإسلامي بكل أبعاده؛ وذلك لتأثيره في مناحي حياة المجتمع ومؤسساته الأخرى[٢].

وبذا، فإنّ المسجد لا يعدّ مركز المدينة من الناحية العمرانية فقط، بل يتوسط الفكر الديني الإسلامي، بعَدّه يمثل السلطة الرسمية الحاكمة في المدينة، وهو المركز السياسي والقضائي والثقافي للمسلمين بحكم الوظائف التي يؤديها، ولم يكن لأداء العبادة فقط كالمعابد (الكنائس والأديرة)، بل كان مركزًا للقاء المسلمين اليومي، كما كان محلاً لتعلمهم ومقرًّا للدولة[٣].

وهكذا فقد بنى المسلمون المساجد في كلّ مكان كانوا يقيمون فيه، وكان بناء المسجد، أو الجامع كما كانوا يسمّونه أيضًا، من الأعمال الضرورية في كل مدينة، حتى إنهم كانوا يجعلون من الكنائس مساجد[٤].

---

[١] عنان، دولة الإسلام، ق١، عهد١، ص٢٧٥.
[٢] ابن خلدون، العبر، ص٣٨٥.
[٣] مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، السلال للنشر، ط١، ١٩٨٨م، ج٢، ص١٨٥-١٨٦، سيشار إليه في ما بعد: مصطفى، المدن.
[٤] أبو دياك، فياض صالح محمد، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عهد المرابطين وملوك الطوائف، مكتبة الكاتبي، عمان، ١٩٨٨، ص٢٢٣، سيشار إليه في ما بعد: أبو دياك، الوجيز، انظر الطرشان، نزار، مساجد حولت إلى كنائس، إربد، الأردن، ٢٠٠٦م، ص٦٥، سيشار إليه في ما بعد: الطرشان، مساجد.

أما بالنسبة للمساجد في الأندلس، فتكمن أهميتها في الدور الذي قامت به الدولة؛ إذ كانت أفضل مكان لنشاط الحركة العلميّة، إلى جانب مهمّتها الأولى المتمثلة في أداء العبادات[١].

ومن مظاهر اهتمام أهل الأندلس بتشييد المساجد أنهم كانوا يختارون لها أفضل المواقع وأجود موادّ البناء، وكذا اختيار أبرع المهندسين والنحاتين، وأبرز مظاهر الجمال والزينة من الزخارف والنقوش العربية الإسلامية.

وتأكيدًا لأهميّة المساجد، فقد ذكر ابن حوقل أنّ: "جميع هذه المدن مشهورة بالمساجد الحسنة، يقام فيها جميع الصلوات، وليس في جميع الأندلس مسجد خراب[٢].

المسجد الأمويّ الجامع في إشبيلية:

اعتنى أمراء بني أمية في الأندلس بتشييد المساجد الجامعة في كل مدينة وفي كل قرية؛ لِما لها من أهمية في الإسلام، كما أنها تعود بالأجر والثواب على من يبنيها[٣]. أمّا المسجد الجامع، فقد كان يتوسط المدينة، كما هو في سائر المدن الإسلامية[٤].

وقد كان الاهتمام بتشييد القصور والحصون والأسوار في جميع أنحاء الأندلس بالغًا في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط)، الذي كان من أوائل أمراء بني أميّة؛ إذ أمر ببناء المسجد الجامع في إشبيلية سنة (٢١٤هـ/٨٢٩م) بإشراف القاضي عمر بن عدبس، الذي سمّي في ما بعدُ على اسمه[٥]، وكان بناؤه من عظيم المباني وجليلها، وصومعته بديعة الصنعة غريبة العمل، أركانها الأربعة عَمَدٌ من فوق عمد إلى أعلاها، في كلّ ركن ثلاثة أعمدة[٦]، وفي إشبيلية يوجد بدنُ عمود من الرخام الرمادي ارتفاعه (٣.١٧م) وقطره (٤٢م)، فيه نقش كوفيّ قديم مكتوب "يرحم الله عبد الرحمن بن الحكم الأمير العدل المهتدي الآمر ببنيان هذا المسجد على يد عمر بن عدبس قاضي إشبيلية في سنة أربع عشرة ومائتين، وكتب عبد البرّ بن هارون"[٧].

---

(١) عجيل، كريم حسين، الحياة العلمية في مدينة بلنسية، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٧٦، ص٢٠٨، سيشار إليه في ما بعد: عجيل، الحياة العلمية.
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١١.
(٣) الجبوري، إيمان حسين، تطوّر الحركة العمرانية لمدينة قرطبة بعد الفتح العربي الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأندلسية (٩٢هـ-٤٢٢هـ)، بغداد، ٢٠٠٤م، ص٢٧، سيشار إليه في ما بعد: الجبوري، تطور الحركة العمرانية.
(٤) عجيل، الحياة العلمية، ص٢٧.
(٥) سالم، في تاريخ، ص١٦٦،-١٦٧.
(٦) الحميري، الروض المعطار، ص٥٩.
(٧) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص٥١٦.

وكان هذا المسجد يتكوّن من أحد عشر صحنًا صُمّمَت متعامدة معَ حائط القبلة، الــذي كان يواجه الجنوب كما هي الحال في جميع المساجد الأندلسيّة، وكان مستطيل الشكل وله أعمدة من المرمر تستند عليه أقواس من القرميد[١].

أما مئذنة الجامع، فإنها تستند على الجدار الشمالي بحيث تبرز عنه، وكان طول جــدار القبلة يتراوح ما بين (٤٨-٥٠م)، وعرضه أقلّ بقليل منه، وكان صحنه المعروف إلى أيامنا هذه (بصحن البرتقال) كثيرَ الأشجار المشجرة بالنارنج، كما كان في وسطه نافورة من الرّخام[٢].

والمنارة محفوظة حتى يومنا هذا داخل برج الكنيسة، وهي مربّعة يبلغ طول ضــلعها حوالي ستة أمتار، مصنوعة من الحجارة المربعة التي تعود إلى العصر الروماني، وفي داخلها سلم لولبي، يلتفّ حول عمود أسطواني متين في المركز، وفي كلّ زاوية من زوايا المنارة ثلاثة أعمدة من المرمر تصل حتى القمّة[٣].

تعرّض المسجد، ولم يمضِ على بنائه ست عشرة سنة، لبعض الأضرار نتيجة الغــزو النورماندي على إشبيلية سنة (٢٣٠هــ٨٤٤م)؛ حيث أحرق سقفه الذي كان يقذفــه النورمــان بسهام ملتهبة [٤]. ولم يجرِ على هذا المسجد أي تعديل في بنائه، حتى ضاق على المصلين بعــد مرور ثلاثة قرون من تشييده، فأقام الموحّدون جامع القصبة الكبير في إشبيلية[٥].

١) دار الإمارة (قصر الإمارة):

اتخذ موسى بن نصير إشبيلية مقرًّا له قبل رحيله إلى المشرق، وعهد إلــى ابنــه عبــد العزيز بولاية الأندلس، "فاتخذ عبد العزيز مسكنه في قسم من كنيسة رفينة؛ حيث أقام تجاههــا مسجدًا عُرف بمسجد رفينة"[٦]، وكان عمال إشبيلية الذين يعيّنون من قبل أمــراء بنــي أميــة، يقيمون في قصر الإمارة الذي كان يطلق عليه اسم القصبة[٧]، وكانت القصبة المذكورة تشغل

موضعًا قريبًا من الطرف الجنوبي الشرقي من إشبيلية الرومانية، على مقربة من جامع ابن عدبس[٨] وتوجد في القصر روضة دفن فيها هشام بن عبد الرحمن (الأوسط)[٩].

---

[١] الجيوسي، سلمى الخضراء، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت،١٩٩٩م، ص٢٥٥، سيشار إليه في ما بعد: الجيوسي، الحضارة.

[٢] سالم عبد العزيز، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦، ص٣٠، سيشار إليه في ما بعد: سالم، المساجد، انظر قجة، محمد حسن، محطات أندلسية، الدار السعودية، ط١، ١٤١٥هــ/١٩٨٥م، ص٦٦، سيشار إليه في ما بعد: قجة، محطات.

[٣] الجيوسي، الحضارة، ص٢٢٥.

[٤] سالم، في تاريخ، ص١٦٧.

[٥] سالم، المساجد، ص٣٠.

[٦] ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٧٩.

[٧] المصدر نفسه، ص٦٤.

[٨] ابن حيان، المقتبس، ص٧٧.

[٩] المصدر نفسه، ص٧٩.

٢) بناء دار الإمارة الجديد:

هدم عامل الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثاني في إشبيلية (سعيد بن المنذر) المعروف بابن سليم، سورَ مدينة إشبيلية، وقلبها رأسًا على عقب، ووسع مساحتها لتكون دار الإمارة في أسلوبٍ هندسي بديع، وبنى القصر المعروف بدار الإمارة وحصّنه بسور حجر رفيع وأبراج منيعة[١].أمّا عبد الرحمن الناصر، فعيّن فطيس بن أصبغ واليًّا على إشبيلية سنة (٣٠١هـ) ، وهذا يعني أن سعيد بن المنذر بدأ في بناء القصر القديم، وأن عامل إشبيلية ابن أصبغ هو الذي أكمل بناءه؛ لأنّ ولايته استمرّت أربعة عشر عامًا (٣٠١هـ-٣١٥هـ)[٢].

دور إشبيلية:

لجأ العرب المسلمون في بداية الفتح إلى العيش في دور المدن الأندلسية التي فتحوها، حتى تتهيأ لهم الوسائل اللازمة لبناء دور خاصة لهم، وبعد نصف قرن من الفتح، شهدت المدن الأندلسية حركة عمرانيةً كبيرةً في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل وبنيه من بعده، فشيّدت في ولايتهم أبنية، أخذت تتطوّر تدريجيًّا متأثرة بنظام المسجد الذي يعدّ أساسًا للأبنية الأخرى جميعها[٣].

وكانت المنازل الأندلسية تتكوّن من طابقين أو ثلاثة، وتحتوي على حدائق من مياه جارية، أمّا المنازل ذات الطابق الواحد فكانت توجد بأعداد قليلة وبمساحات صغيرة[٤].

ويعدّ ازدياد النشاط الاقتصاديّ والزراعيّ والحرفيّ والتجاريّ من الأسباب التي أدّت إلى تطوّر الحركة العمرانيّة في مدينة إشبيلية وّالمدن الأندلسية جميعها في عهد الإمارة الأمويّة؛ نتيجة الاستقرار الذي نعمت به الأندلس في هذا العهد، الأمر الذي أدّى إلى ازدياد إقبال الناس على المدينة.

ويلحظ أنّ تطوّر الحركة المعماريّة عائد إلى ازدياد جباية الأقاليم الأندلسيّة، التي ساعدت على بناء القصور والمساجد.

الحمامّات

وهي في مدن العالم الإسلامي نوعان؛ عامّة، وخاصّة في المنازل الفخمة والغنية، وكانت الحمّامات الخاصّة من المنشآت المعمارية التي أنشئت في الدور الكبيرة التي يمتلكها

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٥٩.
(٢) سالم، المساجد، ص٨٧.
(٣) الجبوري، تطور الحركة العمرانية، ص١١٨.
(٤) خالد، طارق، آثار أندلسية، الكويت، ١٩٥١م، ص٦٢، سيشار إليه في ما بعد: خالد، آثار أندلسية.

القوم، أمّا الفقراء فلم يستطيعوا إنشاء الحمّامات بمنازلهم، لذلك أقيمت الحمّامات العامة التي يستخدمها عامة الناس[١].

يتألف الحمّام الأندلسي من مدخل يؤدي إلى ثلاث قاعات وأحياناً أربعة رئيسة مخبأة، تضاف إليها ملحقات الحمّام من الموقد والمرحاض، وتتصل هذه القاعات في ما بينها عن طريق فتحات أو أبواب، وتتخذ جميعها شكلاً مستطيلاً أو مربّعًا؛ حيث تدور حول غرفة مركزية، ويكون الدخول إلى الحمّام بوساطة باب منخفض، يؤدّي إلى ممرّ ضيّق متعرّج، وتوجد قاعة تعرف (بالبيت البارد)، يضع المستحمون فيها ملابسهم ويلبسونها عند الخروج[٢].

وفي مدينة إشبيلية قرًى عامرة آهلة بالحمّامات والديار الحسنة[٣]، كانت على أشكال متعددة وأغراض كثيرة لخدمة المجتمع الإشبيلي، وهو مسخن مصنوع من الجبس يعرف (بالجبسيات)، التي تمتلئ به مياه القنوات المرتبطة بالخزانات، وكان يأتي إليها جميع الفئات العمرية من الناس من فقير وغني، وتوجد حمامّات خاصّة بالرجال وأخرى بالنساء[٤].

العمارة الحربيّة:

أسوار المدينة:

بنيت إشبيلية أيام يوليوس قيصر (ت ١٤٤ ق.م)، وكان سبب بنائها أنه لمّا دخل الأندلس وصل إلى مكانها فأعجب بساحتها وطيب أرضها وجبلها المعروف بالشرف، فأقام المدينة على نهر الوادي الكبير، وأحاطها بأسوار من حجر صلد[٥]. وقد اهتمّ العرب المسلمون في الأندلس بعد الفتح العربي ببناء الأسوار حول هذه المدينة ؛ لتحصينها من الهجمات الخارجيّة النصرانيّة.

وكان يغلب على المدينة الطابع الروماني القوطي في أسوارها، ولكنّ عند دخول الفاتحين العرب دعا إلى مراجعة مخططات المدينة؛ حيث جُدّدت أسوارها؛ لتتناسب مع التحديات في عهد حكامها، والناظر إلى مدينة إشبيلية يرى مدى التطوّرات التي طرأت على شكلها القديم الروماني، وبالذات أسوارها[٦].

وعلى إثر هجمات النورمانديين الذين وصلوا إلى إشبيلية في سفنهم ذات الأشرعة السوداء عن طريق مصبّ الوادي الكبير، حدث الكثير من الخسائر، غيرَ أنّ الأمير عبد الرحمن

---

(١) ابن الرامي، إبراهيم اللخمي، (ت ٧٣٤هـ/١٣٣٣م)، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق صالح بن عبد الرحمن الأخرم، السعودية، (د.ت)، ص١٥٧، سيشار إليه في ما بعد: ابن الرامي، الإعلان.

(٢) خلاف، عبد الوهاب، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر، الخامس الهجري والحياة الاقتصادية والاجتماعية، دار التونسية للطباعة، ١٩٨٤م، ص٣٠، سيشار إليه في ما بعد: خلاف، قرطبة

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٥٤١.

(٤) Jacinto B, historia, p٣٥.

(٥) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٧، انظر الحميري، الروض المعطار، ص٥٩؛ المقري نفح الطيب، ج١، ص١٥٧.

(٦) سالم، في تاريخ، ٢٣١.

الثاني تمكن من الانتصار عليهم وطردهم، و ترتب على هذا الهجوم اهتمام الأميـر بتحصـين المدينة بالأسوار العالية[١].

ولمّا كانت المدينة الإسلامية إشبيلية قلب الحياة الاقتصادية والسياسـية والثقافيـة فـي عصرها، فقد اقتضت الضرورة القصوى توفير الحماية الكبرى لتأمين خطوط دفاعية متلاصقة متلائمة معَ طبيعة المدينة؛ لذا اهتمّ حكامها بتوفير الكثير من التحصينات الدفاعيّـة لأغـراض عسكريّة ومن أجل الرقابة التجارية؛ إذ أمر عبد الرحمن الثاني وزيره عبد الملك بن حبيب بهدم سورها وتحصينه بسور حجر رفيع وأبراج منيعة، وبنى سور المدينة أيام الفتنة[٢].

وأوعز الأمير عبد الرحمن الثاني إلى عامله عبد الله بن سنان ببناء سور إشبيلية سـنة (٢٣٤هـ) من حجارة سورها القديم، كما استعملت بعض هذه الحجارة في بناء مسجد إشـبيلية الجامع[٣]، وتمّ تزيين الأسوار بالطراز الإسلاميّ، وقد كان لهذا السور دور في إحدى الهجمات النورماندية في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، فضلاً عن ذلك فقد كان لازدياد عدد السكان والازدهار التجاري، واختلاط العرب والبربر مع السكان الأصليين للبلاد (الإسبان) كبير الأثـر في الحاجة إلى توفير مداخل للمدينة؛ لتحكم جميع نشـاطات الحيـاة الزراعيّـة والاقتصـاديّة والسياسيّة، فكان باب حميدة الغربي، وباب قرمونة الشرقي[٤].

الأبراج والقلاع:

تقام الأبراج بين مسافة وأخرى، وتكون أكثر ارتفاعًا من القلاع بحيث تبرز إلى خارج المدينة، وتأخذ أغلبها شكل المربّع، كما هي الحال في أبراج سور إشبيلية. وقد استخدمت أشكال عدّة للأبراج، منها المسدّسة، وكان يفضل البرج المستدير لسهولة الانتقال في أركانه[٥].

وتتألف الأبراج من ثلاثة أدوار، تقسمهما عقود نصف دائرية إلى أجواز تتـوالى بـين مربعة ومستطيلة، وتحيط بها قباب، وتعلوا الشرفة السفلى الطبقة الوسطى، وبداخلها درج يدور في هيئة مسدّس[٦].

كان الهدف من بناء الأبراج في مدينة إشبيلية تعزيز دفاعتها وأسوارها الخارجية أمام الطامعين.

---

[١] سالم، مساجد، ص١٥٧.

[٢] سالم، في تاريخ، ص٢٣٢، انظر سالم، عبدالعزيز، أضواء على مشكلة تأريخ بناء أسوار إشبيلية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٩٧٤م، ص١٣٤، سيشار إليه في ما بعد: سالم، أضواء.

[٣] ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٧٨.

[٤] Jacinto B, historia,p٣٥

[٥] سالم، المساجد، ص١٦٠-١٦١.

[٦] بالباس، ليوبولد، الفن الموحدي والمرابطي، مترجم سيد غازي، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ص٩٣، سيشار إليه في ما بعد: بالباس، الفن.

القضاء:

١) القاضي معاوية بن صالح:

هو معاوية بن صالح الحضرميّ الحمصيّ، من أهل الشام من حمص، كان من أول القادمين إلى الأندلس سنة (١٢٣هـ) قبل دخول عبد الرحمن الداخل إليها[١]، وعندما تمّت البيعة لعبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨هـ أرسل معاوية ابنَ صالح إلى الشام حتى يأتيه بأخته أم أصبغ[٢].

سكن مدينة مالقة، وبنى فيها مسجدًا منسوبًا إليه حتى الآن، ثمّ رحل إلى إشبيلية فاستوطن فيها، ويعدّ من القضاة المتقدّمين، وقد عيّنه الأمير عبد الرحمن الداخل على قضاء قرطبة والصلاة، وكان من جلة أهل العلم وكبار رواة الحديث؛ كونه شارك مالك بن أنس في بعض رجاله، كيحيى بن سعيد[٣]، وأخذ عن أئمة أمثال: سفيان الثوري، والليث بن سعد، وابن عينية، وكان يستعان بعقله وعلمه وخاصّة المسائل المعقدة[٤].

كان زيد بن حباب ممّن رحل إليه إلى الأندلس قادمًا من الكوفة لسماع الحديث النبوي الشريف منه[٥]، وكان يقيم الليل بالصلاة، وإذا استيقظ في الصباح لبس قباءه وسلاحه وانضمّ إلى صفوف القتال، وشارك مع الأمير عبد الرحمن الداخل في غزوة سرقسطة[٦].

٢) إبراهيم بن شجرة:

هو إبراهيم بن شجرة البلوي، عيّنه الأمير عبد الرحمن الداخل على قضاء إشبيلية في شعبان سنة (١٤٩هـ/٧٦٦م)، وجمعت له الصلاة مع القضاء، مكث في منصبه تسع سنين وخمسة أشهر، وتوفي سنة (١٥٨هـ/٧٧٥م) [٧].

٣) عبد الله بن الأشعث:

يعدّ من الفقهاء، استقضاه الأمير هشام بن عبد الرحمن على إشبيلية في صفر سنة (١٧٣هـ/٧٨٩م)، وبقي قاضيًا حتى نهاية دولته، وعندما جاء الأمير الحكم بن هشام أبقاه في

---

(١) خلاف، محمد عبد الوهاب، تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن ٥هـ/١١م، المؤسسة العربية الحديثة، ط١، مصر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص١٧٤، سيشار إليه في ما بعد: خلاف، تاريخ القضاة.

(٢) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، (ت ٧٩٢هـ-١٤٠٦م)المرقبة للعليا في من يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص٤٣، سيشار إليه في ما بعد: النباهي، المرقبة.

(٣) النباهي، المرقبة، ص٤٣.

(٤) خلاف، تاريخ القضاء، ص٣٣.

(٥) النباهي، المرقبة، ص٤٣.

(٦) الخشني أبو عبد الله بن محمد بن حارث بن اسد القيرواني، (ت٣٦١هـ/٩٧٠م)، قضاة قرطبة، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٧، سيشار إليه فيما بعد، الخشني، قضاة قرطبة، انظر خلاف، تاريخ القضاء، ص٣٣.

(٧) ابن الأبار، التكملة، ص١٣٠، انظر خلاف، تاريخ القضاء، ص٣٣.

منصبه حتى سنة (١٨٢هـ/٧٩٨م)؛ لأنه استأذنه للحج، وكانت ولايته تسع سنين وثلاثة أشهر[(١)].

٤) القاضي عبد الله بن عمر:

من أهل إشبيلية، وهو من المسالمة، ويعدّ من أهل العلم وبلاغة اللسان، سمع من: العُتبي، وأحمد بن بقيّ بن مخلد، وابن وضّاح[(٢)]، وقتل سنة ست وسبعين ومائتين(٢٧٦هـ) على إثر الفتنة في إشبيلية بين العرب والموالي[(٣)].

٥) الألهاني:

هو يحيى بن محمد بن عمران بن منير بن عبيد

بن أليف الألهاني[(٤)]، أصله من إشبيلية، وكان يسكن حارة من أطراف الحاضرة تعرف بمفرانة[(٥)]، كان حالمًا ورعًا زاهدًا فاضلاً مقبلاً على إصلاح شؤون ضيعه، وكان فقيه مدينة إشبيلية[(٦)]، إذا استصعب عليه أمر في القضاء كان يسأل أصبغ بن الفرج ويكتب إليه وهو في مصر، وقد طلبه عبد الرحمن الثاني على قرطبة، وقلده منصب قضاء الجماعة فيها، وكانت رحلة إلى المشرق، ولقي فيها أشهب بن عبد العزيز وسمع منه، ويعدّ من خيرة القضاة في حُسن سيرته، وصلابة رأيه، وإنفاذ الحقّ على من توّجه عليه[(٧)].

وكان بين الألهاني ويحيى عداوة سعى بها يحيى إلى عزل الألهاني عن منصبه ودسّ له الشهود والدلائل من أهل العلم والعدل على تصرفات قبيحة نسبت إليه أمام الوزراء، وأخذالأمير عبد الرحمن الثاني يتحقق من ذلك بأن أرسل التجار ليسألوا عن الألهاني فتشابهة الشهادات مع أقوال التجار، فعزل الألهاني عن منصبه[(٨)].

رحل يحيى الألهاني إلى رأس مسقطه، وتوفى فيها، وقبل أن يتوفاه الله طلب من موالٍ له أن يذهب إلى قرطبة وأن يلتقي بيحيى بن يحيى ويقرأ عليه: "وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون"[(٩)] ، فبلغ ذلك يحيى وقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أظن الرجل إلا خُدعنا فيه".

٦) القاضي علاء التميمي:

---

(١) خلاف، تاريخ القضاء، ص٣٧.
(٢) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص٣٥٥.
(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤١٦، انظر الضبي، بغية الملتمس، ص٣٤٧.
(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص١٩، انظر .النباهي، المرقبة، ص٤٤.
(٥) الخشني، قضاة قرطبة، ص٤٥، انظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص١٩٠.
(٦) الخشني، قضاة قرطبة، ص٤٥، انظر خلاف، تاريخ القضاء، ص١٧.
(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص١٩٠.
(٨) الخشني، قضاة قرطبة، ص٤٧.
(٩) النباهي، المرقبة، ص٤٥.

هو علاء بن تميم بن علاء بن عاصم التميمي، أصله من "إستجه"، وهو من ساكني مدينة إشبيلية، وقد كان يخلف صهيب بن منيع القضاء، سمع من: أبيه، ومن أبي شيبية الإشبيلي، توفي سنة (٢٠٧هـ) [١].

٧) داود القيسي:

هو داود بن عبد الله القيسي، من أهل إشبيلية، سُمع منه الموطأ وكثيرًا من علم مالك والليث، كان كثير الترحال، وقد لقي في إحدى رحلاته يحيى بن عبد الله بن بكير، وكان من أهل العلم، وقد رشح لقضاء الجماعة في قرطبة، توفي في أواخر أيام الأمير محمد حوالي (٢٧٥هـ) [٢].

٨) القاضي محمد بن جنادة:

يكنى أبا عبد الله، وهو محمد بن جنادة بن عبد الله بن أبي جنادة يزيد بن عمرو الألهاني، من أهل إشبيلية، أخذ عن يحيى بن يحيى، وعثمان بن أيوب، وهم من شيوخ قرطبة، وسمع من شيوخ مصر، ومنهم: سلمة بن شبيب، وأبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح صاحب أبيه، ويونس بن عبد الأعلى، رحل إليه من أهل قرطبة للسماع منه: محمد بن قاسم، وقد أثنى عليه ويعدّ ثقة، وقد ولاه إبراهيم بن حجاج قضاء إشبيلية إلى أن توفي سنة (٢٩٦هـ)[٣].

٩) صهيب بن منيع:

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، سمع من بقي بن مجلد كثيرًا، ومن محمد بن وضاح، وإبراهيم بن قاسم بن حلال، ومن مطرف بن قيس، وعبد الله بن مرّة، ولي القضاء على إشبيلية أيام الأمير عبد الرحمن بن محمد، توفي يوم الأربعاء في رجب من سنة (٣١٨هـ)[٤].

كانت مدينة إشبيلية أكبر مدن الأندلس، بل أهمّها لكونها العاصمة الأولى للفاتحين العرب، وقد جعلتها هذه الأهميّة إحدى أهم المراكز الثقافية الحضارية، كما جعلتها في مقدّمة المدن، وأدّت دورها في جذب العلماء وطلاب العلم من كلّ أرجاء المشرق والمغرب الإسلامي، وإنّ المعلومات المتوافرة لدينا في هذا المجال معلومات موجزة جدًّا لا تغدو أن تكون إشارات متناثرة في صفحات متباعدة، وسبب ذلك اهتمام المصادر أساسًا بأخبار الثورات ضدّ أمراء بني أمية في الأندلس عامة وفي إشبيلية خاصّة، فضلاً عن الأخبار السياسية، ممّا شكل صعوبة كبيرة

---

[١] ابن، الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص٣٧٢.
[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٠.
[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣-٢٤.
[٤] ابن، الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ٢٣٨.

في الحصول على المعلومات تكتمل معَها صورة هذه المدينة العظيمة. ومن أجل إعطاء فكـــرة عن الحياة الفكرية، كان لا بدّ من التعرف إلى علمائها من فقهاء ومحدثين وشيوخ، ومنهم:

١) أحمد بن يحيى بن حبيب الإشبيلي:

هو والد محمد بن يحيى الإشبيلي، وكان متصوّفًا وزاهدًا، توفي سنة (٢٨٢هـ) [١].

٢) عُمر بن يوسف:

هو عمر بن يوسف بن عمرو بن عيسى، يكنى أبا حفص، أصله من إشبيلية، سمع من يحيى بن عمر ومن غيره ومن عبد الله بن محمد الثغري، أمّا في مصر فقد سمع من محمد بـــن عبد الله بن الحكم، وإبراهيم بن مرزوق ، ومحمد بن عُزير الأيَلِيّ، رحل مـــن القيـــروان إلـــى سوسة وتوفي فيها سنة تسعين ومائتين للهجرة (٢٩٠هـ)، وكان عمر رجلاً صالحًا، ضـــابطًا لكتبه[٢].

٣) نُعيم بن محمد بن نعيم الحجري:

أصله من إشبيلية، وهو من ساكني إستجة، يكنى أبا العباس، كان فقيهًا، حافظًا للمسائل، وعاقدًا للوثائق، توفي سنة (٣٠٠) [٣].

٤) غانم بن الحسن الرعيني:

من أهل إشبيلية، سمع من يحيى بن بُكير، بنى مسجدًا عرف باسمه، وكان فاضلاً عابدًا بصيرًا بالآثار، ومن أهل الفتية، توفي في آواخر أيام الأمير عبد الله قرابة سنة (٣٠٠هـ) [٤].

٥) ابن القون:

هو محمد بن عبد الله بن محمد الحولاني، يكنى أبا عبد الله، أصله من باجـــة، ورحـــل عنها إلى إشبيلية واستقرّ فيها، كان رجلاً صالحًا، ورعًا، ثقة، سمع بقرطبة من جماعة يحيى بن إبراهيم بن مزين، ومن محمد بن أحمد العتبي، وإبان بن عيسى بن دينار، رحـــل عنهـــا إلـــى المشرق (مكة) سنة (٢٦٦هـ)، وسمع هناك من علي بن عبد العزيز، ومحمد بـــن إســـماعيل الصائغ، أمّا في مصر فسمع عن محمد بن عبد الله الحكم وأخيه سعد ، وسمع منه خالد بن سعيد من قرطبة، وأثنى عليه محمد بن عمر بن لُبابة، توفي سنة (٣٠٨هـ) [٥].

٦) حسن بن عبد الله الزبيدي:

[١] المصدر نفسه، ج١، ص٣٦.
[٢] المصدر نفسه،ج٢، ص٣٦٥.
[٣] المصدر نفسه،ج٢، ص١٥٦.
[٤] ابن، الفرضي، تاريخ العلماء، ج٢، ص٣٨٨.
[٥] المصدر نفسه،ج٢، ص٣٢.

يكنى أبا القاسم، هو حسن بن عبد الله بن منجم بن محمد بن عبد الله بن بشير بن أبـــي ضمرة بن ربيعة بن منجم الزبيدي، كان شيخًا طاهرًا، ولم يكفّ له بصر بالحديث، بل كان من رواية كتب التعديل والجرح، سمع بإشبيلية من محمد بن جُنادة، وبقرطبة من طاهر بـــن عبـــد العزيز، وعبيد الله بن يحيى، رحل إلى مكة وسمع من عبد الله بن علي بن الجارود، ومن ابـــن القَمري، وإبراهيم بن سعيد الحذاء ومحمد بن حميد الجرجـــاني، تـــوفي فـــي رمضـــان ســـنة (٣١٨هـ) (١).

٧) **سعيد بن جابر**:

هو سعيد بن جابر بن موسى الكلاعي، يكنى أبا عثمان، من أهل إشبيلية، سمع فيها من محمد بن جُنادة، وبقرطبة من عبيد الله بن يحيى، وطاهر بن عبد العزيز، رحل إلـــى المشـــرق فلقي أحمد بن شعيب السبّئ، وكتب كثيرًا من مضافته، وكتب عن أبي بكر بن الإمام، وعلي بن سعيد الرازي، وأبي يعقوب المنجنيقيّ، وأبي بشر الدولابيّ، وإبراهيم بن موسى بـــن جُميـــل، وعلي بن سليمان الأخفشي النحوي، ويُموت بن المروع، وسمع منه محمد بن عمر بـــن عبـــد العزيز، وعبد الله بن محمد بن علي، وأحمد بن عُبادة، ومحمد بن إسحق بـــن الســـليم، وعبـــد الرحمن بن أحمد بن بقي، ومحمد بن عمر بن عبد العزيز، وعبد الواحد من قرطبة، وكان خالد بن سعيد في إشبيلية الذي سمع منه ينسبه إلى الكذب ولم يذكره في كتابه مناقب الناس ومحاسنهم، أمّا أبو محمد عبد الله بن محمد الباجي فقد ذكر أنه كان يشرب النبيذ، وأمّا محمد بن القاسم فقد كان يثني عليه وأنه كان يرافقنا عند النساني ووصفه بالصدق، وقد اختلف في ســـنة وفاته؛ إذ أخبر الباجي أنه توفي سنة خمس وعشرين وثلاث مائة (٣٢٥هـ)، وأمّا محمـــد بـــن أحمد فيذكر أنه توفي سنة سبع وعشرين وثلاث مائة (٣٢٧هـ) (٢).

٨) **عباس بن محمد السليحيَ**:

هو عباس بن محمد بن عبد العظيم الطالقي السليحي، يكنى أبا القاسم، من مدينة إشبيلية، سمع من محمد بن جُنادة من إشبيلية، ومن بقي بن مجلد، وعبيد الله بن يحيى بقرطبة، ورحـــل إلى القيروان فسمع بها من محمد بن علي النحلي، أثنى عليه محمد بن هشام الإشبيلي، عـــرف بدينه وفضله، كان يتولى الأوقاف مع محمد بن أبي شيبة بعد موت صهيب بن منيع القاضـــي، توفي سنة (٣٢٩هـ) (٣).

٩) **حباب بن زكريا**:

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص١٢٨-١٢٩.
(٢) ابن، الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص١٩٨.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٢.

يكنى أبا القاسم، أصله من إشبيلية، هو من سكان بطيلوس، رحل عنها عند إثارة الفتن بها قاصدًا العاصمة قرطبة، سمع من شيوخ قرطبة، وقد كان من أهل الفكاهة والدعابة والذكاء، وكان من أهل الإفتاء، توفي ببطليوس سنة (٣٣١هـ) [١].

١٠) عبد السلام اللخمي:

هو عبد السلام بن يزيد بن غياث اللخمي، يكنى أبا الأصبع، من أهل إشبيلية، سمع بإشبيلية من سعد بن جابر، وسمع بقرطبة من أحمد بن خالد، وابن أيمن وقاسم بن أصبع، أمّا عن مدينة إلبيرة التي رحل إليها فقد سمع من محمد بن قضيي كثيرًا، ثمّ رحل إلى المشرق (مكة) فسمع هناك من أبي سعيد بن الأعرابي، وابن فراس، وبعدها تردّد في مكة أعوامًا في كتابة الحديث، ثمّ اتجه إلى اليمن والتقى بملوكها، ومنهم: القاسم بن الحسن، وابن زيد، وامتدحهم بشعره فأكرموه، توفي قبل الخمسين وثلاث مائة في اليمن[٢].

١١) محمد بن إبراهيم الحضرمي:

من أهل إشبيلية، يعرف بالشرقي، يكنى أبا عبد الله، كان عالمًا بالقرآن الكريم، عرف بتصوّفه، وكان كثير العبادة، وهو والد إبراهيم بن محمد صاحب الصلاة، توفي في قرطبة سنة (٣٥٥هـ) [٣].

١٢) إبراهيم بن عبيد الله:

هو إبراهيم بن عبيد الله المعافري، يكنى أبا إسحق، من أهل إشبيلية، سمع من أحمد بن خالد، ومحمد بن قطيس الإبيري، وأحمد بن بشر بن الأعبس، كان من رواة الحديث، إضافة إلى أنه كان حافظًا للغة وبصيرًا بالشعر وكان مطبوعًا فيه، رحل عن حاضرة إشبيلية وسكن في بادية غربها، وتوفي هناك سنة (٣٦٢هـ)[٤].

١٣) ابن الحزاز:

هو أحمد بن محمد بن أحمد، يكنى أبا عُمر، من أهل إشبيلية، سمع من سعيد بن فحلون اليماني، وأحمد بن سعيد، ووهب بن مرّة، كان زاهدًا فاضلاً، وأثنى على زهده أبو محمد الباجي، توفي سنة (٣٧٣هـ)[٥].

١٤) محمد بن عبد الله:

---

[١] المصدر نفسه، ج١، ص١٢٦.
[٢] ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص٣٣٠.
[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٦٩-٧٠.
[٤] الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ - ٩٨٩م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مصر، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ص٣٣٣، سيشار إليه في ما بعد: الزبيدي، طبقات، ابن القرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص٢٦-٢٧، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٧٦
[٥] ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص٦٥-٦٦.

يكنى أبا القاسم، هو محمد بن عبد الله بن أبي شيبة، من أهل إشبيلية، أخذ الحديث عن عمّه علي بن أبي شيبة، كان من فقهاء إشبيلة، توفي سنة (٣٧٤هـ)[١].

١٥) محمد بن عبد الله بن الأشعث:

هو محمد بن عبد الله بن الأشعث القرشي، من أهل إشبيلية، يكنى أبا عبد الله، كان من أهل الفتية، وقد شارك علي بن أبي شيبة في الإفتاء وعقد الوثائق، وقد ذكره محمد بن عمر بن عبد العزيز أنه كان شيخًا حافظًا للأخبار، ولم يقيّد له وفاة، لكنه على الأرجح توفي قبل (٣٧٠هـ)[٢].

١٦) أسد بن حارث:

هو من موالي خولان، من أهل إشبيلية، رحل إلى المشرق ولقي فيها يحيى بن بُكير، وأصبغ بن الفرج، وكان زاهدًا وفاضلاً، كما كان مفتيًا[٣].

١٧) عمير بن عمير:

يكنى أبا القاسم، من أهل إشبيلية، سمع من إبراهيم بن موسى بن جميل، روى عنه محمد بن عبد الله بن القون، ولم يذكر شيئًا عن وفاته، لكنه على الأرجح قد توفي قبل (٣٠٨هـ)؛ لأن الذي روى عنه ابن القوت المتوفي (٣٠٨هـ)[٤].

١٨) عثمّان بن أصبع:

يعرف بالطماطي، من أهل إشبيلية، سمع من محمد بن محمد بن عبد الله بن القون، لم يذكر له وفاة، وعلى الأرجح أنه توفي بعد (٣٠٨هـ)؛ لأنه سمع من ابن القون المتوفي سنة (٣٠٨هـ)[٥].

١٩) قاسم بن أصبغ الحجري:

يكنى أبا محمد، من أهل إشبيلية، رحل إلى المشرق للحجّ والتجارة، سمع ببغداد من أبي محمد محمود بن محمد المَرْوزيّ، ومن أبي سعيد الحسن بن علي العدوي، وسمع منه أبو محمد الباجي، وأحمد بن عبادة، وقد كان محمد بن القاسم رفيقًا له في سفره[٦].

١٩) سعيد بن سيد:

---

[١] المصدر نفسه، ج٢، ص٨٨.
[٢] ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج٢، ص٥١.
[٣] المصدر نفسه، ج١، ص٩٠.
[٤] المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٦.
[٥] ابن، الفرضي، تاريخ العلماء،ج١، ص٣٥٠.
[٦] المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٥.

يكنى أبا عثمان، هو سعيد بن سيد الحاطبي الشرفي الإشبيلي، من شرق إشبيلية، روى عنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي، وأخذ منه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النمري الحافظ(١).

٢٠) خلف بن سعيد بن أحمد:

يعرف بابن المنفوخ، يعدّ من فقهاء إشبيلية، أخذ عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي، وروى عنه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النمري الحافظ(٢).

الحركة الأدبيّة (الشعر):

انشغل المسلمون الفاتحون بتوطين أنفسهم في تلك الأرض البعيدة في أول الأمر، ولم تتيسر بهم الحال بسبب النزاعات والصراعات بين القبائل العربية هناك، كما لم تكن حضارتهم قد ترسخت بعدُ، حتى إنه لم ترد إشارات عن أي معالم حضارية خاصّة بشعراء إشبيلية، أو ممّن قصد من الشعراء العاصمة الأولى (إشبيلية).

وقد شهدت الأندلس في أوائل عهد تأسيس الإمارة (١٣٨هـ/٧٥٥م) نشاطًا فكريًّا وعلميًّا محدودًا، اقتصر على بعض المعارف الدينية والعربية، إلا أنّ عهد الاستقرار السياسيّ والاقتصاديّ زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٣-٨٥٥م) شهد نهضةً ثقافيةً كبيرةً في مختلف العلوم والمعارف، فأصبحت إشبيلية إحدى مراكز الثقافة في الأندلس.

وقد واكب الشعر آنذاك النهضة الثقافيّة بوصفه واحدًا من أهمّ روافدها، وبوصفه نبضًا لحياتها، إلا أنّ ما بين أيدينا من معلومات عن الشعر والشعراء لا يكشف إلا القليل من تلك النهضة الواسعة كما ظهرت في بطون المصادر المتعددة، ولعلّ أكثر الشعر المتصل بالحياة الثقافية الأندلسية في العصر الأموي قد ضاع في جملة ما ضاع من مؤلفات ذلك العصر. وقد كان من الفقهاء والقضاة والأدباء وأهل السياسة شعراء مشهورون، وحتى الجواري؛ ففي عهد الأمير عبد الله كان إبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية، ذا شخصية واسعة النفوذ، حتى حاول الاستقلال عن الدولة، وأصبحت تلك المدينة تنافس العاصمة قرطبة في اجتذاب الغرباء، الذين من بينهم(٣):

١) قمر البغداديّة:

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٥٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٣.
(٣) ابن حيّان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطونيا، ص١١-١٢.

تعدّ من الداخلات إلى الأندلس من المشرق، وقد جلبت من بغداد إلى صاحب إشبيلية إبراهيم بن حجاج، وكانت جميلة الوجه رقيق، ذكية، ومن أهل الفصاحة والبيان، وحافظة للأدب والشعر، تقوله على سجيتها[١]، ومن شعرها في مدح صاحب إشبيلية:

ما في المغارب من كريم يُرْتجى   إلا حليفِ الجوادِ إبـراهيم
إني حللْـتُ لديـه مـنزلَ نعمةٍ   كلُ المنازلِ ما عداهُ ذَميم[٢]

٢) الشاعر ابن عبد ربّه:

يكنى أبا عمر، وقيل أبا عمرو، وهو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، من الموالين للأمويين؛ إذ كان جده سالم مولى للأمير هاشم بن عبد الرحمن الداخل. ولد ابن عبد ربه في العاصمة قرطبة، ونشأ فيها ودرس على يد شيوخها في جامع قرطبة الكبير، ولم يكن من أسرة عريقة في الأندلس؛ إذ كان من صنع نفسه، عُرِفَ بسعة الاطلاع في العلم والرواية، وبشعره، ومن أشهر مؤلفاته كتاب العقد الفريد، الذي يقيد الأخبار والأنساب والأمثال والشعر والعروض والموسيقا، كان من بين الشعراء الذين قصدوا إبراهيم بن حجاج في مدينة إشبيلية وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين[٣].

٣) القلفاط:

هو محمد بن يحيى بن زكريا، يكنى أبو عبد الله ولقبه قلفاط، كان بارعًا في علم العربية، حافظًا لها، وكان من الشعراء المطبوعين، وقد قصد كثيرًا من أصحاب الجاه والسلطان، فأقام عندهم طويلاً، وأكرم من قبلهم[٤].

قصد الشاعر القرطبي (قلفاط) إبراهيم بن حجاج، ومدحه بقصيدته النونية ومن أبياتها:

أرَقَتْ رحلي فأهمْتْ جفُونا هجا   منها عشيرته أهل قرطبة ولحد[٥]

وتضمّنت هذه القصيدة هجاء أهل بلدته قرطبة، فأحسّ إبراهيم بعدم الارتياح لهذا الشاعر، فصرفه عنه من غير إكرامه، فعاد إلى قرطبة غاضبًا فهجا صاحبها إبراهيم بقصيدة منها:

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٤٠.

(٢) قجة، محطات، ص٩٣.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص١٧، انظر ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص٨٧، انظر الحميدي، حذورة المقتبس، ص١٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص١٢٧-١٢٨، العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، ص٣٦٨، سيشار إليه في ما بعد: العبادي، في التاريخ العباسي.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٩١.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: ملشور أنطوانيا، ص١٢،١٣، انظر طه، عبد الواحد ذنون، موارد تاريخ ابن عذاري عن الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر الطوائف، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد٣٧، ج٤، ١٩٨٦م، ص٣٣٤-٣٣٥، سيشار إليه في ما بعد: طه، موارد تاريخ ابن عذاري عن الأندلس.

لا تنكري للبينِ طولَ بكائي

أبغى نوالَ الأكرمين معًا ولا   أبغى نوالَ البومَةِ البكماء

يتبيّن من تلك الأبيات أنّ القلفاط قد امتدح إبراهيم بقصيده، ولم يعترف له بجميل المعروف، بل تنكر له وطرده ولم يعطه المال.

ووصلت هذه القصيدة إلى مسامع ابن حجاج فاشتدّ غضبه، وهدد القلفاط بالقتل إن لم يكف عن ذلك، فخاف القلفاط وسكت عن الهجاء، وشكر الناس إبراهيم لكثرة ما كان يؤذيهم القلفاط بالهجاء(١).

ولم يسلم من شعره الشعراء حتى أصدقاؤه منهم، وكان من بينهم ابن عبد ربه، فهجاه بقصيدة، منها:

ياعِدْسَ أصمد إن مزمعٌ سَفرا   فودعينيَ سَرًا من أبي عُمرا(٢)

الحركة اللغويّة:

تأخرت ولادة الحياة اللغويّة في الأندلس، فكان عهد الولاة بعيد الاهتمام بالحركة اللغوية، والسبب في ذلك يعود إلى الوضع الطبيعي للفتح والاستقرار، وانشغال المسلمين بالفتن والنزاعات، وكان هناك أجناس مختلفة من السكان، فمنهم العرب والبربر واليهود والسكان الأصليون، كل منهم يتحدث بلغته الخاصة به، لكنّ هذه الأجناس استطاعت في عهود الدولة الأموية في الأندلس أن تتفاهم في ما بينها، وأصبحت اللغة العربية هي البنية الجامعة لأهل الأندلس.

وممّا يجدر ذكره أنّ هناك مجموعة من العوامل التي أسهمت في تطور الحركة اللغوية في عهد الإمارة، ومنها:

١) هجرة الأندلسيين للأخذ عن علماء اللغة من المشرق، والسعي إلى لقائهم.

٢) هجرة بعض المشارقة من علماء اللغة إلى الأندلس.

٣) نزوح الكتل المشرقية إلى بلاد الأندلس.

٤) حرص بعض أمراء الأندلس على الاهتمام بتطور الحياة الثقافية(٣).

وقد استطاع الأندلس أن يواكب النهضة اللغويّة، وأن يكون له نصيب واضح في الجهود العلمية عامة، فبرز من علمائها جماعة كان لهم دور في سموّ الحركة اللغوية، ومنهم:

١) علي بن حسن:

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٧٦.
(٢) الزبيدي، طبقات، ص٣٠١-٣٠٢.
(٣) مطلق، الحركة اللغوية، ص٤٥.

من أهل بطليوس، يعرف بابن شوقة، أصله من إشبيلية، وكان كثير العلم، منصرفًا في الأدب والظرف، سمع بقرطبة من شيوخ وقته في وقته، وكان موثقًا، بنى مسجد ببطليوس، وهو منسوب إليه اليوم، وانصرف إلى إشبيلية، ومات فيها في أول أيام أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد[١].

٢) محمد بن سيد:

محمد بن أحمد بن سيد بن عمرو بن حبيب بن عُمير، من أهل إشبيلية، أخذ عن محمد بن عبد الله بن الغازي وغيرهما من العلماء، وكان نحويًّا، لغويًّا، شاعرًا مطبوعًا، توفي سنة (٣٠٠هـ)[٢].

٣) أبو عمرو بن حجاج:

هو قاسم بن محمد بن حجاج بن حبيب بن عمير، يكنى أبا عمرو، من حاضرة إشبيلية، وأخذ عن يزيد بن طلحة ومحمد بن عبد الله الغازي، ونظرائهم من العلماء، كان من أهل العلم بالنحو واللغة، وحافظًا لأيام العرب، كما كان متقدّمًا في علم العروض وعلم النحو، ذكره محمد بن حسن، توفي في إشبيلية[٣].

٤) أحمد بن يوسف بن عمير:

يكنى: أبا عُمر، وهو أحمد بن يوسف بن حجاج بن عُمير بن حبيب بن عُمير، من مدينة إشبيلية، كان حافظًا للنحو مدققًا له، وغيره من علوم اللغة من العروض، وشاعرًا، توفي سنة ست وثلاث مائة للهجرة[٤].

٥) يزيد العبسي:

هو يزيد بن طلحة العبسي، يكنى أبا خالد، من أهل إشبيلية، كان عالمًا باللغة، والنحو، والشعر، والبلاغة، والخطابة، مشهورًا بالفصاحة، سمع من محمد بن أحمد العُتيبي، ويحيى بن إبراهيم بن مزين، ومحمد بن عبد السلام الخشني، ومحمد بن عبد الله الغازي، أثنى عليه أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي، ولم يذكر له تاريخ وفاة[٥].

٦) ابن القوطيّة:

محمد بن عُمَر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز، المعروف: بابن القُوطيّة: من أهل قُرْطُبَة، أصله من إشْبيلِيَّة، يُكَنَّى: أبا بكر.

---

[١] ابن الفرضي، تاريخ العلماء،ج١، ص١٥٥.
[٢] الزبيدي، طبقات، ص٣١٤، انظر ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج٢، ص٢٦.
[٣] الزبيدي، طبقات، ص٣١٢-٣١٤، انظر ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ص٤٠٥.
[٤] ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص٤٦.
[٥] المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٥.

سَمِعَ بإشْبيليَّة من محمد بن عبد الله بن القون، وحسن بن عبد الله الزبيري، وسعيد بن جابر، وعلي بن أبي شيبة، وسَيّد أبيه الزّاهد. وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز، وابن أبي الوليد الأعرج، ومحمد بن عبد الوهاب بن مغيث، ومحمد بن عمر بن لُبابَة، وعمر بن حفص بن أبي تمام، وأسْلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، ومحمد بن مِشْوَر، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، و عبد الله بن يونس، وأحمد بن بشر الأغبس، وقاسم بن أصبغ وغيرهم من نظرائهم.

وكان عالمًا بالنحو، حافظًا للغة، متقدّمًا فيها على أهل عصره لا يشقّ غباره، ولا يلحق شأوه، وله في هذا الفن مؤلفات حسان، منها: كتاب تصاريف الأفعال، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك. وكان حافظًا لأخبار الأندلس، ملمًّا برواية سِير أمرائها، وأحوال فقهائها وشعرائها، يملي ذلك عن ظهر قلب.

وكانت كتب اللغة أكثر ما تُقرأ عليه، وتؤخذ عنه، ولم يكن بالضَّابط لرواية في الحديث والفقه، ولا كانت له أصول يرجع فيها، وكان ما يُسْمَع عليه من ذلك إنما يُحمل على المعنى لا على اللفظ، وكثيرًا ما كان يقرأ عليه ما لا رواية له فيه على جهة التصحيح.

وطال عمره فسَمع الناس منه طبقة بعد طبقة. روى عنه جماعة من الشيوخ والكهول ممّن ولي القضاء، وقدم إلى الشورى، وتصرّف في الخطط من أبناء الملوك وغيرهم، اختلفتُ

إليه أيام نظري في العربية في سماع الكامل لمحمد بن يزيد المبرّد، وكان يرويه عن سعيد بن جابر فشهدت منه مجالس. وتوفي - رحمه الله - قبل فراغنا منه، وكانت وفاته يوم الثلاثاء في عقب ربيع الأول لسبع بقين منه سنة سبع وستين وثلاث مائة، ودفن يوم الأربعاء لصلاة العصر بمقبرة قُرَيْش، وصلى عليه أبو جعفر بن عَوْن الله، وكان قد أوصى بذلك(١).

٧) ابن وقاص الفرش:

هو أبو عبيدة وقاص، من أهل مورور، ورحل وسكن إشبيلية، وكان على علم باللغة، ومن ذوي الفصاحة، وكان شاعرًا مطبوعًا، غزير القول(٢).

٨) الروكي:

يكنى أبا محمد، وهو عبد الله بن مؤمن بن عذافر التجيبي، عالمًا بالنحو، والشعر، والعروض، حافظًا للقرآن، كثير التلاوة له، كان من ساكني إشبيلية(٣).

٩) المقصور:

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج١، ص٢٠٤.
(٢) الزبيدي، طبقات، ص٣٠٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٣١٦.

هو بهلول بن اليسع الخشعي، من ساكني إشبيلية، يُعرف بالمقصور، يكنى أبا بكر، وهو من أهل قرمونة من بني عبس، كان مؤدّبًا بالنحو والشعر، عُرف بحُسن خطه، وصالح شـعره، وكان مؤدّب بلبلة لبني أبي حامد، ولم يرحل عن إشبيلية حتى توفي[١].

١٠) الموزوري:

يكنى أبا عمرو، وهو عثمان بن عمرو، وكان مؤدّبًا بالعربيّة حاضرة إشبيلية، كما كان ذا وقار وسمعة طيبة، وكان له ولدان: أحدهما برع في علم الحساب، ورحـل إلـى المشـرق، وكان الآخر على علم بالأدب، وأدّب بعد أبيه[٢].

١١) الوراقي:

محمد بن حمدون الغافقي الوراق، يكنى أبا القاسم، أصله من مـورور، مـن سـاكني إشبيلية، ثمّ ارتحل عنها إلى العاصمة قرطبة، وعني بكتب اللغة، وحُسن الخط ضابطًا له، وأدّب بالعربية، وروى عن أحمد بن خالد بن بشر، وقاسم بن أصبغ، ولم يذكر له تاريخ وفاة[٣].

١٢) الحيطي:

يكنى أبا حفص، وهو عمرو بن يوسف، أصله من إشبيلية، كان عالمًا باللغة العربيـة، وعارفًا بمعاني الشعر، وحسن التكلم فيه، وهو ممّن تعصب للبحتري، وعرف بأنه من الشعراء المطبوعين، وامتدح أمير المؤمنين الناصر لدين الله بقصائدَ عدّة ، ورحل عـن موطنـه إلـى العاصمة قرطبة، حتى توفي فيها، وكان ذلك في سنة (٣٣٨هـ) [٤].

١٣) إدريس بن متيم:

كان نحويًّا، بصير المنطق، كثير المطالعة لكتب الأوائل، حاذقًا بعلم الحساب والتنجـيم، وإذا فوتح في أكثر الفنون برز علمه وفضله، وأصله من حاضرة إشبيلية، رحـل عنهـا إلـى قرطبة، وكان شاعرًا مطبوعًا، ومن شعره:

ومِنَ الجْور أنْ يكونَ زَماني ماضياً في حُكمهْ وهو خَصْمِي[٥]

١٤) البرشقندي:

هو عثمان بن إبراهيم، ويكنى أبا الأصبغ، كان عالمًا بالعربية والحساب ومؤدّبًا بهمـا، وبصيرًا بالتنجيم، وشعره صالح، كما عُرفَ بوقاره، وله مؤلفات بـالنحو، وهـو مـن سـكان إشبيلية[١].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣١٧.
(٢) الزبيدي، طبقات، ص٣١٨.
(٣) الزبيدي، طبقات، ص٣٢٩، انظر ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ص٧٧.
(٤) الزبيدي، طبقات، ص٣٣٠.
(٥) الزبيدي، طبقات ص٣٣٢.

١٥) بشر الأديب:

يعرف بالأصمّ، وهو من أهل إشبيلية، كان يقرأ العربية والأدب بدرب ابن مريم، وكان له مسجد بإشبيلية[٢].

١٦) حسين بن فتح:

يكنى أبا علي، وأصله من "تكور"، وسكن إشبيلية، قال عنه أبو محمد الباجي: كان حسين بن فتح مؤدّبًا بالقرآن، وبصيرًا بالنحو والعربية والشعر. سمع من أبي جعفر البغدادي، وحـــدث عنه أبو محمد الباجي، وأحمد بن عبادة الرعيني، وأثنى عليه خيرًا[٣].

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٣٤.
[٢] ابن الأبار، ص٢٢٥.
[٣] ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ص.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- إن التنافس والنزاعات بين المستقرين الأوائل من العرب وأكثرهم من اليمنيّة، والداخلين الجدد وهم من القيسيّة، كان أساسه قبليًّا، لكنه لم يكن السبب المباشر؛ إذ تبيّن من خلال البحث أنّ السبب الرئيس في هذه النزعات هو التنافس على الحكم في الأندلس.

٢- أفاد الأمير عبد الرحمن الداخل من تدهور الأوضاع في نهاية عصر الولاة بهدف الوصول إلى الحكم، وكان لموالي بني أميّة ولليمنيين الفضل الكبير في دخوله إلى الأندلس، ومساعدته في تأسيس الأموية الأمويّة سنة (١٣٨هـ - ٧٥٦م).

٣- استطاع الأمير عبد الرّحمن أن يجعل السلطة في يده، وأخضع مختلف فئات المجتمع لسلطته، ولم يحسن إلى من ساعده في الوصول إلى الحكم، بل أخضعهم وشدّد قبضته عليهم، ونتيجة لهذه السياسة ثار العرب ضدّه ثوراتٍ عدّة، كان أكبرها ثورات اليمنيّة.

٤- فشلت جميع الثورات التي قامت ضدّ عبد الرّحمن الداخل، ويرجع ذلك إلى عدم التعاون بينها، بالإضافة إلى سياسته الشديدة في إخضاعها المتمثلة في القسوة والغدر.

٥- تمكن عبد الرّحمن الأوسط من القضاء على هجمات النورمانديين، وأنشأ أسطولاً بحريًّا على سواحل إشبيليّة لمواجهة أيّ عدوان خارجيّ على البلاد.

٦- أسهم الموقع الجغرافيّ في جعل مدينة إشبيليّة الشريان المغذي للتجارة في البحر الأبيض؛ إذ أدّت الحركة التجاريّة والجواري دورًا في التبادل الحضاري بين المشرق والأندلس.

٧- كان العمل في التجارة من الأعمال التي أقبل عليها جميع فئات المجتمع من مسلمين ويهود ونصارى؛ لِما توفره من وسائل عيش رغيدة.

٨- بقيت علاقات الأندلس التجاريّة طوال عصر الإمارة منحصرة معَ العالم الإسلاميّ.

٩- كانت هناك أماكن مخصّصة لممارسة النشاط التجاريّ من بيع وشراء، وعرفت هذه الأماكن بالأسواق التي كانت تقام بالقرب من المسجد الجامع، وتنقسم قسمين: الأسواق الثابتة، والأسواق الجامعة، ومنها أسبوعيّة وموسميّة.

١٠- تمّ التعامل النقديّ في عصر الولاة بالدرهم الفضيّ والفلوس النحاسيّة؛ وضُرب الدينارُ الذهبيّ في عصر الخلافة.

١١- استقرّ المسلمون الفاتحون في المناطق الساحليّة الجنوبيّة الغربيّة (إشبيليّة)؛ لاعتدال مُناخها وخصوبة أرضها.

١٢- كان لتنوّع الأجناس السكانيّة، من: عرب، وبربر، وصقالبة، ويهود، ونصارى كبيرُ الأثر في التقدّم الحضاريّ المتمثل في العادات والتقاليد.

١٣- كان تأثير الثقافة العربيّة المشرقيّة يتسرّب إلى الأندلس على نحو قويّ عن طريقين: أولهما الوافدون إلى الأندلس من علماء المشرق، حاملين معهم ثروة ضخمة من التراث العربيّ، وكثير من أصول الحضارة المترفة والعادات الاجتماعيّة المشرقيّة في الطعام والشراب والملبس، وثانيهما الأندلسيون الذين كانوا يرحلون إلى المشرق طلبًا للعلم، ثمّ يعودون بما حصلوا عليه من ذلك، وبما أتيح لهم أن يمتلكوه من الكتب والأدب،خاصّة أنّ أمراء الأندلس والمستقلين عن سلطة قرطبة، أمثال إبراهيم بن حجاج استقبلوا هذه الوفود المشرقيّة والعائدين من رحلتهم المشرقيّة بكلّ ترحيب.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، (ت٦٥٨هـ /١٢٥٩م)، **التكملة لكتاب الصلة**، ط١،تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت،١٩٩٥م .
- ـــــــــــــ ،**الحلة السيراء**، ط١، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري الشيباني ،(ت٦٣٠هـ-١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، ط١، بيروت ، ١٩٦٧م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني، ت (٥٦٠هـ/١٢٧٢م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، دون طبعه،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،١٩٩٥م .
- ـــــــــــــ ،**المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**، دون طبعه،بريل، ليدن، ألمانيا.
- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)، **المسالك والممالك**،ط١، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).
- الأنصاري، ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٧٢٢هـ/١٣٢٦م)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة**، ط١،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٥م.
- ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، (ت ٥٤٢هـ -١١٤٧م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ط١،تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- ابن البصال، عبد الله، محمد بن إبراهيم، (عاش في القرن ٥هـ)، **كتاب الفلاحة**، ترجمة خوسي مارية مياس بيكروسا، تطوان، ١٩٥٥م.

- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد اللوائي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) **رحلة**،ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.
- البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧ هـ/ ١٠٩٣م)، **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**،دون طبعه، تحقيق: عبد الرحمن علي حجي، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨م.
- ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد المالقي، (ت٦٤٦هـ - ١٢٤٨م)، **الجامع لمفردات الأدوية**، ط١،مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠م.
- ابن الحجاج، أبو عمر أحمد بن حجاج، (عاش في القرن الخامس-١١م)، **المقنع في الفلاحة**، دون طبعه،تحقيق صلاح جزر وحباس أبو صفية، تدقيق وإشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت ٤٥٦هـ-١٠٦٣م)، **الرد على ابن النغريلة اليهودي**، ط٢،تحقيق: إحسان عباس، دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، **صورة الأرض**، دون طبعه، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د . ت).
- الحميدي، أبوعبد الله محمد بن فتوح الأزدري (ت٤٨٨هـ-١١٠٦م)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**،ط٣، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ - ١٣٢٦م)، **الروض المعطار**،ط١، تحقيق: إحسان عباس، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م.
- ابن حيان، **المقتبس في رجال الأندلس**، ط١،تحقيق انطونيه ملشور، بولس كنز الكتبي، باريس، ١٩٣٧م.

- ابن خرداذبة، هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد، (ت٢٨٠هـ/٨٩٩م)، **المسالك والممالك**، ط١،بيرل، ليدن، ١٩٦٧م.

- الخشني أبو عبد الله بن محمد بن حارث بن اسد القيرواني، (ت٣٦١هـ/٩٧٠م)، **قضاة قرطبة**، ط١،الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٦٦ هـ-٨٢٨م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط١، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م.

- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام**، ط٢،تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف بيروت،١٩٥٩م.

- ابن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، دون طبعه، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكاتب العربيّ، القاهرة، (د.ت).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، (ت ٨٠٨ هـ– ١٤٢٧م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط٢،المجلد السابع، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٢٠ – ١٩٩٩م.

- ابن دحية، أبي الخطاب عمر بن حسن، (ت٦٣٣هـ-١٢٤٩م)، **المطرب في أشعار أهل المغرب**، ط١،تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرين، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤م.

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢هـ/٨٩٥م)، **كتاب النبات**،دون طبعه ، تحقيق برنهارد لفين، بيروت، دار العلم، ١٩٧٤م.

- ابن الرامي، إبراهيم اللخمي، (ت ٧٣٤هـ/١٣٣٣م)، **الإعلان بأحكام البنيان**،ط١، تحقيق صالح بن عبد الرحمن الأخرم، السعودية،(د.ت).

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ - ٩٨٩م)، **طبقات النحويين واللغويين**، ط١،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مصر، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد بن محمد، (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، **أمثال العوام في الأندلس**، دون طبعه، دراسة محمد بن شرين، مطبعة محمد الخامس، فارس، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- الزهري، أبو عبد الله بن أبي بكر (ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م)، **الجغرافية**، ط٢،تحقيق محمد الحاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٨م.
- ابن سعيد علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ - ١٣٠١م)، **بسط الأرض في الطول والعرض**، دون طبعه،تحقيق خوان قرنيط خنيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٨م.
- ـــــــــــــــــــ ، **المغرب في حلى المغرب**، ط١، تحقيق: شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م.
- شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري، (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م)، **نخبة الدهرفي عجائب البر والبحر**،ط١، ألمانيا، ١٩٢٣م.
- ابن صاحب الصلاة، **أبو مروان عبد الملك بن محمد (ت ٥٩٤هـ/١١٩٧م)**، ط١،تحقيق عبد الهادي النازي، تاريخ المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي، بيروت، ١٩٦٤م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة، ت (٥٩٩هـ/١٣١١م)، **بغية الملتمس في رجال آهل الأندلس**، ط٦،دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.
- ابن عاصم، عبد الله بن الحسين بن إبراهيم الثقفي، (ت ٤٠٣هـ -١٠١٧م)، **الأنواء والأزمة ومعرفة أعيان الكواكب**،ط٣، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٨٥م.
- ابن عبد ربّه، أبو محمد أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ-٩٣٤م)، **العقد الفريد**، ط٢، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٩٢٨م.

- ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (لم أعثر على إشارة دالة على تاريخ وفاته)، **في آداب الحسبة والمحتسب**،دون طبعه، منشور ضمن كتاب ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.

- ابن عذاري، أبو العباس بن محمد (كان حياً٧١٢هـ-١٣١٣م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، دون طبعه، تحقيق ومراجعة: ج.س كولان وإ.ليفي بروفسال، دار الثقافة، بيروت، دار الثقافة اللبنانية، ١٩٨٣م.

- العذري، أحمد بن عمر بن أنس الدلائيّ (ت٤٧٨هـ - ١٨٠٥م)، **نصوص عن الأندلس "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان، تحقيق عبد العزيز الأهواني**، ط١،معهد الدراسات الإسلاميّة، مدريد، ١٩٦٥م.

- ابن غالب، محمد بن غالب الغرناطي، من علماء القرن السادس الهجري، **فرحة الأنفس**،ط٢، تحقيق: لطفي عبد البديع، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

- العمري. شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله، (ت ٧٤٩هـ-١٣٦٧م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأنصار**،ط٢، تحقيق: أحمد زكي، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٢٤م.

- الغساني، أبو عبدالله محمد بن عبدالوهاب الأندلسيّ (ت١١١٩هـ - ١٧٣٢م)، **رحلة الوزير**،ط١، منشورات الجنرال فرانكو، طنجة، ١٩٤٠م.

- أبو الفداء، اسماعيل بن علي بن محمود، (ت ٧٣٢ هـ-١٣١٣م) **تقويم البلدان**، ط١،تحقيق: رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م، باريس.

- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت٤٠٣ هـ- ٤٧١م)، **تاريخ علماء الأندلس**، ط٢،تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية،١٩٨٩م.

- ابن الفقيه أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحق، (ت ٣٤٠هـ-٩٥٤م)، **مختصر كتاب البلدان**، ط١،مطبعة المثنى، بغداد، ١٩٨٨م.

- ابن أبي فياض، أحمد بن سعيد (ت٣٦٧هـ -١٠١٦م)، **قطعة من كتاب العبر**، تحقيق: عبد الواحد ذنون طه، مجلة مجمع العلمي العراقي، مجلد ٣٤، ١٩٨٣.

- القرطبي، أبو الحسن عُريب بن سعيد الكاتب (ت٣٦٩هـ ت ٩٧٩م)، **تقويم قرطبة**، دون طبعه، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٦١م.

- ابن القوطية، أبو بكر محمد عبد الله (ت٣٦٧هـ -٩٧٧م)، **تاريخ افتتاح الأندلس**ط١،، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة،١٩٨٢م.

- القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ط١،علق عليه نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٧م.

- ـــــــــــــــــــــــ ،**قلائد الجمان في تعريف عرب زمان**،دون طبعه دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٢م

- ـــــــــــــــــــــــ ، **مآثر الأناقة في معالم الخلافة**،دون طبعه، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.

- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (عاش في ق٦هـ)، **قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء**،دون طبعه .

- اللخمي، ابن هشام (ت٥٧٧هـ/١١٨١م)،**المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان**، ط١،دراسة وتحقيق: خوسيه بيريث لاثارو، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٠م.

- مجهول، **تاريخ الأندلس**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٧١م.

- مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .
- مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق لويس مولينا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م.
- مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق: ليفي بروفنسال، الرباط، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤م.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٦٣ هـ-١٣٦١م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط١،مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٠٠م.
- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ-١٦٣١م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ط١،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- المكناسي، محمد بن عثمان، **الأكسير في فكاك الاسير**، ط١،تحقيق محمد القاسمي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥ م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٨٣٣هـ-١١٧١م)، **لسان العرب**،ط٢، المطبعة الأميرية، القاهرة،١٩٧٦م.
- النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي(ت ٧٩٢هـ-١٤٠٦م)، **المرقبة للعليا في من يستحق القضاء والفتيا**، ط١،المكتب التجاري للنشر، بيروت، لبنان ١٩٨٠م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت٨٣٣هـ ١٤٧٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،ط٢، تحقيق: حسين نجار، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن على بن قيس(ت٢٩١هـ - ٩٠٤م)، **الفلاحة النبطية**،ط١، تحقيق: توفيق فهد، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٣.

- ابن الوردي، زين الدين ابن حفص عمر بن مظهـر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، **خريـدة العجائب وفريدة الغرائب**، دون طبعـه، مطبعـة مصـطفى البـابي الحلبـي، مصـر، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

المراجـــــــــع:

- أدهم، علي،(١٩٨٣م)، **عبد الرحمن الداخل**،دون طبعه، القاهرة: مطبعة المقتطف والمقطم.
- أرسلان، شكيب، (١٩٩٣م)،**تاريخ غزوات العرب**، دون طبعـــه، بيـــروت : دار مكتبـــة الحياة.
- الباكوري عبد الرشيد بن نوري، (١٩٧١م)، **تلخيص الآثار وعجائب الملك القهـــار**، دون طبعه، موسكو: دار العلم.
- بالباس، ليوبولد، د.ت ،**الفن الوحدي والمرابطي**، دون طبعه،مترجم سيد غازي، الإسكندرية :دار المعارف.
- بدر، أحمد، (١٩٦٩م)،**دراسات في تـــاريخ الأنـــدلس وحضـــارتها مـــن الفـــتح حتـــى الخلافة**،ط٢، دمشق : دار الأديب.
- البرقوقي، عبد الرحمن،(١٩٩٣م)، **حضارة العرب في الأندلس**، دون طبعه، مصر: المكتبة التجارية.
- بروسي، خايجة لويس،(١٩٥٦م)،"**ملاحظات حول سكة النقود بالأنـــدلس**"، ط١، مدريـــد صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية.
- بروفنسال، ليفي، (١٩٥٦م)، **الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة الســـيد محمـــود عبـــد العزيز وآخرين، مراجعة لطفي عبد البديع ، القاهرة : مطبعة مكتبة مصر .
- ـــــــــــــــــــــــ ، (٢٠٠٢م)، **تاريخ إسبانيا الإسلامية مـــن الفـــتح إلـــى سقوط الخلافة لإسلامية الفرضية**،دون طبعه، ترجمة، علي عبد الرؤوف البمبى وآخرون، مراجعة صلاح فضل، ، القاهرة .
- ـــــــــــــــــــــــ ،(١٩٥١م)، **سلسلة محاضرات في أدب الأندلس وتاريخها**، دون طبعه،تحقيق: محمد عبد الهادي وعبد الحميد العبادي، القاهرة.

- بروي، إدورد وآخرون، (١٩٦٦م)،**القرون الوسطى (تاريخ حضارات العالم)**، ط١،ترجمة يوسف سعد وآخرين، بيروت: منشورات عويدات .

- البكر، خالد بن عبد الكريم بن حمود،(١٩٩٣م)،**النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة (٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م)**، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض.

- بيضون، إبراهيم،(١٩٨٧م)،**الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة**، ط٥، بيروت :دار النهضة العربية.

- تسيركين، يولي، (١٩٨٧م)، **الحضارة الفينيقية في إسبانيا**، ترجمة يوسف ومثال أبي فاضل، ط١، بيروت .

- الجبوري، إيمان حسين،(٢٠٠٤م)، **تطوّر الحركة العمرانية لمدينة قرطبة بعد الفتح العربي الإسلامي تحت سقوط الخلافة الأندلسية (٩٢هـ-٤٢٢هـ)** ،ط١، بغداد.

- الجنحاني، الحبيب،(١٩٨٦م)،**دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي**، ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلامية.

- الجيوسي، **سلمى الخضراء**،(١٩٩٩م)، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ط١، بيروت :مركز دراسات الوحدة.

- حاطوم، نورالدين،(١٩٧٦م)، **العصر الوسيط في أوروبا**،دون طبعه ، لبنان دار الفكر الحديث.

- حتاملة، محمد عبده،(٢٠٠٠م)،**الاقتصاد الأندلسي (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)**، ط١،عمان.

- ـــــــــــــــــــــــــــــــ ،(٢٠٠٠م)،**الأندلس التاريخ والحضـــارة والمحنـــة،** عمان.

- ـــــــــــــــــــــــــــــــ ،(١٩٩٦م)،**إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين**، دون طبعه، عمان وزارة الثقافة .

- ـــــــــــــــــــــــــــــــ ،(١٩٩٩م)، **موسوعة الديار الأندلسية**، الجــزء الأول، ط١، عمان.

- الحجي، عبد الرحمن،(١٩٩٤م)،**التاريخ السياسي من الفــتح الإســلامي حتـــى ســقوط غرناطة**، ط١، دمشق : دار العلم.

- ـــــــــــــــــــــــــــــــ ،(١٩٧٩م)،**جوانب من الحضارة الإسلاميّة**، دون طبعه، الكويت : مكتبة الصحوة .

- الحريري، محمد عيسى،(١٩٨٥م)،**حركات المولدين في جنوب الأندلس في عصر الأمارة الأموية بالأندلس**، ط١ د، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.

- حسنين، جودة،(١٩٨١م)،**جغرافية أوروبا الإقليمية**، ط١،دار، لبنان: النهضة العربية

- حسين، حمدي عبد المنعم محمد،(١٩٨٧م)، **التاريخ السياسي لمدينة أشبيلية في العصــر الأموي**، دون طبعه، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

- ـــــــــــــــــــــــــــــــ ،(١٩٨٦م)،**تاريخ المغــرب والأنــدلس فــي عصــر المرابطين**، ط١، الإسكندرية :مؤسسة شباب الجامعة .

- حسين، كريم عجيل، وحسين حبيب نجم، (١٩٩٤م)،**النزاع على الإمــارة داخــل الأســرة الأموية بالأندلس**، العراق:الانبار.

- حميدة، عبد الرحمن،(١٩٥١م)، **أعلام الجغرافيين العرب**، ط١، بيروت :دار الفكر .

- خالد، طارق،(١٩٨٣م)، **آثار أندلسية**، دون طبعه، الكويت.

- الخالدي، خالد،(٢٠٠١م) ،**اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس**،ط٢، الشارقة.

- خلاف، محمد عبد الوهاب،(١٩٩٢م)، **تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن ٥هـ/١١م**، ط١، مصر :المؤسسة العربية الحديثة .

- ــــــــــــــــ ،(١٩٨٤م)،**قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر، الخامس الهجري والحياة الاقتصادية والاجتماعية**، دون طبعه، تونس: الدار التونسية للطباعة،.

- خليفة، مناع مراد،(١٩٧٥م)،**المزارعة والمساقاة في الشريعة الإسلاميّة**، دون طبعه، بغداد :دار الرسالة.

- دحماني، شريفة،(٢٠٠٦م)، **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية**، ط١،الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

- الدسوقي، عبد الهادي،(٢٠٠٤م)، **أطلس العالم**، ط١، مصر :دار الكتاب المصري .

- الدوري، إبراهيم ياسين،(١٩٨٢م)، **عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الداخلية والخارجية**، ط١، بغداد دار الحرية.

- دوزي،رينهارت، (١٩٩٣م)،**تاريخ مسلمي إسبانيا**، دون طبعه، القاهرة: ترجمة حسن حبش واحمد العبادي وجمال محرز، المؤسسة المصريّة العامة.

- ــــــــــــــــ ،(١٩٧١م)، **المعجم المفصّل بأسماء ملابس العرب**، دون طبعه،تحقيق: أكرم فاضل، بغداد: مديريّة الثقافة العامة.

- أبو دياك، فياض صالح محمد،(١٩٨٨م)، **الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عهد المرابطين وملوك الطوائف**، دون طبعه، عمان :مكتبة الكاتبي .

- الزغول، جهاد غالب مصطفى،(٢٠٠١م)،**الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلاميّ حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧هـ - ٧١١ – ١٤٩٢م)**، إربد.

- زكار، سهيل، وآخرون، (٢٠٠٤-٢٠٠٥م)، **تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي**، ط٢، دمشق :منشورات جامعة دمشق،

- أبو زيدون، وديع،(٢٠٠٥م)، **تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة**، ط١، عمان :الأهلية للنشر .

- سالم عبد العزيز،(١٩٩٩م)، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، ط١، الإسكندرية :مؤسسة شباب الجامعة.

- ــــــــــــــــــــ ،(١٩٨٥م)،**في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، ط٢،الإسكندرية: مؤسسة الشباب

- ــــــــــــــــــــ ،(١٩٨٦م)،**لمساجد والقصور في الأندلس**،دون طبعه ، الإسكندرية :مؤسسة شباب الجامعة .

- سالم والعبادي، عبد العزيز، أحمد مختار،(١٩٩٣م)، **تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط**، ، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة .

- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون ،(٢٠٠١م)،**تاريخ العرب وحضارته في الأندلس**، ط١، بيروت :دار الكتاب الجديد .

- ــــــــــــــــــــ ،(١٩٧٦م)،**الثغر الأعلى دراسة الأحوال السياسيّة**،دون طبعه ، بغداد مطبعة أسعد

- الشيخ، محمد مرسي ،(١٩٨١م)،**دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلاديّ**،دون طبعه ، الإسكندريّة :مؤسسة الثقافة الجامعيّة .

- الصوفي، خالد،(١٩٧١م)، **تاريخ العرب في الأندلس**، دون طبعـــه، بنغـــازي،:منشـــورات الجامعة الليبية.

- الصياد، محمد محمود،(١٩٧٢م)، **مدخل للجغرافية الإقليميّة**، دون طبعـــه، بيـــروت :دار النهضة العربيّة .

- أبو ضيف، مصطفى،(د.ت)، **القبائل العربيّة في الأندلس حتى سقوط الخلافـــة الأمويّـــة**، دون طبعه،الدار البيضاء

- الطرخان، إبراهيم علي،(١٩٥٨م)، **دولة القوط الغربيين**، ط١، القاهرة :مكتبـــة النهضـــة المصرية .

- ـــــــــــــــــــــــــ ،(١٩٦٦م)، **المسلمون في أوروبا فـــي العصـــور الوسطى**، ط١،مؤسسة سجل العرب، القاهرة.

- الطرشان، نزار،(٢٠٠٦م)، **مساجد حولت إلى كنائس**، ط١، الاردن :إربد

- طه، عبد الواحد ذنون،(١٩٨٦م)، **إشبيلية في التراث العربي دراســـة فـــي نشـــأةالمدينة وفتحها وتوزيع القبائل العربية والبربرية فيها في العهد الأمـــوي**،دون طبعـــه، العـــراق: منشورات كلية الآداب في الموصل ،

- ـــــــــــــــــــــــــ ،(١٩٨٢م) ،**الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيّة والأندلس**، ، العراق :منشورات وزارة الثقافة والإعلام .

- عاشور، سعيد عبد الفتاح،(٢٠٠٩م)، **أوروبا في العصور الوسطى**، ط٢، القاهرة :المكتبـــة المصرية .

- عامر، محمد علي،(١٩٩٧م)، **المكاييل والأوزان والنقود**، دون طبعه، دمشق :مطبعة ابـــن حيّان .

- العبادي، أحمد مختار،(١٩٧١م)،**في التاريخ العباسي والأندلسي**، دون طبعه، بيروت :دار النهضة العربية .

- ــــــــــــــــــــــــــــــ ،(٢٠٠٥ م)،**تاريخ المغرب والأندلس**، دون طبعه، القاهرة : دار المعرفة الجامعية .

- عباس، إحسان،(١٩٧٠م)، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، دون طبعه، بيروت :دار الثقافة.

- عبد البديع، لطفي،(١٩٥٨م)،**الإسلام في إسبانيا** ، ط١، القاهرة :مكتبة النهضة المصرية .

- عجيل، حسين كريم،(١٩٧٦م)، **الحياة العلمية في مدينة بلنسية**، ط١، بيروت،:مؤسسة الرسالة.

- العدوي،(١٩٥٧م)، **الغارات الإسلاميّة إلى أوروبا في العصور الوسطى**،دون طبعة ،القاهر:(د.م) .

- العسلي، بسام،(١٩٨١م)،**عبد الرحمن الداخل(صقرقريش)**، ط١،دار النفائس.

- عطا، زبيدة، (د.ت)، **الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى انستايوس**، دار الفكر العربي، القاهرة.

- العمايرة، محمد نايف،(١٩٩٩م)،**مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان**، ط١، الأردن،.

- عنان، محمد عبد الله، (١٩٨٧م)، **دولة الإسلام في الأندلس**،ط٣،القاهرة :مكتبة الخاني،.

- فالتر هنتس،(١٩٧٠م)،**المكاييل والأوزان الإسلاميّة وما يعادلها في النظام المتري**،**ترجمة كامل العسلي**، عمان.

- القاسمي، ظافر، (١٩٦٠م)،**قاموس الصناعات الشامية**، ط١، باريس :موتون للنشر .

- قجة، محمد حسن،(١٩٨٥م)، **محطات أندلسية** ، ط١،الدار السعودية .

- الكبيسي، حمدان،(١٩٨٨م)،**أصول النظام النقدي في الدولـــة العربيـــة الإســـلامية**، دون طبعه، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

- كحيلة، عبادة،(١٩٩٣م)، **تاريخ النصارى في الأندلس**،ط١،القاهرة،.

- كمال، أحمد عادل ،(١٩٦٨م)، **الطريق إلى المدائن**، دون طبعه، بيروت: دار النفائس.

- كندرو،(١٩٦٧م)، **مُناخ القارات**، تحقيق طه النجم وآخرون، دون طبعه، بغـــداد: مطبعـــة الحكومة.

- كولان، ج.س،(١٩٨٠م)،**الأندلس**، ترجمة إبراهيم خورشيد عبد الحميد يـــونس وحســـن عثمّان،ط١ ، بيروت دار الكتاب اللبناني .

- كونستبل، أولفيا ريمي،(٢٠٠٢م)،**التجارة والتجار في الأندلس**، ط١،تعريـــب، د. فيصـــل عبد الله، الرياض.

- مصطفى، سامية، (٢٠٠٤م)، **التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره في سقوط الأندلس الإسلامية**، ط١،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

- أبو مصطفى، كمال السيد، (د . ت) ،**تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولة المرابطين والموحدين**، مركز الإسكندريّة.

- لوبون، جوستاف،(١٩٤٥م) ،**حضارة العرب**، دون طبعه، القاهرة :دار اجياد الكتب العربية .

- مطلق، إلبير حبيب،(١٩٦٧م)،**الحركة اللغوية في الأندلس**، دون طبعه،صـــيدا:المكتبـــة العصرية.

- مكي، محمود، (١٩٩٩م)،"**تاريخ الأندلس السياسي ٩٢-٨٩٧هـ**": **من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ط٢، بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية.

- مؤنس، حسين،(١٩٦٧م)، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد.

- ـــــــــــــــــــ ،(١٩٩١م)، **تاريخ المسلمين في البحر المتوسط** ، ط١، القاهرة: الدار المصريّة .

- ـــــــــــــــــــ،(١٩٥٩م)،**فجر الأندلس**، ط١، القاهرة :الشركة العربية للنشر .

- ـــــــــــــــــــ،(٢٠٠٩م) ،**معالم في تاريخ المغرب والأندلس**،ط٣، القاهرة: دار الرشاد .

- النخيلي، درويش،(١٩٧٩م)، **السفن الإسلامية، على حروف المعجم**، دون طبعه، القاهرة:دار المعارف.

- نصرالله، سعدون،(١٩٩٨م)، **تاريخ العرب السياسي في الأندلس**،دون طبعه ، بيروت دار النهضة .

- النقشبندي، ناصر محمود والبكري، درويش مهاب،(١٩٧٣م)، **الدرهم الأموي المعرب**، بغداد.

- هيكل، أحمد،(١٩٦٩م)، **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة**، دار المعارف، بيروت.

- الياسري، عبد الكريم الخيطان،(٢٠١١م)، **لحركة العلمية في إشبيلية (ت٩٢-٦٤٦هـ/٧١١-١٢٤٨م)**، بغداد.

- بني ياسين، يوسف،(٢٠٠٤م)،**بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحمويّ**، ط١، ،الإمارات :مركز زايد للتراث والتاريخ .

- اليوسف، جوزيف نسيم،(١٩٨٨م)،**تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضـــارتها**،ط١ ، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية.

الدوريات:

- حسين، الشيخ،١٩٨٨م، "النبات في وصف الرحالة العرب"، **مجلـــة الزراعـــة العراقيـــة**، ع(٤).
- الحسيني، محمد باقر كاظم،١٩٧٦م، "الإصلاح النقدي في المغرب والأندلس"، **مجلة أفاق عربية**، عدد(٢).
- ـــــــــــــــــــــــــــ ، ١٩٨٢م ،"نقود المغرب والأندلس: دراسة تحليليـــة للكنى والألقاب"، **مجلة المسكوكات**، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ع(١٢-١٣)، ١٩٨١.
- خطاب، محمود خطاب، ١٩٨٧م، الأندلس وما جاورها، **مجلة المجمع العلمي العراقـــي**، مجلد ٣٨، عدد (٤) ، بغداد ١٤٨٠هــ.
- خمّاش، نجدة،١٩٨٧م، الإدارة في الأندلس في عهد عبد الرّحمن الداخل، **مجلة دراســـات تاريخية** العددان (٢٥- ٢٦).
- أبو دياك، صالح فياض،٢٠٠٢م، الجيش في الأندلس زمن الإمارة والخلافة الأموية الثانية، **مجلة دراسات تاريخية**، العددان(٧٧-٧٨).
- زمامة، عبد القادر، ١٩٨٠م ،فاس وصناعتها التقليدية، **مجلةكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس**، جامعة محمد بن عبد الله عدد (٤-٥).
- سالم، عبد العزيز، ١٩٧٤م، أضواء على مشكلة تأريخ بناء أسوار أشبيلية، **مجلة المعهــد المصري للدراسات الإسلامية**.
- طه،عبد الواحد ذنون،١٩٥٨-١٩٥٩م، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، مجلد٤-٥، عدد (٦) .
- ـــــــــــــــــــــــ ، ١٩٨٦م ، موارد تاريخ ابن عذاري عن الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر الطوائف، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مجلد٣٧، عدد (٤).

- عبد المتجلي، محمد رجاء حنفي،١٩٦٧م، عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، **مجلة المؤرّخ العربيّ**، العدد(١٠٧) .

- عجيل، نجم، حسين كريم، وحسين حبيب ، النزاع على الإمارة داخل الاسرة الأموية بالأندلس، **بحث منشور في مجلة كليّة التربية**، جامعة الأنبار، عدد (٥).

- العمايرة، محمد نايف، طريف بن مالك المعافريّ المُكنّى بأبي زرعة والتمهيد لفتح الجزيرة الإيبيريّة (الأندلس)، منشور في كتاب بحوث ودراسات مهداة إلى الدكتور محمد حتاملــة، منشورات عمادة البحث العلمي، عدد (٣)، ٢٠١٠م.

- أبو الفضل، محمد أحمد، التأثيرات الشامية على عهد الأمير عبد الرحمن الــداخل (١٣٨-١٧٢هــ/٧٥٦-٧٨٨م)، **مجلة المؤرخ العربي**، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العــرب، بغداد، العدد(٣٦)، ١٤٠٨هــ - ١٩٨٨م

- الكبيسي، خليل إبراهيم، غزوات النورمانين على الأندلس في عصر الأمارة، **مجلة المؤرخ العربي**، بغداد، العدد(٤٠)،١٩٨٩م.

- مؤنس، غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ – ٢٤٥هــ - ٨٤٤، - ٨٥٩م، **المجلة التاريخيّة**، مجلد ٢، عدد(١)، القاهرة، ١٩٤٩م.

- بني ياسين، يوسف، ولاية العهد والصراع على السلطنة في عهد الإمــارة الأمويّــة فــي الأندلس (١٣٨ – ٣٠٠ و٧٥٥ – ٩١٢م)، **مجلة مؤتة**، مجلد ٢١، العدد (٦)، ٢٠٠٦م.

الرسائل:

- البلوي، أريج نواف، ٢٠١١م ،**دور قبيلة بلي في الحياة العامة في صدر الإسلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان ،الأردن.
- الخالدي، خالد يونس،١٩٩١م، **الاستقرار العربي الإسلامي في عصر الولاة**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن .
- الخليفات، محمد عطا الله سالم، ٢٠٠٤م.،**التجارة في الأندلس في عصر الدولة الأموية (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)**، مؤتة، الأردن.
- الرويضان، سعد سالم مرشد، ١٩٩٨م ،**ثورة ابن حفصون وأولاده في جنوب الدولة الأموية في الأندلس**، غير منشورة ، الجامعة الأردنيّة،عمان ، الأردن.
- صالح، محمد عواد،**١٩٨٣**م ، **الأندلس في عهد الطوائف الأولى دراسة في السياسة الداخلية**،غير منشورة ، جامعة الموصل.
- العميان، نايف سلامة،١٩٩٦م الخراج **في عهد الدولة الأمويّة في الأندلس (٩٢ – ٤٢٢هـ/٧١١–١٠٣١م)**، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، الجامعة الأردنيّة، عمان ، الأردن.
- موسى، عز الدين أحمد،١٩٧٥م ، **النشاط الاقتصاديّ في المغرب الإسلاميّ خلال القرن السادس الهجريّ/ الثاني عشر الميلاديّ**، الجامعة الأمريكيّة.
- المومني، محمد خالد، ١٩٩٥م ،**الفقهاء وثورة أهل الربض في الأندلس**، رسالة ماجستير ، غير منشورة الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن.
- نبراس، فوزي جاسم،٢٠٠٨م، **النشاط الاقتصادي في الأندلس في كتب البلدانين**، كلية الآداب،غير منشورة ، جامعة بغداد، بغداد ، العراق .

- هياجنة، محمود حسين شبيب، ١٩٨٩م ،***الوضع الزراعي فـــي الأنـــدلس، منـــذ الفـــتح الإسلامي حتى سقوط دولة المـــرابطين***، رسالة ماجستير ، الجامعـــة الأردنيّـــة، عمـــان، الأردن.

المراجع الأجنبية:

- Balbas,١٩٥٢، **Babal sudday los zudas de la Espana oriented AL-Andalus**,.
- Davis،R.H.CA, **history of medieval Europe fvom Constantine to saint Louis**, Second Edtion, london.
- Immamuddin, S.M, ١٩٦٣ , **the Economic History of Spain under The Umayyads**, press, Dacca,.
- Provencal.levi, **Historire deEspaye Masucmane**, paris, ٧٩٥٠-٧٩٥٤m, p١٣ Auado, Bleye, , ١٩٤٧, **Manuel de Histoia de Espue**, Madrid
- Th.Houl, sme, A.J. Wensin. ١٩٣٤, **Encyclopedia of Islam**, London.

Sevilla since the Islamic conquest until the reign of the emirate (٩٢-٣٠٠ AH / ٧١١-٩١٩ AD)

By
Eman Ahmad Yousef Alabdallat

Supervisor
Dr Yousef Ahmed Bani Yaseen

Abstract

This study examined the history of Seville city since the Islamic Conquest to the Emirate Era (٩٢-٣٠٠ AH / ٧١٣-٩٢١ AD), which played a political, economic, social and cultural role. It didn't just represent a city but also represented an epoch. Therefore, the study was elucidated the city name, geographical location, details about the importance of the city before and after the conquest, trade center city overlooking the Mediterranean, and the most events occurred after Islamic Conquest till Córdoba city being the capital.

The political role showed many rebellions based on racial conflicts continued to (٢٨٦-٣٠٥ AH / ٨٩٩-٩١٧ AD) in which the Establishment of Bani Hajjaj State.

The economic aspect represented by agricultural crops such as: olives and grapes, sugar cane and other crops, and breeding animals as: sheep, goats and horses. Also, the interesting in providing the necessary raw materials for various industries, such as: cotton, linen, wool and wood, participated in improving the internal and external trade.

In the social structure section, places where the six social categories "Arabs, Berbers, Mawali, Sicilians, Jews, Christians" settled, were studied, in addition to their customs and traditions of food, drink and clothing. Finally, Sciences and architecture aspects were conversed.